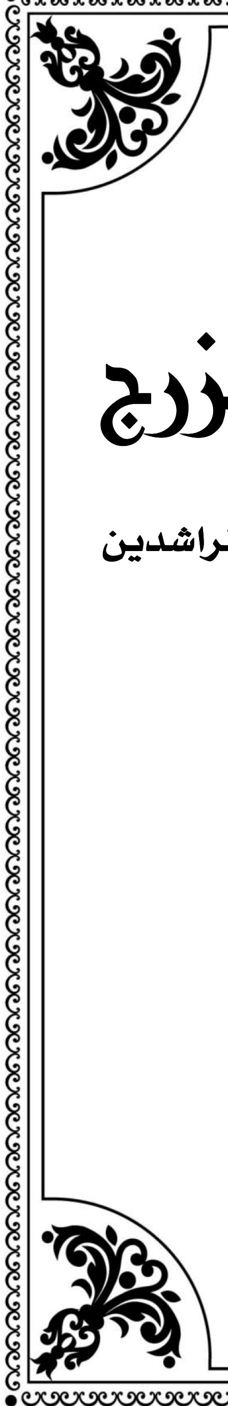
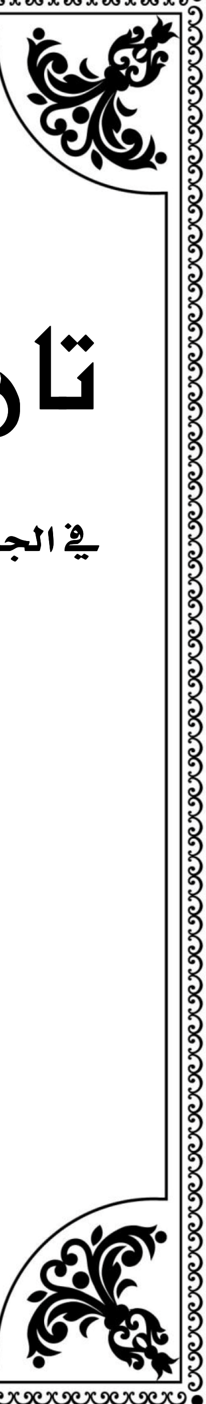
تاريخ قبيلة الخزرج

في الجاهلية وحتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين



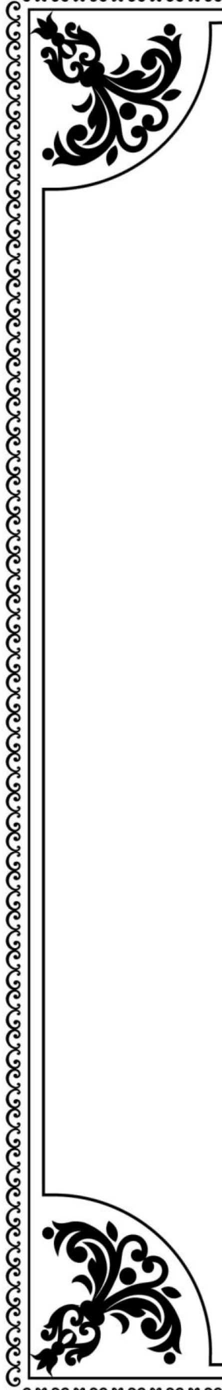
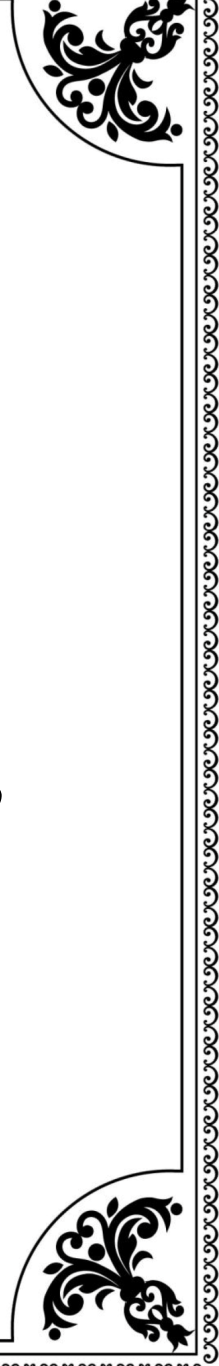
تاريخ قبيلة الخزرج

في الجاهلية وحتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين

إعداد

د. حمدي أحمد علي الجمال



إهداء

أهدي هذا الكتاب إلى سيدي رسول الله

- صلى الله عليه وسلم -

النبي الأمي العربي القرشي الهاشمي

النور

وإلى تلك الروح التي هيجت نار الشوق

إلى الحق ، وبددت ظلمة نفسي الأمارة

إلى روح .. شيخي

السيد علي إسماعيل رضي الله عنه

الذي تعلمت علي يديه الكثير

مقدمة

الخزرج قبيلة كبيرة متسعة البطون والأفخاذ والبيوت، تسكن يثرب وما حولها من مناطق، وهي الأكثر عددًا بين سكان يثرب، وكان لها دور مهم في الأحداث اليثربية؛ لما لها من قوة ومنعة وعدد، خاصة بعد قيام التحالفات بينها وبين يهود يثرب.

ولقد عاش الخزرجيون في حروب طويلة مع بني عمومتهم من الأوس، كان آخرها "يوم بُعاث" قبل دخول الإسلام للمدينة بخمس سنوات، والذي انتهى بهزيمة الخزرج وانتصار الأوس؛ مما مهد لدخولهم في الإسلام وإيمانهم بالرسول ﷺ بعد بيعتي العقبة الأولى والثانية، وهجرته ﷺ للمدينة واستقراره بها.

وقد كان الصحابة من قبيلة الخزرج هم المعين الدائم للأفراد في بداية الدعوة؛ وذلك لكثرة عددهم، حتى إنهم كانوا يمثلون أكثر من نصف جيش المسلمين في كثير من الغزوات، وبعد وفاة الرسول ﷺ رشح الخزرجيون من بينهم رجلًا ليتولى خلافة المسلمين، ولما لم يحالفه الحظ وقفوا إلى جانب الخليفة الأول في مواجهة المرتدين الذين أرادوا أن يخرجوا عن سيطرة المدينة وخليفتها الجديد، ثم لعب الخزرجيون دورًا مهمًّا في الفتوحات الإسلامية، فكان منهم قادة الجيوش والأمراء والجنود، ثم تلا ذلك اختيار بعض منهم لتولي الإمارة والقضاء بالأقاليم المفتوحة.

وقد لعب الصحابة الخزرجيون دورًا في عصر الخلفاء الراشدين، عهدي أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وكانوا مساندين للخليفة الثالث عثمان بن عفان في أحداث الفتنة الكبرى، كما قاموا بدور مهم داخل معسكر الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، خاصة في معركة صفين، فكان أغلبهم في جيشه؛ أما من تبقى منهم فقد اعتزل الفتنة ولم يشارك.

وقد قام الصحابة الخزرجيون بدور مهم في الحفاظ على سنة رسول الله ﷺ وحفظها من الضياع؛ وذلك بسبب تشجيعهم للحركة العلمية واشتغالهم برواية الحديث.

من هذا المنطلق يكمن العامل الرئيس في اختيار هذا الموضوع، إضافة إلى أسباب أخرى أدت إلى هذا الاختيار، وهي:

(١) أنه كان للصحابة الخزرجيين دور مهم في الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية بالمدينة قبل الإسلام، وأنهم أسهموا بنصيب وافر في تاريخ الحجاز في العصر الجاهلي، ويهتم البحث بإلقاء الضوء على هذا الدور.

(٢) أنه كان للخزرجيين بعض الخصائص والسمات والعادات والتقاليد والأعراف التي ميزتهم عن باقي سكان المدينة؛ لذلك كان لزامًا علينا أن نهتم بما خفي من شئون هذه القبيلة.

(٣) أن قبيلة الخزرج كانت إحدى القوى الأساسية التي وقفت إلى جوار الدعوة الإسلامية في عصر الرسالة؛ دفعها إلى ذلك أسباب عدَّة، ويهتم البحث بإبراز الدور الخزرجي، وتوضيح أهميته منذ دخول الإسلام للمدينة.

(٤) أن قبيلة الخزرج قد أسهمت بأعداد كبيرة في الفتوحات الإسلامية التي توجهت لفتح العراق وفارس والشام ومصر، وخاضت المعارك دفاعًا عن الدولة والدعوة الإسلامية، واستقر الكثير منهم في الأمصار الإسلامية المفتوحة، ويهتم البحث بإبراز الدور الإداري والحضاري لتلك القبيلة في فترة البحث.

(٥) ولقد كان أكثر الصحابة الذين شاركوا في الغزوات والمعارك التي خاضها الرسول ﷺ من قبيلة الخزرج، حتى إنهم بلغوا نصف عدد المشاركين في غزوة بدر؛ لذلك فقد كان لهم دور مهم في تلك المعارك والغزوات، سوف نتناوله بشيء من التفصيل.

(٦) أن وجود الصحابة الخزرجيين الدائم إلى جوار صاحب الرسالة ﷺ، جعلهم أعلم الناس بسنة رسول الله ﷺ، وجعل لهم دورًا مهمًّا في نقلها إلى المسلمين؛ لمعايشتهم رسول الله ﷺ في المدينة.

(٧) كان الصحابة الخزرجيون من السابقين إلى الإسلام، فهم الذين آوَوْا رسول الله ﷺ ونصروه؛ ولذا فقد نالوا تقديره وتقدير خلفائه من بعده؛ ومن هنا فقد اهتم الرسول وخلفاؤه من بعده بتوليتهم بعض مناصب الدولة؛ لكفاءتهم القتالية، وسنتناول ذلك بالتفصيل.

وقد اشتمل الكتاب على مقدمة وخمسة فصول وخاتمة وثبت لأهم المصادر والمراجع، ثم خُتم بفهرس للموضوعات.

فأما **المقدمة** فقد اقتصرت فيها على ذكر سبب اختيار الموضوع وبيان أهميته، واستعراض موضوعات الرسالة وأهم فصولها.

أما **الفصل الأول** فقد جاء بعنوان: **(تاريخ قبيلة الخزرج قبل الإسلام)**، واشتمل هذا الفصل على ما يلي:

١- **أصل قبيلة الخزرج ونسبها**، وذكرت فيه الأصول اليمنية لقبيلة الخزرج، وحددت الفروع الخمسة الكبرى للبطون الخزرجية المختلفة، التي تتكون منها القبيلة.

٢- **بطون قبيلة الخزرج ومنازلهم**، وتناولت فيه أهم بطون القبيلة، محددًا البطون الخزرجية التي تتفرع من (بني النجار، وبني عَوْف، وبني جُشَم، وبني كعب، وبني الحارث).

٣- **تاريخ قبيلة الخزرج قبل الإسلام**، وتحدثت فيه عن حال يثرب قبل هجرة الأوس والخزرج، وذكرت فيه صراع الأوس والخزرج وحروبها، والأيام التي دارت بينهما قبل الإسلام.

وأما **الفصل الثاني** فقد جاء بعنوان: **(ملامح حياة قبيلة الخزرج قبل الإسلام)**، واشتمل على العناوين الآتية:

١- **الحياة الاجتماعية لقبيلة الخزرج قبل الإسلام**، وتناولت فيه الحياة الاجتماعية لقبيلة الخزرج قبل الإسلام، وتحدثت فيه عن العمارة اليثربية، وكيف كانت بيوت الخزرجيين ، ثم تحدثت عن الأسرة والمرأة الخزرجية ودورها في المجتمع اليثربي، ثم ذكرت كيفية

توزيع الميراث في الجاهلية، واستعرضت أنماط الطرب والغناء والأعياد والمناسبات، وكيف كانت مشاركة الخزرج فيها، ثم تحدثت عن العلاقات الاجتماعية بين قبيلة الخزرج والقبائل الأخرى.

٢- **النشاط الاقتصادي لقبيلة الخزرج قبل الإسلام**، وتحدثت فيه عن الزراعة وأهم المزروعات والمعاملات الزراعية، ثم تحدثت عن الرعي والتجارة، والنشاط الصناعي لبطون الخزرج بالمدينة قبل الإسلام.

٣- **الحياة الدينية لقبيلة الخزرج قبل الإسلام**، وتحدثت فيه عن الحياة الدينية، وذكرت أهم العبادات داخل المدينة، وكيف كان للخزرج شكل خاص في أداء الحج، يختلف عن سائر سكان شبه الجزيرة العربية، ثم استعرضت دور اليهود في الحياة الدينية داخل يثرب، ودخول بعض الخزرجيين في اليهودية.

٤- **الحياة الثقافية لقبيلة الخزرج قبل الإسلام**، وتحدثت فيه عن الحياة الثقافية في يثرب قبل الإسلام، وكيف كان لقبيلة الخزرج دور فيها؛ لكثرة من عرف القراءة والكتابة منهم، كما استعرضت النواحي الثقافية لهذه القبيلة من اهتمام بالشعر والغناء والنقد الشعري.

أما **الفصل الثالث** فقد جاء بعنوان: **(تاريخ قبيلة الخزرج في العصر النبوي)**، واشتمل الفصل على ثلاثة موضوعات:

١- **دخول قبيلة الخزرج في الإسلام**، وتحدثت فيه عن كيفية دخول قبيلة الخزرج في الإسلام وذكرت دور الخزرج في بيعتي العقبة الأولى والثانية.

٢- **تاريخ المدينة بعد دخول الإسلام**، وتناولت فيه هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة، وذكرت أهم الأعمال التي قام بها الرسول في المدينة، وكان أهمها المؤاخاة بين الأوس والخزرج، وتحدثت فيه عن الوثيقة النبوية التي كانت بمثابة أول دستور للمدينة المنورة.

٣- **قبيلة الخزرج ودورها بعد الهجرة وحتى وفاة الرسول ﷺ**، وتحدثت في هذا الفصل عن دور الصحابة الخزرجيين في سرايا الرسول ﷺ وغزواته، وعن مشاركاتهم

فيها، ثم حللت موقف المنافقين من الدعوة الإسلامية والرسول ﷺ بالمدينة، وذكرت وفاة الرسول ﷺ، وكيفية مشاركة الخزرج في مراسم الوفاة والدفن.

أما **الفصل الرابع** من الكتاب فقد جاء بعنوان: **(تاريخ قبيلة الخزرج في عهد الخلفاء الراشدين)**. واشتمل هذا الفصل على العناوين الآتية:

١- قبيلة الخزرج في عهد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويتناول حادث السقيفة، وكيفية اختيار أبي بكر للخلافة، ثم يذكر حروب المرتدين واشتراك الخزرجيين بها، وبيان دورهم - بالتفصيل - في عهد الخليفة الأول.

٢- قبيلة الخزرج في عهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ودورها في الفتوحات الإسلامية، ويتناول أهمية الخزرج في عهد عمر، ويذكر أهم المناصب التي أسندها إليهم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٣ـ قبيلة الخزرج في عهد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والفتنة الكبرى، ويتناول جمع عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المسلمين على قراءة قريش للقرآن، ودور الخزرج فيها، ثم يبين دور الخزرج في الفتوحات الإسلامية في عهد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويذكر أحداث الفتنة الكبرى وموقف الخزرجيين منها.

٤- قبيلة الخزرج في عهد عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والصراع مع معاوية، ويتحدث هذا العنوان عن تأييد الخزرج لعليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم يذكر تعيين قيس بن سعد بن عبادة على مصر، ويعرض دور الخزرج في معركتي - الجمل وصفين - وينتهي بدور الخزرج في خلافة الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وأما الفصل الخامس فقد جاء بعنوان (الخزرج والحياة العلمية بالمدينة)، وفيه موضوعان:

١ـ الحياة العلمية ودور الصحابة الخزرجيين في رواية الحديث والعلوم الدينية، ويتحدث عن جمع القرآن في عهد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم نسخ المصاحف في عهد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ودور الخزرج في علم القراءات والتفسير والحديث والفقه، ثم يذكر دور

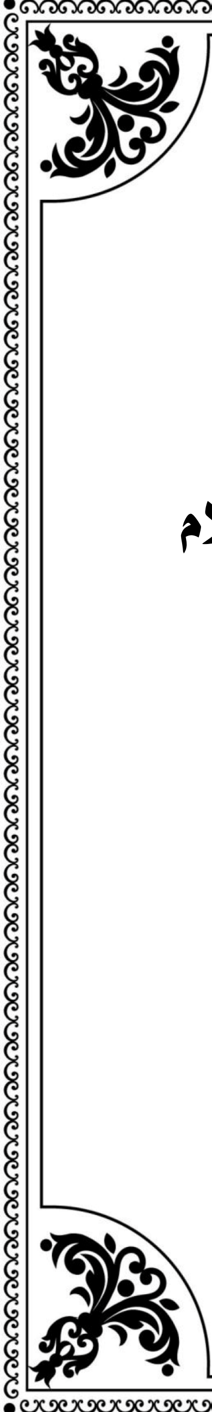
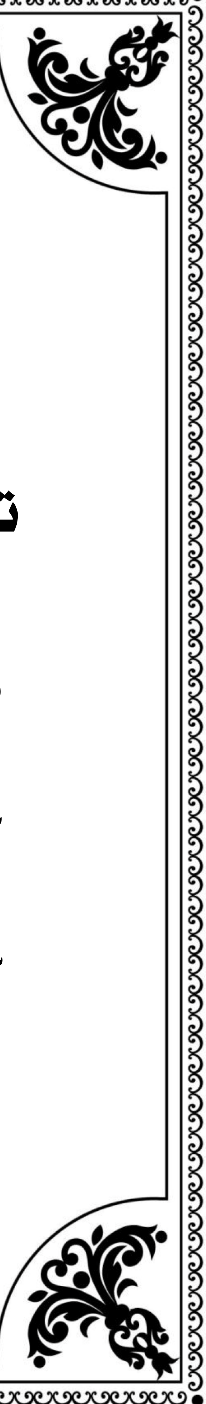
الصحابة الخزرجيين في تقدم الشعر العربي وتطوره، ويعرض لدور شعراء الرسول ﷺ الخزرجيين، وهم: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم.

٢- الصحابة الخزرجيون في الأقاليم المفتوحة، وقد تناول هذا الموضوع الصحابة الخزرجيين عندما تفرقوا في البلاد، وشاركوا في الفتوحات الإسلامية، واختيارهم أمراء وقوادًا منذ العهد النبوي، ثم يذكر استقرار بعض الأسر الخزرجية في الأقاليم المفتوحة كمصر، والمغرب العربي، والأندلس، وغيرها من البلدان.

أما **الخاتمة** فقد تضمنت أبرز النتائج، ثم ذيِّل الكتاب بقائمة للمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها.

***



الفصل الأول

تاريخ قبيلة الخزرج قبل الإسلام

١- أصل قبيلة الخزرج ونسبها

٢- بطون قبيلة الخزرج ومنازلهم.

٣- تاريخ قبيلة الخزرج قبل الإسلام.

١ - أصل قبيلة الخزرج ونسبها

يُقسم النسابون العرب إلى قسمين؛ القسم الأول: العرب البائدة، وهم الذين بادوا وانقطعت أخبارهم؛ كعاد وثمود وطسم، والقسم الثاني: العرب الباقية، وينقسمون إلى فرعين: العرب العاربة والعرب المستعربة. فأما العرب العاربة فهم شعب قحطان، وجميع قبائل اليمن تنتهي إليه، ومن أشهر قبائلهم جُرْهُم ويَعرُب، ومن يَعرُب تشعبت القبائل والبطون من فرعين كبيرين، هما: كهلان وحِميَر، ومن أشهر بطون كهلان قبائل الأزد اليمنية التي انحدر منها الأوس والخزرج في يثرب، والغساسنة في الشام، وأزد عُمَان، وأزد شنوءة، وغيرهم[1].

ولقد قامت في اليمن حضارة عظيمة لعدة أسباب، كان أهمها: تربتها البركانية الخصبة، واعتدال حرارتها؛ لارتفاعها عن سطح البحر، وموقعها الجيد؛ حيث يحدها البحر الأحمر غربًا، والمحيط الهندي جنوبًا، بالإضافة لسهولة اتصالها بالساحل الإفريقي الشرقي، فقامت باليمن حضارات كبرى، كان أهمها مَعِين، ونشأت بين حضرموت ونجران، وكانت عاصمتها قِرْناو[2]، ثم قامت حضارة سبأ - التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في سورة سبأ - ببناء أهم مشاريع الري بها، وهو سد مأرب بين مرتفعات اليمن؛ ليحول دون إهدار مياه السيول للاستفادة بها في الزراعة، ثم كانت حضارة حمير وهي

---

(١) ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، تحقيق: ناجي حسن، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م، ج١، ص ١٣١، ١٣٣؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، سلسلة ذخائر العرب، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م، ج٢، ص ٣٢٩، ٣٣٠؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، النهضة المصرية، القاهرة، ط ١٥، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م، ج١، ص ١٣.

(٢) عبد العزيز صالح: تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م، ص ٩١.

آخر حضارات اليمن، ودخلت اليمن تحت سيطرة الأحباش ثم الفرس، وجاء الإسلام وهي تحت السيطرة الفارسية(١).

ويمكننا القول إن اليمن كانت منطقة حضارية مزدهرة؛ وذلك لتقدم الزراعة، وازدهار التجارة بها؛ حيث كانت تُرسل رحلاتها التجارية إلى بلاد بونت - الصومال حاليًا - وإلى مصر لبيع تجارتها، وكانت تحتوي على المُر والبخور وغيرها من منتجات المناطق الحارة، كما اشتهرت اليمن بالكثير من الصناعات التي تصدر للخارج؛ كالسيوف والملابس اليمنية(٢).

كان للأزد عدة أولاد، منهم: **مازن** ونصر وعمرو وغيرهم، ومن مازن بن الأزد: عمرو، وعَدِيّ، وكعب، و**ثعلبة**، فأنجب ثعلبة بن مازن: عامرًا، و**امرأ القيس**، وكُرْزًا، وأنجب امرؤ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد: **حارثة الغِطْريف**(٣)، فولد حارثة الغطريف: التوأم؛ عدي، و**عامر ماء السماء** (وسُمِّي بذلك؛ لأن قومه كانوا إذا قَحَطُوا بَثَّ فيهم ماله، فكان يقوم لهم مقام الغيث) (٤)، فولد عامر ماء السماء: عمران الكاهن الذي لم يُعْقِب، و**عمرو مُزَيْقِيَاء** (لُقِّبَ عمرو بذلك لأنه كان من ملوك اليمن، وكان يلبس كل يوم حُلَّتَيْن ثم يمزقهما حتى لايلبسهم أحد غيره)(٥). وأنجب عمرو مزيقياء: **ثعلبة العَنْقَاء** (لُقِّبَ به لطول رقبته)، وأنجب ثعلبة: **حارثة**، ومنه ينحدر الأخوان الأوس و**الخزرج** بن

---

(١) نفسه، ص ٦١، ٦٤؛ حسين الشيخ: العرب قبل الإسلام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م، ص ١٠١، ١٠٢.

(٢) عبد العزيز صالح: تاريخ شبه الجزيرة العربية، ص ٤١، ٤٢.

(٣) **الغِطْرِيف**: بغين معجمة مكسورة، فطاء مهملة ساكنة، فراء مكسورة، وفي آخره فاء، وهو في اللغة السيد الشريف، أو فرخ البازي؛ الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، القاهرة، (ب. ت)، ج٢٤، ص ٢١٨.

(٤) الصالحي: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، لجنة حماية التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٨هـ= ١٩٩٧م، ج٣، ص ٢٥٢.

(٥) نفسه.

حارثة بن ثعلبة العَنْقَاء بن عمرو مُزَيْقِيَاء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأَزْد[١].

وأمهما قَيْلَة بنت الأَرْقَم بن عمرو بن جَفْنة بن عمرو مُزَيْقيَاء، في قول ابن حزم الأندلسي في الجمهرة[٢]، وابن خلدون في العِبَر[٣]؛ وقَيْلَة بنت كاهل بن عُذْرَة بن سعد بن هُذَيْم، من قُضَاعَة من بني عُذرة في رأي ابن الكلبي في نسب معد واليمن الكبير[٤]، وعرفت الأوس والخزرج بابني قَيْلَة، ولابد أن يكون لها شهرة في الجاهلية حملتهم على الانتساب إليها[٥].

وذُكر أنهما لم يُؤديا إتاوة قط في الجاهلية لأحد من الملوك[٦]، وقد نُسِبَت الأوس والخزرج إلى أمهما في الحديث النبوي الشريف؛ فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال رسول الله ﷺ: "إن الله أمدني بأشد الناس ألسنًا وأذرعًا، بابنيْ قَيْلَة: الأوس والخزرج"[٧]، وهذا النعمان بن بشير[٨] يمدح الأوس والخزرج وينسبهم إلى أمهما قائلًا:

(١) ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ج ١، ص ٣٦٣، ٣٦٤؛ ابن قتيبة: المعارف، سلسلة ذخائر العرب، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م، ص ١٠٨؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ج٢، ص ٣٣٠، ٣٣١.

(٢) ص ٣٣٢.

(٣) العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر، بيروت، ١٤٣١هـ = ٢٠٠١ م، ج ٢، ص ٣٤٤.

(٤) ابن الكلبي: المصدر السابق، ج ١، ص ٣٦٤.

(٥) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد، بغداد، العراق، ط٢، ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م، ج ٤، ص ١٣٣.

(٦) نفسه، ج ١، ص ٣٧٤.

(٧) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج ٣، ص ٢٥٤.

(٨) هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن خُلاس بن زيد الأنصاري الخزرجي (ت ٦٤هـ)، من بني كعب بن الحارث بن الخزرج، وأمه عمرة بنت رواحة أخت عبد الله بن رواحة. ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب في أسماء الأصحاب، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م، ج ١، ص ٢٩٣؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ب. ت)، ج٦، ص ٢٤٠.

بَهَالِيــل[١] مــن أولادِ قَيْلَــةَ لم يَجِــدْ عَلـيهم خَلـيطٌ مـن مُخَالَطـةٍ عَتْبَـا[٢]

والخزرج في اللغة تعني: الريح الباردة، وقال بعض أهل اللغة: هي الريح الجنوبية خاصة، وقال بعضهم: الريح الشديدة [٣]، وقال الفراء: خزرج أي الجنوب[٤]، وبه سميت القبيلة الخزرج؛ لأن ريح الجنوب عندهم أنفع من ريح الشمال[٥].

ولقد امتازت قبيلة الخزرج بكثرة عددها، وبأنها بلغت من القوة والمنعة مبلغًا عظيمًا، وعندما هاجر الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة، سماهم هم والأوس بالأنصار، فلم يكن لهم هذا الاسم في الجاهلية؛ بل سماهم الله تعالى به في كتابه الكريم[٦].

ولقد تفرعت قبيلة الخزرج من جدها الخزرج بن حارثة، الذي أنجب عَمْرًا، والحارث، ويقال لهما: الخُرطومان[٧]، وأمهما: بنت عامر الغطريف الأزدي، وأخوهما لأمهما: الحارث بن معاوية الكندي، وفيه يقول حسان بن ثابت[٨]:

وإذا دَعَــوْتُ الحَــارِثَيْنِ أجــابني كِنْــدِيُّهم والحَــارِثُ بــن الخَــزْرَجِ

(١) بَهَالِيل: مفردها بُهْلُول، ورجل بُهْلُول أي رجل حيي كريم، أو السيد الجامع لكل خير؛ الزبيدي: تاج العروس، ج٢٨، ص ١٣٠.

(٢) ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ج ١، ص ٣٦٤؛ السمهودي: وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، مؤسسة الفرقان، مكة، السعودية، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م، ج ١، ص ٣٢٥.

(٣) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، (ب. ت)، ج ٢، ص ٢٥٥.

(٤) السمعاني: الأنساب، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م، ج٥، ص ١١٠.

(٥) الزبيدي: تاج العروس، ج٥، ص ٥٢٤.

(٦) أبو عبد الله البخاري: صحيح البخاري، طبعة السلطان عبد الحميد خان الثاني، ١٢١٣هـ = ١٧٩٨م،كتاب مناقب الأنصار، ج٥، ص ٣٠، ٣٢؛ مسلم بن الحجاج: الجامع الصحيح المسمى (صحيح مسلم)، دار الجيل ودار الآفاق العربية، بيروت، (ب. ت)، ج ١، ص ٦٠.

(٧) ابن الكلبي: المصدر السابق، ج ١، ص ٣٩٠.

(٨) هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حَرَام بن عَمْرو بن زَيْد مَنَاةُ بن عَدِيّ بن عَمْرو بن مَالِك بن النَجَّار (ت ٥٤هـ)، من بني مغالة ثم من بني النجار، شاعر رسول الله ﷺ والمدافع عنه بشعره، عاش مائة وعشرين سنة، منها ستون في الجاهلية وستون في الإسلام؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ١، ص ٢٠٤؛ ابن حجر: الإصابة، ج٢، ص ٨، ٩.

وولد أيضًا عَوْفًا، وجُشَم، وكَعْبًا، وأمهم: بنت عليّ بن قيس الغسَّاني، ومن هؤلاء الخمسة كانت قبيلة الخزرج، وتفرعت منها البطون المختلفة في القبيلة.

- **بنو عمرو بن الخزرج بن حارثة:**

أنجب عمرو بن الخزرج: ثَعْلَبَة، وأُمُّه هند بنت امْرِئ القَيْس بن كعب بن عمرو مُزَيْقيَاء، وأنجب ثعلبة بن عمرو: تَيْم الله بن ثَعْلَبَة، وهو النَجَّار، وسمي بهذا الاسم لأنه ضرب رجلًا بقَدُوم(١) فَنَجَرَهُ، أي قطعه(٢)، وقيل إنه اختتن بقَدُوم(٣)، وأُمُّه هي الصَّدُوفُ بنت مالك من حِمْيَر، ومن تيم الله النجار ونَعَامَة بنت الحارث بن الخزرج(٤)، تفرعت بطون كثيرة، كان أهمها: مازن بن النجار، ومنه: بنو مازن، ودينار بن النجار، ومنه: بنو دينار، وعدي بن النجار، ومن نسله: بنو مِلْحَان(٥)، وبنو عدي، ومالك بن النجار الذي تزوج كَبْشَة بنت الخزرج بن الحارث، ومن نسله بنو مَغَالَة، وبنو حُدَيْلَة (بنو معاوية)، وبنو مَبْذُول، وبنو غَنْم، وبنو الفُرَيْعَة، وهم رهط حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٦).

- **بنو الحارث بن الخزرج بن حارثة:**

أنجب الحارث بن الخزرج: الخَزْرَج، وصخرًا، وهو لا يُعد من الأنصار؛ لأنه صار إلى الشام، وجَرْدَش الذي دخل في غسان، وعوفًا الذي تفرع من نسله بنو خُدَارَة، وبنو خُدْرة، ومنهم: أبو سعيد الخُدْري راوي الأحاديث الشهير، وأنجب جُشَم، وزَيْدًا – وهما التوأم – وكان سكنهم بالسُّنْح على ميل من المسجد النبوي، ونزل عليهم أبوبكر

---

(١) **القَدُوْم:** الحَدِيدة التي ينحت بها الخشب؛ إسماعيل بن عباد: المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م، ج٥، ص ٣٧٥.

(٢) ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ج ١، ص ٣٩٠؛ ابن دريد: الاشتقاق، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١١هـ =١٩٩١م، ج ٢، ص ٤٤٩.

(٣) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ١، ص ٤٨؛ الزبيدي: تاج العروس، ج١٤، ص ١٨١.

(٤) ابن الكلبي، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٠٠؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ج ٢، ص ٣٤٧.

(٥) **مِلْحَان:** من المُلْحة، أي البياض، ويقال كبش أملح، ابن دريد، المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٥١.

(٦) ابن الكلبي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٤٧، ٣٤٨.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وظل يسكنها حتى توفي الرسول ﷺ، ومنهم: عبد الله بن رواحة، وهو عقبي، بَدْرِيّ، كان من شعراء الرسول ﷺ[١].

- بنو كَعْب بن الخزرج بن حارثة:

أنجب كعب بن الخزرج: سَاعِدَة، وولد ساعدة: الخزرج، وأنجب الخزرج: طريفًا وعمرًا، ومن هذا الفرع بنو ساعدة[٢]، ولقد كان منهم بعض زعماء المدينة قبل الإسلام، مثل: سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة، ولقد شهد العقبة، وكان من النقباء الاثني عشر، من بيت عريق معروف بالسؤدد، كانوا سادة كلهم[٣]. وكان له أُطُم[٤] دُليم، وكان ابنه قيس بن سعد من سادات بني ساعدة، وكان بمنزلة صاحب الشرطة لرسول الله ﷺ. وروي أن رسول الله ﷺ كان يستعمله على الصدقة[٥]، وولي أخوه سعيد بن سعد اليمن لعليّ بن أبي طالب، ولسعيد هذا عقب بالأندلس، ذكره ابن حزم في الجمهرة[٦]، ومنهم أبو دُجانة الفارس، واسمه سِمَاك بن أوس بن خرشة، أشجع أنصاريّ في دهره، وهو الذي دافع عن رسول الله ﷺ في غزوة أحد[٧].

- بنو جُشَمَ بن الخزرج بن حارثة:

أنجب جُشَمُ بن الخزرج غَضْبًا[٨]، وتَزِيد، وأمهما: قَسَامَة بنت أفصى بن غَسَّان[٩]، أما غَضْب بن جشم فولد مالك بن غَضْب، ومنه خمسة أولاد، وهم: غَنْم وهو أبو بني

---

(١) نفسه، ج ١، ص ٤٠٤؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ج ٢، ص ٣٦١.

(٢) ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ج ١، ص ٤١١؛ ابن حزم: المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٦٦.

(٣) ابن دريد: الاشتقاق، ج ٢، ص ٤٥٦.

(٤) **الأُطم**: بمعنى الحصن، أو القصر، أو الدور المسطحة السقوف، والجمع آطام، كأجمة وآجام؛ الزبيدي: تاج العروس، ج٣١، ص ٢٢٠.

(٥) ابن سعد الزهري: كتاب الطبقات الكبير، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م، ج٥، ص ٣٦٩ - ٣٧٣.

(٦) ابن حزم، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٦٦.

(٧) ابن دريد، المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٥٦.

(٨) **الغَضْب**: الأحمر الغليظ، أو الصخرة الخشنة، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٦١.

(٩) ابن الكلبي، المصدر السابق، ج ١، ص ٤١٩.

الحَسْمِي، وقد ساروا مع غسان إلى الشام واستقروا بها، وكَعْبًا، وهو أبو بني الأَجْدَع وقد انقرضوا جميعًا، وربيعة وقد انقرضوا أيضًا. وولد مالك - أيضًا - عبد حارثة، وعامرًا؛ أما عبد حارثة فخرج من نسله حبيب وزريق، ومن حبيب: زيد مناة وعبد الله، وقيل: إن من نسل عبد الله هذا الملك الغساني أبو جُبَيْلَة، الذي ساعد مالك بن العجلان الخزرجي على التخلص من سيطرة اليهود على المدينة، وفيه نظر؛ إذ ليس في بطون الخزرج غساني[١].

وقد تفرع من غَضْب بن جشم بطون، أهمها: بنو زُرَيْق، وبنو سارِدة[٢]، وبنو بَيَاضة، ومنهم: زياد بن لبيد، الذي استعمله رسول الله ﷺ على حضرموت باليمن، وعمرو بن النعمان البياضي، وكان صاحب راية المسلمين يوم أحد[٣].

أما بنو تزيد بن جشم بن الخزرج، فمنهم بنو سَلِمَة - بكسر اللام[٤]-، وبطونها كثيرة[٥]، وبنو أُدَيّ، ومن بني أُدَيّ: معاذ بن جبل رضي الله عنه، وهو عقبي، شهد بدرًا والمشاهد كلها[٦].

- **بنو عوف بن الخزرج بن حارثة:**

أنجب عَوْف بن الخَزْرَج قَطَن، فولد قطن السائب وعَقِبَه بعُمَان، ولم يكن منهم أحد بالمدينة، فليسوا من الأنصار[٧]، وأنجب أيضًا: عمرو بن عوف (وهو غير عمرو بن عوف من الأوس) الذي تزوج من نُعْم بنت مالك بن النجار، ومنه ثلاثة بطون، وهي:

---

(١) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ج ٢، ص ٣٥٦.

(٢) **سارِدة:** مأخوذة من السَّرد، والسَّرد: ضَمُّك الشيء بعضه إلى بعض، نحو النَظم وما أشبهه؛ ابن دريد: الاشتقاق، ج ٢، ص ٤٦١.

(٣) ابن حجر: الإصابة، ج٥، ص ٢١.

(٤) ابن حبيب: مختلف القبائل ومؤتلفها، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان،١٤٠١هـ = ١٩٨١م، ص ٣٩.

(٥) ابن قتيبة: المعارف، ص ١٠٩.

(٦) السمعاني: الأنساب، ج ١، ص ١٦٤.

(٧) ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ج ١، ص ٤١٤؛ ابن حزم، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٥٣.

١- بنو سالم:

وكانت منازلهم بين قُبَاء والمدينة، وقد صلى رسول الله ﷺ الجمعة عندهم في طريقه من قباء إلى دار بني النجار في حادث الهجرة، ومنهم مالك بن العجلان، الذي سيطر على المدينة، وحَدَّ من نفوذ اليهود بها[١].

٢- بنو غنم بن عمرو:

ويُدْعَون بني قَوْقَل أو القواقلة[٢]، وسُمِّي قوقل؛ لأن الرجل كان إذا نزل المدينة قيل له: "قَوْقِلْ حيث شئت"، أي: انزل حيث شئت فإنك آمن[٣]، ومنهم: عبادة بن الصامت، شهد العقبة، وكان نقيبًا، وله نسل بالأندلس في قول ابن حزم[٤]، ومنهم أيضًا النعمان بن قوقل الذي أقسم على ربه أن يطأ بعرجته في الجنة، فاستشهد في أُحُد[٥].

٣- بنو الحُبْلَى:

وسُمِّي بذلك لعظم بطنه،أو بلفظ المرأة الحُبْلَى، ومنهم: عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين[٦].

٢- بطون قبيلة الخزرج ومنازلها

يتكون التنظيم القبلي عادة من لَبِنَات متعددة، تتمايز فيما بينها من حيث الكِبَر والحجم ودرجة القربى، وتشكل العشيرة أو البطن، والتي يُعبَّر عنها عادة بمصطلح بني فُلان، وهي الخلية الأساسية والوحدة البنائية للمجتمع القبلي، ولقد كان شظف العيش في الصحراء وقسوة الحياة بها وقلة الموارد المادية من الأسباب التي جعلت وحدة قبلية صغيرة – كالعشيرة أو البطن – غير قادرة على العيش والبقاء وحيدة في عالم يحكمه منطق الغزو والقوة.

---

(١) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ج ٢، ص ٣٥٣.

(٢) **القَوْقَلة:** التغلغل في الشيء والدخول فيه؛ ابن دريد: الاشتقاق، ج ٢، ص ٤٥٦.

(٣) ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ج ١، ص ٤١٤.

(٤) ابن حزم، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٥٤.

(٥) ابن حجر: الإصابة، ج٦، ص ٢٥٤.

(٦) السمهودي: وفاء الوفا، ج ١، ص ٣٥٩؛ ابن دريد، المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٥٨.

لهذا فقد كان تجمع العشائر والبطون في قبائل ضرورة حياتية مطلقة، ولقد كانت هناك أهمية كبرى لقاعدة: الفرد للقبيلة والقبيلة للفرد، وساد مبدأ "انْصُر أخاك ظالمًا أو مظلومًا[١]"[٢]. وكان إذا نَبِهَ ذكر شخص عاد فخره إلى القبيلة بأسرها، وإذا نزل عار بالقبيلة أصاب كل شخص منها[٣].

وكان للنسب عند العرب شأن كبير، ولا يزال العربي يقيم له وزنًا، فعلى نسب المرء في البادية تقوم حقوق الإنسان، بل حياته في الغالب، فنسب الإنسان هو الذي يحميه، وهو الذي يحافظ على حقوقه ويردع الظالم عنه، ويأخذ حق المظلوم منه[٤].

ولقد كان للمدينة وضع خاص في قلب شبه الجزيرة العربية؛ فقد كان تنافر سكان المدينة واختلاف أصولهم، وميلهم إلى حياة البداوة القائمة على الخصومة والتقاتل[٥]، أسبابًا أدت إلى صعوبة العيش داخل المدينة بين السكان؛ فقد بدأ النزاع للسيطرة على المدينة بين اليهود والأوس والخزرج، وبعد أن فرضت أسباب القوة سيطرة الأوس والخزرج على المدينة، قام النزاع وظلت الحروب بينهما لسنوات طويلة، بلغت مائة وعشرين سنة - في قول ابن إسحاق[٦] - حتى أدى ذلك إلى تفتت العشائر الخزرجية في المدينة، وإلى تقديم مصلحة العشيرة على سياسات القبيلة، وأغلب الظن أن هذه الحروب كان يثيرها بعض الأفراد الذين ليس لهم شأن كبير في مجتمع القبيلة، وأنها كانت تقوم لأسباب تافهة[٧].

---

(١) وقد وردت هنا بمعناها الحقيقي، لا بالمعنى التي وردت به في حديث رسول الله ﷺ بكف يد الظالم عن ظلمه.

(٢) كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمير فارس، منير البعلبكي، دار العلم، بيروت، لبنان، ١٣٨٨هـ = ١٩٦٨م، ص ١٨.

(٣) بطرس البستاني: أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، بيروت، لبنان، (ب - ت)، ص ٢٠.

(٤) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج ١، ص ٤٦٦.

(٥) نفسه، ج ٤، ص ١٤٠؛ شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، دار المعارف، القاهرة، ط ٢٤، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م، ص ٥٤.

(٦) السمهودي: وفاء الوفا، ج ١، ص ٣٨٥.

(٧) جواد علي: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٣٩.

وبسبب هذه الصراعات - التي لا تنتهي بين البطون والعشائر في المدينة - وجب إنشاء حصون للحفاظ على الأطفال والنساء، وتكون مخازن تجمع فيها الغلال والثمار، ومرجعًا لكنز الأموال والسلاح، وغير ذلك مما يغنم في الحروب، ومن بعض الأعراب الذين يهاجمون المدينة من خارجها، وسميت تلك الحصون باسم الآطام، وهي جمع أطم(١).

وقد جاء اليهود من الشام بفكرة بناء هذه الحصون، وقد بلغ عدد آطام اليهود بالمدينة تسعة وخمسين أطمًا، وكان هناك ثلاثة عشر أطمًا للعرب النازلين على اليهود قبل الأوس والخزرج(٢)، وقد تحارب الأوس والخزرج على الآطام، وصاروا يؤَرِّخُون بـ (عام الآطام)(٣).

وكان البطن يملك أطما أو آطامًا، وهذه الآطام كانت ملكًا خاصًّا بالأسر العريقة، وكان رئيس الأسرة صاحب السلطان في الأطم، كما كان يعد زعيمًا من زعماء البطون(٤)، وكان في يثرب بطون لم تكن تملك الآطام، فكانت تدخل تحت حماية البطون الكبيرة في آطامها، ويعتبرها البطن الكبير من مواليه، وكان البطن الصغير مضطرًّا إلى مساعدة البطن الكبير في حروبه؛ وإلا رُمِي بالعصيان والتمرد، وعلى الرغم من ذلك حافظت البطون الصغيرة على شخصيتها، ولم تسمح للبطون الكبيرة بالحد من حريتها(٥).

وكانت بعض البطون في الحروب الأخيرة تقف على الحياد، ولا تساعد القبيلة في حروبها؛ وكان ذلك لأسباب اقتصادية، أو ميلًا للدَّعة وكرهًا للحروب، التي كان يقتل فيها الكثيرون، وكانت تؤدي إلى ضعف البطون، ومن هؤلاء بنو الحُبْلَى الذين لم يشتركوا

---

(١) إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود في بلاد العرب، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، (د - ت)، ص ١١٦.

(٢) السمهودي، وفاء الوفا، ج ١، ص ٣٠٨.

(٣) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج ٤، ص ١٣٢.

(٤) إسرائيل ولفنسون، مرجع سابق، ص ١١٦، ١١٧.

(٥) نفسه، ص ١١٨؛ أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م، ص ٢٦٥.

في يوم بُعاث؛ كما أنه كان من الممكن أن تتنازع عشائر البطن الواحد فيما بينها، فيحاول بعضها أن ينتزع ما في يد الآخر[١].

وإذا استعرضنا أهم هذه البطون التي أثرت في تاريخ قبيلة الخزرج، وكان لها دور بارز في الصراعات الجاهلية، أو في نصرة الإسلام فيما بعد، نجدها كالتالي:

بطون بني النجار

وهم من ولد تيم الله النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة، الذي خرج من صلبه كثير من البطون؛ كان أهمها:

بنو حُدَيْلَة[٢]:

ويدعون بني معاوية أيضًا[٣]، وهم من أبناء عمرو بن مالك بن تيم الله النجار، وقد نسبوا إلى أُمِّهم حُدَيْلَة بنت مالك بن زيد مناة[٤]، وسكنوا شمال البقيع[٥].

وقد ابتنى بنو حُدَيْلَة أطمين؛ أحدهما يسمى مِشْعَط[٦] أو مُسْعُط[٧]، كان في غربي مسجدهم الذي يقال له مسجد أُبيّ – نسبة إلى أُبيّ بن كعب – الذي كناه رسول الله ﷺ

(١) أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، ص ٢٦٦.

(٢) **بنو حُدَيْلَة:** بضم الحاء المهملة وبدال مهملة، وقيل أيضًا في اسمهم: بنو جُذَيْلَة بجيم وذال معجمتين، وقيل: خُذَيْلَة بخاء معجمة؛ ابن حبيب: مختلف القبائل ومؤتلفها، ص ٤٢؛ السمهودي: وفاء الوفا، ج ١، ص٣٧٨.

(٣) وهم غير بني معاوية بن مالك من قبيلة الأوس، نفسه، ج ١، ص ٣٧٩.

(٤) ابن حبيب: المصدر السابق، ص ٤٢.

(٥) صالح أحمد العلي: الحجاز في صدر الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م، ص٥١٥.

(٦) السمهودي: المصدر السابق، ج ١، ص ٣٧٨.

(٧) **مُسْعَط:** بضم أوله وسكون السين وفتح العين، أو بضم العين، وهو أطم بالمدينة، وقال عنه النبي ﷺ: "إن كان الوباء في شيء فهو في ظل مُسْعُط"، البكري: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ، ج ٤، ص ١٢٢٦.

قائلًا: "ليهنئك العلم أبا المنذر"[١]، وكناه عمر بن الخطاب بأبي الطُفَيل، وكان عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ يقول: "أُبي سيد المسلمين"[٢].

بنو مَغَالة:

وهم من أبناء عمرو بن مالك بن تيم الله النجار، وأمهم: مَغَالة بنت فُهَيْرَة بن عامر بن بياضة من بني غَضْب بن جشم بن الخزرج، وإليها ينسبون[٣]، ومنهم المنذر بن حرام بن عمرو، وهو الذي تحاكمت إليه الأوس والخزرج في يوم سُمير، وهو جد حسان بن ثابت، شاعر الرسول، وكان لأبيه أطم يسمى فَارِع[٤]، بجوار المسجد النبوي[٥].

بنو مَبْذُول[٦]:

وهم من ولد مالك بن تيم الله النجار، وأُمُّهُم كَبْشَة بنت الخزرج بن الحارث، وابتنى بنو مبذول أطمًا يقال له الفَلَج، وأطمًا آخر كان في دار آل حُيَيّ بن أخطب، كان لبني مالك بن مبذول، وأطمًا كان في دار سرجس مولى الزبير، التي تقع في بقيع الزبير، وكان لآل عبيد بن النُّعْمان[٧]، ويقول السمهودي: "إن بقيع الزبير كان شرقي الدور التي تلي قبلة المسجد النبوي بجوار بني زُرَيْق وبني غنم"، ونستنتج من هذا أن دورهم كانت جنوب المسجد النبوي، وكان منهم الحارث بن الصمَّة بن عمرو بن عتيك، شهد أحدًا، وقتل يوم بئر معونة شهيدًا[٨].

---

(١) ابن حجر: الإصابة، ج ١، ص ١٦.

(٢) ابن الأثير: أسد الغابة، تحقيق: علي معوض، وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م، ج ١، ص ١٦٩.

(٣) ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ج ١، ص ٣٩١.

(٤) **فَارِع:** على وزن فاعل، الفارع: المرتفع العالي، وهو أطم بالمدينة؛ ابن منظور: لسان العرب، ج٨، ص٢٤٦؛ ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٢٨.

(٥) السمهودي، وفاء الوفا، ج ١، ص ٣٧٧.

(٦) **مَبْذُول:** مفعول من البَذْل، بَذَل يَبذُل بَذْلا فهو بَاذِل، والمِبْذَل: ثوب تَبتَذِلَه المرأة في بيتها، ابن دريد: الاشتقاق، ج ٢، ص ٤٥٠.

(٧) السمهودي: المصدر السابق، ج ١، ص ٣٧٩، ٣٨٠.

(٨) ابن الأثير: المصدر السابق، ج ١، ص ٦١٥.

بنو غَنْم:

وينسبون إلى غَنْم بن مالك بن تيم الله النجار، ويسكنون شرقي المسجد النبوي، ولهم أطم يسمى الفُوَيْرِع، ويسمى مسجدهم مسجد المبرك؛ لأن راحلة النبي ﷺ بركت فيه[١]، ومنهم: أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري، الذي ضَيَّف النبي ﷺ، وشهد بدرًا والعقبة، وتوفي في أرض الروم، بالقرب من القسطنطينية[٢]، ومنهم - أيضا - زيد بن ثابت، الذي تنسب إليه الفرائض[٣]، وكان يحمل راية بني مالك بن النجار في غزوة تبوك، وكان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ[٤].

بنو مازن:

وهم من مازن بن تيم الله النجار، دارهم قبلي بئر البُّصَّة، القريبة من بقيع الغرقد[٥]، وتسمى هذه الناحية اليوم ببني مازن، وابتنوا بها أطمين؛ أحدهما يقال له واسِط[٦]، ولقد رضع إبراهيم ابن رسول الله ﷺ في بني مازن، أرضعته خولة بنت المنذر النجارية (أم بُرْدَة)، زوجة البراء بن أوس بن خالد بن الجَعْد المازني النجاري[٧].

بنو دِينار:

وهم من ولد دينار بن تيم الله النَّجَار، ونقل السمهودي عن ابن زُبَالة قوله: "نزل بنو دينار دارهم التي خلف بُطْحان[٨] المعروفة بهم، في الجهة الغربية منه، وابتنوا بها أطمًا يقال

(١) الفيروزآبادي: المغانم المطابة في معالم طابة، تحقيق: حمد الجاسر، ط١، ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م، ص ٣٢٠؛ صالح أحمد العلي: الحجاز في صدر الإسلام، ص ٥١٨، ٥١٩.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ١، ص ٢٥٤؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٢، ص ١٢١.

(٣) ابن دريد: الاشتقاق، ج ٢، ص ٤٥٠.

(٤) ابن الأثير، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٤٧.

(٥) عبد الله عبد العزيز إدريس: مجتمع المدينة في عهد الرسول، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية، ط١، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م، ص ١٥٩.

(٦) السمهودي: وفاء الوفا، ج ١، ص ٣٨٠.

(٧) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مطبعة بريل المسيحية، ليدن، هولندة، ١٣٠٠هـ = ١٨٨٣م، ج ٢، ص ٩٥.

(٨) **بُطْحان:** وادي بالمدينة، حكاه ياقوت بالضم ثم السكون (بُطْحان)، وحكاه صاحب معجم ما استعجم: (بَطِحَان) بفتح أوله وكسر ثانيه، وورد في المغانم المطابة (بُطْحان) بالضم ثم السكون، البكري: معجم ما استعجم، ج ١، ص ٢٥٨؛ ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٤٤٦.

له المنيف، عند مسجدهم المسمى بمسجد بني دينار"، وكان لهم بئر يسمى البُقْع[(١)]، ومنهم عُلَيَّة بن عمرو بن زيد بن واهب الشاعر، والنُعمان بن عبد بن عمرو بن مسعود (ت: ٣هـ)، شهد بدرًا، وقتل يوم أحد[(٢)].

بنو عَدِي:

وينتسبون إلى عدي بن تيم الله النجار بن ثعلبة، وكانت دارهم غربي المسجد النبوي، بالقرب من دار بني حُدَيْلَة، في قول السمهودي[(٣)]، وكان لهم أطمان بالمدينة؛ أحدهما: أطم (العُرْيَان)، وكان في صقع القبلة، وهو لآل النَّضْر رهط أنس بن مالك[(٤)] خادم الرسول ﷺ، والأطم الآخر يسمى (الزَاهِرِيَة)، نسبة لامرأة سكنته[(٥)].

وكان منهم بطن صغير هم بنو مِلْحَان، واسم مِلْحَان: مالك بن خالد بن دينار بن حرام بن النجار، كان بدريًّا، وقتل يوم بئر معونة شهيدًا. ومنهم أنس بن النضر بن ضمضم، من شهداء أحد[(٦)]. وأبو أنس بن صرمة النجاري، وكان شاعرًا جاهليًّا[(٧)].

بطون بني عَوْف

وهم من عوف بن الخزرج، وخرج منه ثلاثة بطون ذات أهمية كبرى.

بنو سالم:

ونزل بنو سالم بن عوف الدار التي يقال لها دار بني سالم، وهي على طرف الحرة الغربية[(٨)]، غربي الوادي الذي به مسجد الجمعة ببطن رَانُونَاء[(٩)]، وذلك يعني أن منازلهم

(١) الفيروزآبادي: المغانم المطابة، ص ٦١.
(٢) ابن دريد: الاشتقاق، ج ٢، ص ٤٥٤.
(٣) نفسه، ج ١، ص ٣٨٠.
(٤) ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ١١٣؛ الفيروزآبادي: المصدر السابق، ص ٢٦٠.
(٥) السمهودي: وفاء الوفا، ج ١، ص ٣٨٠.
(٦) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ج ٢، ص ٣٥١.
(٧) ابن دريد: المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٥٤.
(٨) السمهودي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٥٨.
(٩) **رَانُونَاء:** على وزن عاشوراء، وادٍ يصب في بطحان؛ ياقوت، المصدر السابق، ج ١، ص ١٩.

هي الحرة التي تلي جنوبي وغربي قلعة قباء(١)، وصلى رسول الله ﷺ في مسجدهم أول جمعة صلاها بالمدينة(٢).

ويتفرع منهم بطن صغير هو بنو العجلان، وابتنوا آطامًا؛ منها أطم الشَّمَّاخ، كان خارجًا عن بيوت بني سالم من جهة القبلة، وكان لبني أمية بن زيد بن سالم، بناه سالم وغنم ابنا عوف بن الخزرج(٣)، ومنها - أيضًا - المزدلف، وهو أطم لعِتْبَان بن مالك بن العجلان السالمي، الذي كان يؤم بني سالم بعد الإسلام(٤)، وقيل كان لمالك بن العجلان قاتل الفِطْيُّون(٥)، وأطم القواقل، وكان لبني سالم بن عوف الخزرجي(٦)، طرف بيوت بني سالم من ناحية العُصَبَة(٧).

بنو غَنْم:

وهم ولد غَنْم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، وهو قَوْقَل، وكانوا بجوار بني سالم بن عوف، على طرف الحرة الغربية، بوادي رَانُونَاء، ومنهم بيوت صغيرة، كبني مرضخة وبني ثعلبة(٨)، ومنهم عبادة بن الصامت، شهد العقبة، وكان نقيبًا على القواقل، واستعمله الرسول ﷺ على بعض الصدقات، وكان من الخمسة الذين جمعوا القرآن في حياة الرسول ﷺ(٩).

---

(١) عبد الله عبد العزيز إدريس: مجتمع المدينة في عهد الرسول، ص ١٥٧.

(٢) ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٩.

(٣) الفيروزآبادي: المغانم المطابة، ص ٢٠٨.

(٤) ابن الأثير: أسد الغابة، ج ٣، ص ٥٥١؛ ابن حجر: الإصابة، ج ٤، ص ٢١٣.

(٥) ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ج ١، ص ٤١٥.

(٦) الفيروزآبادي، المصدر السابق، ص ٣٥٢.

(٧) **العُصَبَة:** بوزن هُمَزَة، موضع بقباء، ياقوت: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٢٨.

(٨) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ج ٢، ص ٣٥٤.

(٩) ابن الأثير، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٥٨، ١٥٩.

بنو الحُبْلَى:

وينسبون إلى غنم بن عوف بن الخزرج، الذي ولد سالما، وهو الحُبْلَى، وكانت دارهم بين قباء ودار بني الحارث بن الخزرج، شرقي وادي بُطحان وصُعَيب[١]؛ كذا قال السمهودي[٢]، أما رواية ابن حزم فقال فيها: "كانت دارهم بين دار بني النجار ودار بني ساعدة[٣]"، وابتنوا آطامًا منها: مُزَاحِم، وكان لعبد الله بن أُبَيّ بن سلول[٤].

بطون بني جُشَم

كان لجُشَم بن الخزرج ولدان؛ أحدهما: غَضْب بن جُشَم بن الخزرج، وخرج منه بطنان عظيمان: بنو بَيَاضَة وبنو زُرَيْق، وهما أخوان، والآخر: هو تزيد بن جشم بن الخزرج، ومنه بطنان بنو سَلِمَة - بكسر اللام - وبنو أُدَيّ، وهو بطن صغير[٥].

بنو بَيَاضَة:

وهم من ولد عامر بن زريق، ومَاوِيَة بنت ثَعْلَبَة[٦]، وكان العدد والعدة في بني بياضة، وقد أورد السمهودي: "أن دار بني بياضة كانت شامي دار بني سالم بن عوف، وقبلي دار بني مازن"[٧]، في حين أن ابن زُبَالة قال: "إن منازلهم تمتد إلى منزل بني ساعدة"، وقد بنوا بدورهم الآطام[٨].

---

(١) **صُعَيب:** موضع في ديار بني الحارث، البكري: معجم ما استعجم، ج ٣، ص ٨٣٤.

(٢) وفاء الوفا، ج ١، ص ٣٥٩، ٣٦٠.

(٣) جمهرة أنساب العرب، ج ٢، ص ٣٥٥.

(٤) **مزاحم:** بالضم والحاء مهلمة، اسم أطم بالمدينة؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص١٢٠.

(٥) ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ج ١، ص ٤٢٥.

(٦) نفسه، ج ١، ص ٤٢١.

(٧) السمهودي، وفاء الوفا، ج ١، ص ٣٦٨.

(٨) نفسه.

وروى ابن زُبَالة: "أنه كان بدارهم تسعة عشر أطمًا"، وأنه كان لبني أمية بن عامر بن بياضة خاصة ثلاثة عشر أطمًا، منها أطم أَسْوَد وكان في الحَرَّة، وأطم عقرب في الحرة الغربية، وأطم سويد وكان لغنام بن أوس بن عمرو بن بياضة[١]، ومنها أطم اللواء. ومن ديار بني بياضة نقيع الخَطِمات[٢]، وهَزْم النبيت - جبل بالمدينة - من حرتهم[٣].

ولقد كان منزل بني بياضة منزلًا أيضًا لكثير من فروع بني غَضْب، كبني زُرَيْق، وبني عذارة، وكانت بني عذارة أقل بطون مالك بن غضب عددًا، وكانوا ذوي شراسة وشِدَّة بأس، فقتلوا قتيلًا من بني مالك بن غضب، ورفض أهل القتيل الدية، فخرجوا من دار بني بياضة ونزلوا على بني عمرو بن عوف من الأوس، فحالفوهم وصاهروهم، وامتنعوا من بني بياضة[٤].

ومن فروع بني غضب بن جشم أيضًا بنو الأجدع وبنو اللين، اللذان كان بينهما شجار في الجاهلية، فتداعوا لدخول حديقة والاقتتال فيها، فاقتتلوا حتى لم تعد فيهم عين تَطْرُف، وانقرض بنو أجدع، أما بنو اللين فبقي منهم رجلان ثم انقرضا بعد ذلك، وكان بنو مالك بن غضْب - سوى بني زريق - ألف مقاتل في الجاهلية[٥]، ومن بني بياضة زيد ابن الدُّثِنَة البياضي[٦]، شهد بدرًا وأحدًا، وصلبته قريش بالتنعيم[٧]، ومنهم زياد بن لبيد البياضي عامل رسول الله ﷺ باليمن، والذي توفي أول خلافة معاوية[٨].

---

(١) الفيروزآبادي: المغانم المطابة، ص ١٩١.

(٢) **نَقِيع:** النقيع في اللغة، القاع، الموضع الذي يستنقع فيه الماء، والبئر الكثيرة الماء، والخَطِمات، أو الخضمات، والخضيمة: النبات الناعم الأخضر الغض، أو الأرض الناعمة النبات، وهو واد على الطريق إلى مكة؛ الخليل ابن أحمد: معجم العين، ج ١، ص ١٧٣؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص ٣٠١، ٣٠٢.

(٣) عبد الله عبد العزيز إدريس: مجتمع المدينة في عهد الرسول، ص ١٥٨.

(٤) السمهودي: وفاء الوفا، ج ١، ص ٢٧٢، ٢٧٣.

(٥) نفسه.

(٦) **الدُّثِنَة:** من قولهم: دثَّن الطائر، إذا طاف حول وكره ولم يسقط عليه؛ ابن دريد: الاشتقاق، ج ٢، ص ٤٦١.

(٧) ابن الكلبي : نسب معد واليمن الكبير، ج ١، ص ٤٢١.

(٨) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص ٣١٩.

بنو زُرَيْق:

وهم ولد زريق بن عامر بن زريق، ومُرَّة بنت مالك بن الأوس، وكانت منازلهم مع بني بياضة، وكان العدد والعُدَّة في بني زريق، وقد دخل بنو زريق في صراع مع بني حبيب - جزء من بياضة - لقتيل قتلوه، فخافوا على أنفسهم بعد تحالف بني حبيب وبني بياضة، فخرجوا من دار بني بياضة ونزلوا عند بئر ذَرْوَان[١]، وبنوا أطمين؛ أحدهما يقال له الرَيَّان، ثم عرضوا الصلح ودفع الدية، وكانت الدية ما يعرف باسم زُقَاق الدية؛ حيث تنازلوا عن جزء من ديارهم[٢] لبني حبيب، وكان لهم أطم يسمى العِقيان، كان لبني عمرو بن عامر بن زريق[٣].

بنو سَلِمَة:

وهم أبناء تزيد بن جشم، ونزل بنو سلمة ما بين مسجد القبلتين في وادي العقيق إلى المُذَاد[٤] أطم بني حرام، غربي مسجد الفتح، وكانت دارهم هذه تسمى خَرْبَى[٥]، وسماها رسول الله ﷺ (طُلْحَة) في قول ابن زبالة، وقيل سماها (صَالِحَة) [٦]. وكثرت بطون بني سَلِمَة كبني سواد بن غنم الذين بنوا أطمًا يقال له الأغلب، وأطمًا يسمى خَيْط، في شرقي مسجد القبلتين، وآخر يسمى منيع، وكان لأبي كعب بن سواد[٧].

ومن بطون بني سلمة - أيضًا - بنو عبيد بن غنم الذين نزلوا عند مسجد الخربة إلى الجبل الذي يقال له: جبل الدويخل، وابتنوا أطم الأشنف، وقد كان للبراء بن معرور بن عبيد، وأطم الأطول عند قبلة مسجد الخربة[٨].

---

(١) **ذَرْوَان:** بفتح أوله وسكون ثانيه، وهو بئر لبني زريق؛ ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ٥.
(٢) الفيروزآبادي: المغانم المطابة، ص ١٤٦.
(٣) السمهودي: وفاء الوفا، ج ١، ص ٣٧١.
(٤) **المُذَاد:** واد بين سَلْع وخندق المدينة، ياقوت، المصدر السابق، ج٥، ص٨٨.
(٥) السمهودي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٦١.
(٦) البكري: معجم ما استعجم، ج ٤، ص ١٢٠٢، ١٢٠٣.
(٧) الفيروزآبادي، المصدر السابق، ص ٣٩٦.
(٨) نفسه، ص ١٣٧؛ السمهودي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٦٢، ٣٦٣.

ونزل بنو حرام بن كعب بن سلمة، عند مسجد بني حرام الذي بالقاع[١]، عند بئر غذق[٢]، وبنوا من الآطام: مأسدة، وهو أطم سميت به الناحية، وجَاعِس وقد ابتناه بنو حرام بن كعب بن غنم بن سلمة، في السهل الذي بين الأرض التي لجابر بن عتيك، والعين التي أنشأها معاوية بن أبي سفيان فيما بعد، وكان لعمرو بن الجموح بن زيد بن حرام[٣].

وبنى بنو مِرى بن كعب بن سَلِمَة – وهم حلفاء بني حرام – أطمًا يقال له: أخنس، وكان لبني حرام منزل آخر بشِعْب سَلْع[٤].

ولقد أطلق على بني سَلِمَة بعد الإسلام سَلِمَة بَدْر؛ لكثرة من شهدها منهم، فقد كان عدد من شهدها منهم ثلاثة وأربعين نفسًا[٥]، ومن بني سلمة الحباب بن المنذر بن الجموح، شهد بدرًا، وسُمِّي: (ذا الرَّأْي)؛ لمشورته يوم بدر ويوم خيبر على رسول الله ﷺ بشأن نزول جيش المسلمين[٦].

ومنهم: أبو قتادة بن ربعي، فارس رسول الله ﷺ، وبشر بن البراء بن معرور، سيد بني سلمة، الذي سَوَّدَه رسول الله ﷺ بقوله: "بل سيدكم الأبيض الجعد بشر بن البراء[٧]"، ومنهم أيضًا جميلة بنت قطبة بن يزيد، وكانت زوجة أنس بن مالك[٨].

---

(١) **القاع:** هو ما انبسط من السهلة، وقاع المدينة هي موضع أطم البلويين؛ ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٩٨.

(٢) نفسه.

(٣) الفيروزآبادي: المغانم المطابة، ص ٨٦.

(٤) **السلع:** شق في الجبل كهيئة الصدع، وهو جبل متصل بسوق المدينة؛ الخليل بن أحمد: معجم العين، ج ١، ص ٣٣٥؛ البكري: معجم ما استعجم، ج ٣، ص ٧٤٧.

(٥) ابن دريد: الاشتقاق، ج ٢، ص ٤٦٤؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج ١، ص ٦٦٥.

(٦) ابن هشام: سيرة النبي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م، ج٢، ص ١٤٣، ١٤٤.

(٧) ابن دريد، المصدر السابق، الصفحة نفسها؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٨٠.

(٨) ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ج١، ص ٤٣١؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ج٢، ص ٣٦٠.

بطون بني كَعْب

أنجب كعب بن الخزرج ساعدةً، فأنجب ساعدةٌ الخزرج، فولد الخزرج بن ساعدة ثَعْلَبَةً، وطريفًا، وعَمْرًا، وهم أهم بطون بني ساعدة.

بنو ساعدة:

نزل بنو ساعدة متفرقين في أربعة منازل، فنزلت بنو عمرو وبنو ثعلبة دار بني ساعدة، شرقي سوق المدينة مما يلي الشام، وورد عند ياقوت: "أن قرية بني ساعدة عند بئر بُضَاعة[١]، والبئر وسط بيوتهم[٢]"، وقال ابن زبالة: "إن لهم بها أطمًا يقال له مُعْرِض"[٣]، وهو آخر أطم بني بالمدينة، وقدم رسول الله ﷺ المدينة وهم يبنونه، فاستأذنوه في إتمامه، فأذن لهم فيه[٤].

ونزلت بنو قَشَبة - واسم قشبة عامر بن الخزرج بن ساعدة - قريبًا من بني حُديلة، وابتنوا أطمًا عند خوخة عمرو بن أمية الضمري[٥]، ونزلت بنو خُزيْمَة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة - وهم رهط سعد بن عبادة - الدار التي يقال لها: جِرَار سعد[٦]، وابتنوا أطمًا يقال له وَاسِط، ونزلت بنو وَقْش وبنو عنان ابنا ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة، الدار التي بين الحماضة - حائط لبني بياضة - وجرار سعد[٧].

---

(١) **بُضَاعَة:** بضم أوله وبالعين المهملة، وهي موضع دار لبني ساعدة، وقد ورد عن أبي سعيد الخدري أنه: "قيل لرسول الله ﷺ: أنتوصأ من بئر بضاعة وهي يطرح فيها الحيض ولحم الكلاب والنتن، فقال: رسول الله ﷺ: الماء طهور لا ينجسه شيء"؛ معجم البلدان: ج ١، ص ٤٤٢، ٤٤٣.

(٢) السمهودي: وفاء الوفا، ج ١، ص ٣٧٣، ٣٧٤.

(٣) **مُعْرِض:** بضم أوَّله وإسكان ثانيه، وهو أطم لبني ساعدة، وبها بئر مليحة الماء، البكري: معجم ما استعجم، ج ٤، ص ١٢٤٣.

(٤) السمهودي، المصدر السابق، ج١، ص ٣٧٤.

(٥) عمرو بن أمية بن خويلد الضمري، من بني ضمرة بن كنانة، وكان من مُهاجِرَة الحبشة؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ٢، ص ٨٥؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج ٤، ص ١٨١.

(٦) **جِرَار سعد:** موضع بالمدينة، كان سعد بن عبادة ينصب عليه جرار يبرد الماء لأضيافه به، وكان به أطم دُليم (دليم: جد سعد)، ويقع في شرقي المدينة مما يلي الشام، عند بئر بضاعة والبئر وسط بيوتهم؛ البكري، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٧٤؛ ياقوت، المصدر السابق، ج ٢، ص ١١٧.

(٧) السمهودي: المصدر السابق، ج ١، ص ٣٧٦.

ومن بني ساعدة، المنذر بن عمرو بن خُنَيْس بن ساعدة، شهد بدرًا، والعقبة، وكان نقيبًا، وقتل يوم بئر مَعُونَة، وكان أميرهم[١]، ومنهم مسلمة بن مُخَلَّد الساعدي، ولَّاه معاوية بن أبي سفيان مصر وإفريقية سنة خمسين، وهو أول من جُمِع له ولاية مصر والمغرب[٢].

بطون بني الحَارِث

وهم أبناء الحارث بن الخزرج بن حارثة، ونزل بنو الحارث دارهم المعروفة بهم بالعوالي، أي: شرقي وادي بُطْحان وتربة صُعَيب[٣][٤]، وابتنوا أطمًا كان لبني امرئ القيس بن مالك الأغر، ونزل جشم وزيد ابنا الحارث بن الخزرج - وهما التوأم - فسكنا السُّنْح على ميل من مسجد رسول الله ﷺ، وابتنوا أطمًا يقال له: السُّنْح، وبه سميت الناحية[٤]، وقد تفرع من الحارث بن الخزرج بطنان كبيران هما:

بنو خُدَارَة:

وهم بنو خُدْارَة بن عَوْف بن الحارث بن الخزرج، وسكنوا الدار التي يقال لها جِرَار سعد، مما يلي سوق المدينة، أي أن منازلهم كانت إلى الشمال من المسجد النبوي[٥]، ومنهم: أبو مسعود عُقبة بن خُدْارَة، عقبي، ولَّاه عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الكوفة حين صار إلى صفين[٦].

بنو خُدْرة[٧]:

وهم بنو الأَبْجَر، خُدْرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج، وسكنوا دارهم المعروفة

(١) ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ج ١، ص ٤١٢.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ٢، ص ٢٣١.

(٣) **صُعَيب:** موضع في ديار بلحارث بن الخزرج؛ البكري: معجم ما استعجم، ج ٤، ص ٨٣٤.

(٤) الفيروزبادي: المغانم المطابة، ص ١٨٧؛ السمهودي، وفاء الوفا، ج ١، ص ٣٥٦.

(٥) عبد الله عبد العزيز إدريس: مجتمع المدينة في عهد الرسول، ص ١٦٢.

(٦) ابن الكلبي، المصدر السابق، ج ١، ص ٤١٠؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ج ٢، ص ٣٦٢.

(٧) **خُدْرة:** بضم الخاء المعجمة، وسكون الدال؛ ابن حبيب: مختلف القبائل ومؤتلفها، ص ٩١.

ببني خُدْرة[١]، جنوب شرقي المسجد النبوي وجنوبي البقيع الواقع شرقي المسجد[٢]، وابتنوا أطمًا يقال له: الأجرد، وهو الأطم الذي يقال لبئره البُضَّة، وكان لمالك بن سنان[٣]؛ ومنهم: أبو سعيد الخدريّ، الذي حفظ عن رسول الله ﷺ سننًا كثيرة وعلمًا جَمًّا[٤].

***

(١) السمهودي: وفاء الوفا، ج ١، ص ٣٥٧.

(٢) عبد الله عبد العزيز إدريس: مجتمع المدينة في عهد الرسول، ص ١٦٢.

(٣) الفيروزآبادي: المغانم المطابة، ص ٨.

(٤) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ١، ص ٢٦١.

٢- تاريخ قبيلة الخزرج قبل الإسلام

كانت الأَزْد مجموعة ضخمة من القبائل، وقد عدها النسابون جُرثُومَة من جراثيم قحطان، وقد ذكروا أنها كانت سبعًا وعشرين قبيلة[١]، منها الأنصار - الأوس والخزرج- ولقد عاشت الأزد في أرض سبأ باليمن، التي قال عنها الله تبارك وتعالى: "بَلْدَةٌ طَيِبَةٌ"[٢]، وعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنه قال: "إنها كانت أخصب البلاد وأطيبها"، وقيل: إنها لم تكن سبخة[٣].

وكان عمرو مُزَيْقِيَاء بن عامر ماء السماء، كبير الأزد اليمنية، ومن ساداتها، وله من القصور والأموال ما لم يكن لأحد، فرأى أخوه عمران - وكان كاهنًا - أن قومه سيمزقون وتخرب بلادهم فذكره لعمرو، ثم سجعت له طريفة الكاهنة سجعًا دل على انهيار سد مأرب، وأخبرته أن علامة ذلك أن يرى جرذانًا ضخمة تحفر في أساسات السد[٤]، فاعتزم عمرو مُزَيْقِيَاء على النُّقلة من اليمن، فكاد لقومه بأن أمر أصغر ولده إذا أغلظ عليه ولطمه أن يقوم إليه فيلطمه، ففعل ابنه ما أمره به، فحلف ألا يقيم ببلد لطم فيه، وعرض أمواله للبيع، فقال أشراف اليمن: "اغتنموا غضبة عمرو"، فاشتروا منه أمواله، فخرج في ولده وولد ولده، وقالت الأزد: "لا نتخلف عن عمرو بن عامر، فباعوا أموالهم، وخرجوا معه"[٥].

---

(١) أبو عمر يوسف بن عبد البر: الإنباه على قبائل الرواة، مكتبة القدسي، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ١٣٥٠هـ = ١٩٣١م، ص ١٠٦.

(٢) سبأ: ١٥.

(٣) شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ): الجامع لأحكام القرآن المعروف بـ (تفسير القرطبي)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م، ج١٤، ص ٢٨٤؛ السمهودي: وفاء الوفا، ج ١، ص ٣٠٩.

(٤) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج ٣، ص ٤٠٩.

(٥) ابن هشام: سيرة النبي، ج ١، ص ٢٨.

وتفرق الأزد في البلاد، فنزل آل جَفْنَة بن عمرو بن عامر الشام، ونزلت الأوس والخزرج يَثْرِب، ونزلت أزد السَّراةِ السراة، ونزلت أزد عُمان عمان، ثم أرسل الله سيل العَرِم على السد فهدمه[١].

ويتضح لنا من قصة ابن هشام أن نزوح الأوس والخزرج إلى يثرب حدث قبل سيل العرم[٢]، ولكن صاحب الأغاني يعتقد أن خروج الأزد من اليمن حدث بعد سيل العرم؛ فقد قال: "لما أرسل الله سيل العرم على أهل مأرب، وهم الأزد، قام رائدهم فعدد خصائص كل منطقة، ثم قال: من كان يريد الراسخات في الوحل، والمُطْعِمَات في المَحْل فليلحق بيثرب ذات النخل، فكان الذين سكنوها الأوس والخزرج "[٣]. على أن إسرائيل ولفنسون يعرض لنا رأي الخضري بك، مرجحًا الرأي الأخير لسببين؛ أحدهما: أنه يستحيل أن يترك المرء دياره لمجرد خبر، خصوصًا أنه سيسير إلى بلد لا علم له بها. والآخر: أن القصة التي ذكرت في سورة سبأ يفهم منها أن سيل العرم أصابهم، وبدل من شكل أرضهم وهم يقيمون بها[٤].

وهناك أسباب أخرى - بجانب تَهَدُّم السد - أدت إلى هجرة هذه القبائل إلى شمال الجزيرة العربية، منها: ضعف الحكومة في اليمن، وظهور المشاحنات بين القبائل، والتدخلات الخارجية في شئون اليمن، واضطراب الأمن، ومما زاد الأمر سوءًا تحول الطرق التجارية[٥] بعد سيطرة الرومان على البحر الأحمر[٦].

---

(١) **العَرِم:** المطر الشديد، وقيل: السد، وقيل: جُرَذٌ أعمى؛ ابن دريد: الاشتقاق، ج ١، ص ٤٨٩.

(٢) سيرة النبي: ج ١، ص ٢٨.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، مطبعة التقدم، القاهرة، مصر، بدون تاريخ، ج١٩، ص٩٥.

(٤) إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ٥٢، ٥٣؛ أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، ص ٢٦٠.

(٥) أحمد أمين سليم: تاريخ وحضارة العرب في العصور القديمة، دار المعرفة، الإسكندرية، مصر، ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م، ص ١٦٧.

(٦) أكرم ضياء العمري: المجتمع النبوي في عهد النبوة، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م، ص ٦٠.

ويشكل تاريخ انتقال الأوس والخزرج إلى يثرب موضع خلاف هو الآخر، فيحدد البعض - وأهمهم (سديو) - تاريخ هجرتهم بعام (٣٠٠م)، ثم سيطرتهم على يثرب في عام (٤٩٢م) [١]، ويوافق الأستاذ أحمد أمين سديو في ذلك[٢]، وهناك رأي آخر للدكتور/ حسن إبراهيم حسن، يقول: إن السد انهار سنة (٥٦٥م)، في حين أن جواد علي يرى أن انهيار السد وهجرة الأوس والخزرج ليثرب كان عام (٥٢٠م) [٣].

ويمكننا القول إن السد لم يتهدم مرة واحدة، وإنما صارع عوامل الزمن والطبيعة، وإهمال الإنسان طيلة الفترة التي كان قائمًا فيها، ولا ريب أنه تأثر بتلك التحولات السياسية والاقتصادية التي شهدتها اليمن قديمًا[٤]، ومع أن الغموض يكتنف أسباب هجرة الأوس والخزرج إلى يثرب؛ إلا أن هذا لا ينفي حقيقة هجرتهم، والتي نميل إلى إرجاع زمنها إلى الفترة الواقعة ما بين القرنين الرابع والخامس للميلاد[٥].

حال يثرب قبل هجرة الأوس والخزرج:

تقع يثرب شمالي شبه جزيرة العرب، على بعد ثلاثمائة ميل - نحو ٥٠٠كم - شمالي مكة، عند تلاقي دائرة عرض (٢٥ْ) شمالًا، وخط طول (٤٠ْ) شرقًا[٦]، ويصل ارتفاعها عن سطح البحر إلى ٦٣٩ مترًا[٧]، وهي مدينة قديمة ذكرتها الكتابات البابلية القديمة، التي ترجع إلى القرن السادس قبل ميلاد السيد المسيح، كما وردت في كتابات بطليموس الجغرافي، وفي الكتابات المعينية القديمة[٨]، ولقد اختلف المؤرخون في سبب تسميتها

---

(١) تاريخ العرب العام، ترجمة: عادل زعيتر، القاهرة، ١٣٦٧هـ = ١٩٤٨م، ص ٥١.

(٢) نقلًا عن أحمد علي المجدوب: المستوطنات اليهودية في عهد الرسول ﷺ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط ٢، ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م، ص ٥٣.

(٣) نفسه.

(٤) يقول سديو، ص ٣٦: إن أول تصدع للسد كان سنة ١٢٠م.

(٥) عبد الله عبد العزيز إدريس: مجتمع المدينة في عهد الرسول، ص ٥٧.

(٦) عمر رضا كحالة: جغرافية جزيرة العرب، دمشق، سوريا، ١٣٦٤هـ = ١٩٤٥م، ص ١٣٩.

(٧) Crichton, Andrew. History of Arabia. Vol.1, Edinburg (1833).p.86.

(٨) أحمد أمين سليم: تاريخ وحضارة العرب في العصور القديمة، ص ١٦٣.

يَثْرِب؛ هل كان ذلك نسبة إلى أحد أحفاد سام بن نوح، أو اشتق الاسم من الثَّرَب بمعنى الفساد، أو التثريب، أي: المؤاخذة بالذنب(١).

ويجد الدارس لطبوغرافية يثرب أن الغالب على أرضها السِّبَاخ(٢)، ويعرف الجزء الجنوبي منها باسم العالية، وهو أكثر ارتفاعًا، في حين أن الجزء الشمالي يعرف بالسافلة(٣).

ومن أبرز جبال يثرب جبل أحد في شمالها، وهو أقرب الجبال إليها، وجبل سلع - بفتح أوله وسكون ثانيه - وهو جبل عظيم شامخ في شمالها أيضًا، في حين يقع جبل عَيْر في جنوبها الغربي، وهو على شكل جبلين أحمرين متقاربين ببطن وادي العقيق(٤).

كما يحيط بيثرب من جهتي الشرق والغرب تكوينات بركانية عظيمة، عرفت هذه التكوينات باسم لابَّتي المدينة أو حَرَّتيها، مكونة ما يعرف باسم "حرار المدينة"(٥)، وأهمها: حرة واقم، وهي الشرقية، سميت برجلٍ من العماليق يدعى واقم، وهي أكثر خصوبة وعمرانًا، وحرة الوبرة، وتفصل بين المدينة ووادي العقيق على ثلاثة أميال من المدينة من جهة الغرب، وهي قليلة العمران، وحرة قباء في جنوبي المدينة(٦).

وللمدينة عدة أودية، تجري خلالها السيول والأمطار، من أشهرها: وادي العقيق غربي المدينة، وبه عيون ونخل، ووادي بطحان الذي يمر بوسط المدينة، متجهًا ناحية الشمال، وبها أيضًا وادي مذينب ووادي مهزور، في الجنوب الشرقي من المدينة، ويحصران بينهما

(١) ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص ٤٣٠.

(٢) أبو الفداء: تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، الجمهورية الفرنسيه، ١٢٦٦هـ = ١٨٥٠م، ص٨٧.

(٣) عبد الله عبد العزيز إدريس: مجتمع المدينة في عهد الرسول، ص ١٩.

(٤) **عَيْرٌ:** الوتد، كل ناتئ في وسطه مستوى، جبلين يقال لأحدهما: عير الوارد، والآخر: عير الصادر بالمدينة، وهو موضع جبل بالحجاز؛ ياقوت، مصدر سابق، ج ٤، ص ١٧١.

(٥) **الحِرار:** هي أرض ذات حجارة سوداء نخرة كأنها أحرقت بالنار، وتجمع على حِرار وحَرَّات، ومنها حرة بني بياضة، وحرة الحوض، وحرة واقم، وحرة قباء؛ البكري: معجم ما استعجم، ج ٢، ص ٤٣٥ وما بعدها؛ ياقوت، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٤٥، ٢٥٠.

(٦) الفيروزآبادي: المغانم المطابة، ص ١١٢.

عوالي المدينة التي تتمتع بخصوبة التربة، ووفرة مياه الآبار القريبة من السطح[١]، وبها كذلك وادي قناة الذي يأتي من ناحية الطائف ويمتد حتى يصل إلى قبور شهداء أحد، وفيه زرع وحرث، ويصب مياهه في منطقة الغابة؛ وبصفة عامة تبدو أودية المدينة منحدرة من الجنوب إلى الشمال، ويسود المدينة مناخ صحراوي متطرف، إلا أن جو المدينة ألطف من جو مكة بصفة عامة[٢].

وتعتبر الزراعة التي قامت في المدينة، هي العامل المسيطر على الحياة فيها، فتم حفر الكثير من الآبار السطحية والعميقة؛ لري المحاصيل المختلفة؛ حيث اشتهرت المدينة بزراعة النخيل، ثم تمت زراعة البقول والحبوب وبعض الخضراوات والفواكه تحت النخيل[٣].

كما كان ليثرب أهمية خاصة؛ لأنها كانت واحة خصيبة، ومركزًا زراعيًّا مهمًّا في قلب الصحراء، وكانت تسيطر على الطريق التجاري بين اليمن والشام؛ مما أدى إلى تطور التجارة الخارجية بها، ولقد كانت التجارة الداخلية فيها نشطة ومزدهرة[٤]، ويدل على ذلك ما ذكر من كثرة أسواقها؛ فقد كان بالمدينة في الجاهلية سوق زُبالة، وسوق بالجسر في بني قينقاع، وسوق مُزاحم، وأسواق أخرى فصَّلها السمهودي في وفاء الوفا[٥].

أما الصناعة فقد سيطر عليها يهود المدينة، ولم يعمل بها سوى العبيد المشترين من خارج المدينة؛ لأَنَفَة عرب المدينة عن العمل بها[٦].

أما عن سكان المدينة، فقيل إن أول من سكنها العماليق، ثم نزلها اليهود في القرن الثاني الميلادي، على أثر اضطهاد الرومان لهم في فلسطين، ثم نزلها الأوس والخزرج من قبائل

(١) أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، ص ٢٣٩.

(٢) أحمد إبراهيم أبو الفضل: دراسات في العصر الجاهلي، القاهرة، مصر، ١٣٥٨هـ = ١٩٦٠م، ص ٩.

(٣) كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٤٢؛ جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج٧، ص ٣١٤.

(٤) عبد الله عبد العزيز إدريس: مجتمع المدينة في عهد الرسول، ص ٢٥.

(٥) السمهودي: وفاء الوفا، ج ١، ص ٨٢.

(٦) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، ص ٥٣.

الأزد اليمنية، والتي هاجرت بعد انهيار سد مأرب[١]؛ على أن هناك أسبابًا حدثت وأدت إلى هجرة اليهود إلى يثرب، فعندما هاجمت الدولة الرومانية فلسطين، وقوضت أركان الدولة اليهودية، هاجر اليهود إلى شمال الحجاز وإلى يثرب واستقروا بها[٢]، ومع مرور الوقت والاستقرار انقسم يهود الحجاز إلى قبائل وعشائر وبطون، منهم: بنو النضير، وبنو قريظة، وبنو قَينُقَاع، وبنو عكرمة، وبنو زيد، وغيرهم، وقد أدى التنافس بين سادات اليهود إلى نشوب معارك بينهم في الجاهلية، أدت إلى تفرقهم ووهن قواهم[٣].

ولـمَّا نزل الأوس والخزرج المدينة، تفرقوا في عاليتها وسافلتها، وسكن الخزرج المنطقة الوسطى والشمالية، وهي سافلة المدينة، وليس وراءهم شيء في الغرب إلا حرة الوبرة[٤]، وهي من المناطق الأقل خصبًا[٥]، ومنهم من نزل مع يهود بني إسرائيل في قراهم، ومنهم من نزل وحْدَه، ويعرض ابن زبالة للأمر، فيقول: "أقامت الأوس والخزرج بالمدينة، ووجدوا الأموال والآطام والنخيل في أيدي اليهود، ووجدوا العدد والقوة معهم"[٦].

ويحدد لنا السمهودي قوة اليهود قائلا: "كانوا نيفًا[٧] على عشرين قبيلة"[٨]، ولقد عاش الأوس والخزرج في منازلهم بالمدينة في جهد وضيق في المعاش، وليس للرجل منهم إلا الأغداق اليسيرة والمزرعة يستخرجها من الأرض الموات، والأموال لليهود[٩].

---

(١) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، ص ٥٤؛ أحمد إبراهيم الشريف: دور الحجاز في الحياة السياسية العامة، دار الفكر العربي، القاهرة، (ب ـ ت)، ص ٥٢، ٥٣.

(٢) أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، ص ٢٥٥.

(٣) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ٢، ص ٣٤٣.

(٤) أحمد إبراهيم الشريف: دور الحجاز في الحياة السياسية العامة، ص ٥٥.

(٥) أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، ص ٢٥٩.

(٦) السمهودي: وفاء الوفا، ج ١، ص ٣٢٧.

(٧) **النَّيِّف:** يقول المبرد: النيف من واحد إلى ثلاث، أو كل ما بين عقدين، وكل ما زاد على العقد فهو نيف حتى يبلغ العقد الثاني؛ الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ج ٢، ص ٤٣٦.

(٨) وفاء الوفا: ج ١، ص ٣٢٧.

(٩) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج١٩، ص ٩٦.

وقد قنع الأوس والخزرج - أول الأمر - بأن سمح لهم اليهود بالإقامة في منطقة المدينة، ثم سألوا اليهود أن يعقدوا بينهم جوارًا وحلفًا يأمن به بعضهم من بعض، ويمتنعون به ممن سواهم، واستمروا على ذلك زمنًا طويلًا(١).

والواقع أن اليهود قد رحبوا بهذا الحلف؛ لكي يضمنوا سيادتهم على المدينة، وليستخدموهم في رد أي عدوان خارجي قد تتعرض له المدينة، وللاستفادة من خبراتهم في المجال الزراعي(٢)، وقد أجمعت المصادر على أن الأوس والخزرج لم يدفعوا إتاوة لأحدٍ قط(٣)؛ إلا أن ياقوت انفرد بذكر أن الأوس والخزرج كانوا يؤدون خراجًا لليهود(٤).

وقد أتاح هذا الحلف للعرب أن يثبتوا مركزهم، وأن يعزُّوا ويكثروا (٥)، ويوسِّعوا دائرة أعمالهم، فازدادت ثروتهم، وكثر عددهم، وأخذوا في تنظيم أنفسهم، وتنبهت اليهود إلى ما طرأ على حلفائهم، وأدركوا أن الحلف يسير في مصلحة جيرانهم، فقطعوا الحلف(٦)، ولما كان اليهود أكثر عددًا وعدة، فإن الأوس والخزرج أقاموا في منازلهم خائفين أن تجليهم اليهود، حتى ظهر من بينهم مالك بن العَجْلان، أخو بني سالم بن عَوْف بن الخزرج، وسوَّدَهُ الحَيَّان - الأوس والخزرج - ولم يكن أمامهم إلا البحث عن حليف خارجي يساعدهم إن حاول اليهود طردهم من المدينة(٧).

---

(١) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج ٣، ص ٤١١.

(٢) نورة عبد الملك آل الشيخ: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة المنورة في صدر الإسلام، جدة، السعودية، (ب - ت)، رسالة ماجستير منشورة، ص ٣٤.

(٣) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج ٤، ص ١٣٣.

(٤) ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص ٨٣.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م، ص ٢٦.

(٦) أحمد إبراهيم الشريف: دور الحجاز في الحياة السياسية العامة، ص ٥٦.

(٧) السمهودي: وفاء الوفا، ج ١، ص ٣٢٨؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج ٣، ص ٤١١.

ولقد كانت سيطرة اليهود على المدينة في أوجها في ذلك الوقت، يدلنا على ذلك قصة ملك اليهود الفِطْيَوْن[١] – وهو اسم عبراني[٢] – وكان من بني ثعلبة[٣]، وهو الذي شرط على أهل يثرب ألا تدخل عروس على زوجها حتى تدخل عليه أولًا[٤]، فتزوجت أخت مالك بن العجلان الخزرجي، وكان سيد قومه، فأرسل الفِطْيَوْن رسولًا في ذلك، فاحتال مالك بن العجلان حتى قتل الفطيون[٥] – على أن هذه الرواية لم يذكرها ابن هشام والواقدي وصاحب الأغاني[٦]؛ مما يدل على أن في سندها ضعفًا – ثم فر مالك بن العجلان إلى غسان؛ حيث استعان بأبي جبيلة الغساني، واسمه عبيد بن سالم بن مالك بن سالم أحد بني غَضْب بن جشم، وهو يومئذٍ ملك غسان[٧]، وقيل: إنه لم يكن ملكًا، وإنما كان عظيمًا عند ملك غسان[٨].

والذي يظهر أن الأوس والخزرج كانوا حلفاء مقربين لدى ملوك غسان، ويحظون بمنزلة عظيمة؛ ولذا فقد أمدوهم بقوة استطاعوا بها كسر شوكة اليهود والقضاء على وجوههم ورؤسائهم، فعز بذلك الأوس والخزرج بيثرب[٩]، وذكر السمهودي: "أن

---

(١) **الفِطْيَوْن:** واسمه عامر بن عامر بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن امرئ القيس بن عمرو بن الحارث بن عمرو، وكان ملك اليهود؛ ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ج ١، ص ٤٣٦.

(٢) ابن دريد: الاشتقاق، ص ٤٣٦.

(٣) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج٦، ص٥٢٠.

(٤) وهذه القصة لا يؤيد الباحث حدوثها؛ لأن الغيرة والأنفة كانت من أهم أسباب حروب عرب المدينة، فكيف يقبل العربي حدوث ذلك، كما أن هذه الرواية وردت في مراجع متأخرة، كما أن ولفنسون ينكر هذه القصه إنكارًا تامًّا، وجاء الأمر مفصلًا في كتابه؛ إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ٥٦ – ٥٩.

(٥) السمهودي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٠٦.

(٦) إسرائيل ولفنسون، المصدر السابق، ص ٥٧.

(٧) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ٢، ص ٣٤٤.

(٨) ابن الأثير: أسد الغابة، ج ١، ص ٥١٨.

(٩) عبد الله عبد العزيز إدريس: مجتمع المدينة في عهد الرسول، ص ٥٨.

مالك بن العجلان لما قتل الفِطْيَوْن، قصد اليمن إلى تُبَّع الأصغر، فشكا إليه ما كان الفِطْيَوْن يفعله، فأقسم تُبَّع أن يسير إلى المدينة ويذل من بها من اليهود، وفعل ذلك"[١].

ويرى بعض الباحثين أن تطلُّع الأوس والخزرج إلى مشاركة اليهود في حكم المدينة، ومحاولة السيطرة عليها، إنما كان جزءًا من الصراع الدولي القائم بين المسيحية البيزنطية واليهود، وهناك بعض المراجع تؤيد أن بيزنطة هي التي دفعت الغساسنة إلى التدخل في شئون يثرب ونُصرة طرف على الآخر[٢].

وأرى أن النزاع لا يعدو أن يكون نزاعًا محليًّا، قام بسبب نزعة السيطرة التي نشأت بين العشائر والبطون اليثربية على الموارد والأرض الخصبة، وسهولة الحصول على المياه، والسيطرة على حكم المدينة، وعزت الأوس والخزرج وتفرقوا في عالية المدينة وسافلتها، يتبوءون منها حيث شاءوا، وذلت اليهود وقل عددهم، وعلت قدم أبناء قيلة عليهم[٣]، ولجأ كل قوم من اليهود إلى بطن من الأوس والخزرج يحتمي به، ويتحالف معه[٤]، وانتهى عهد الصراع بين العرب واليهود، وبدأ الصراع بين العرب بعضهم بعضًا.

***

(١) السمهودي: وفاء الوفا، ج ١، ص ٣٣٢.

(٢) أحمد أمين سليم: تاريخ وحضارة العرب في العصور القديمة، ص ١٦٨؛ عبد الله عبد العزيز إدريس، مرجع سابق، ص ٥٨.

(٣) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ٢، ص ٣٤٦.

(٤) أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، ص ٢٧٠.

٣- صراع الأوس والخزرج وحروبهما

لبث الأوس والخزرج بعد تغلبهم على اليهود زمنًا في حال اتفاق واجتماع، ولكن سرعان ما بدأت المصالح الشخصية الضيقة للبطون تطغى على السطح، وبدأ الصراع بين القبيلتين، خاصة وأن يهود المدينة كانوا يعدون كل وئام بين القبيلتين مُوَجَّهًا إلى كبريائهم في الدس والوقيعة، وكان أول اختلاف وحرب وقع بين الفريقين هو يوم الصُّفَيْنة(١) - موضع بالمدينة بين بني سالم وقباء(٢) - وهو أول يوم جرت الحرب فيه، ولقد أدت هذه الحروب بين الفريقين إلى عدم استتباب الأمن داخل المدينة، وغالبًا ما كانت هذه الحروب تقوم لأسباب ليست ذات قيمة(٣).

حرب سُمَير:

وكان سببها أن رجلاً من بني ثعلبة يدعى كعب بن العجلان، نزل على مالك بن العجلان السالمي، فحالفه وأقام معه، فقتله رجل من الأوس من بني عمرو بن عوف يقال له سُمَير بن يزيد(٤)، فأرسل مالك بن العجلان يطلب قاتله من بني عمرو بن عوف، فعرضوا الدية فقبلها، وكانت دية الحليف فيهم نصف دية الصريح، فأبى مالك إلا أخذ الدية كاملة، فامتنعوا من ذلك، فاختاروا عمرو بن امرئ القيس - جد عبد الله بن رواحة، أحد بني الحارث بن الخزرج - حكمًا بينهم، فقضى بدية الحليف(٥)، فأبى مالك أن يرضى بذلك، فنشب القتال بينهم، وشاركت فيه سائر بطون الأوس والخزرج، وكان

(١) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣٦.

(٢) الفيروزآبادي: المغانم المطابة، ص ٢٢٠.

(٣) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج ٤، ص ١٣٩.

(٤) محمد أحمد جاد المولى وآخرون: أيام العرب في الجاهلية، بيروت، لبنان، (ب.ت)، ص ٦٣.

(٥) نفسه، ص ٦٥.

الظفر للأوس[١]، ثم جعلوا المنذر بن حرام - جد حسان بن ثابت - حكمًا بينهما، فحكم بدية الصريح، ثم يعودون إلى سُنَّتِهِم القديمة، فرضوا بذلك، وأخذوا الدية[٢].

حرب كعب بن عمرو المازني:

ووقعت بين بني جَحْجَبا من الأوس وبني مازن بن النجار من الخزرج، وكان سببها قتل كعب بن عمرو الخزرجي على يد أُحَيْحَة بن الجُلاح سيد بني جَحْجَبا، والتقوا بالرُّحابَة، فاقتتلوا قتالًا شديدًا، وانهزمت بنو جَحْجَبا ومن معهم[٣].

يوم السَّرارة[٤]:

كانت بين بني عمرو بن عوف من الأوس وبني الحارث من الخزرج، وكان سببها قتل رجل من بني عمرو على يد رجل من بني الحارث، فقتل بنو عمرو القاتل، ثم تداعى الفريقان للقتال، فالتقوا بالسرارة، وعلى الخزرج عبد الله بن أبي بن سلول، وعلى الأوس حضير بن سماك، وظل القتال أربعة أيام، وانهزمت الأوس[٥].

حرب الحُصَين بن الأسلت:

وقامت بين بني مازن بن النجار، وبني وائل بن زيد من الأوس، وكانت بسبب قتل الحصين بن الأسلت الوائلي رجلًا من بني مازن، واقتتلوا قتالًا شديدًا، انهزمت فيها الأوس[٦].

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: أبو الفداء القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م، ج ١، ص ٥١٩.

(٢) ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ص ٣٩١.

(٣) **الرُّحابَة:** بضم أوله، وهو موقع أطم بالمدينة؛ ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٢.

(٤) **السَّرارة:** موضع قريب من المدينة؛ البكري: معجم ما استعجم، ج ٣، ص ٧٣١.

(٥) ابن الأثير: المصدر السابق، ج ١، ص ٥٢٢، ٥٢٣.

(٦) نفسه، ج١، ص ٥٢٤، ٥٢٥.

حرب ربيع الظَّفَرِي:

كانت بين بني ظَفَر من الأوس وبني مالك بن النجار من الخزرج، وكان قتالًا شديدًا، وانهزمت بنو مالك بن النجار(١).

يوم فارع:

وقامت بسبب قتل أحد حلفاء الأوس من قضاعة، فنشب القتال بين بني النجار وبين رهط سعد بن معاذ من الأوس، وكان القتال عند حصن فارع، وانتهى القتال بالصلح بعد أن تحمل عامر بن الإطنابة - زعيم الخزرج - دية القتيل(٢).

حرب حَاطِب:

وكان بينها وبين حرب سمير نحو مائة عام(٣)، وقامت هذه الحرب لقيام حاطب بن الحارث الأوسي بقتل أحد جيران الخزرج من اليهود، فخرج إليه يزيد بن الحارث الخزرجي - الذي يقال له ابن فسحم، وفسحم أُمُّه - ليلًا في نفر من الخزرج فقتلوه، فوقعت الحرب بين الأوس والخزرج(٤)، وكان على الخزرج عمرو بن النعمان البياضي، وعلى الأوس حُضير بن سماك الأشهلي، وكان الظفر يومئذ للخزرج(٥).

وكان هذا اليوم من أشهر أيامهم، وكان بعده عدة وقائع، كلها من حرب حاطب مثل: يوم الربيع، وانتصر فيه الخزرج، ويوم البقيع(٦) - بقيع الغرقد - وكان النصر فيها للأوس على الخزرج(٧)، ثم كانت حرب الفجار الأول - وليس بفجار كنانة وقيس -

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١، ص ٥٢٦، ٥٢٧.

(٢) نفسه، ج ١، ص ٥٢٨، ٥٣٠.

(٣) ابن هشام: سيرة النبي، ج ١، ص ٢٠١.

(٤) ابن الأثير، المصدر السابق، ج ١، ص ٥٣١.

(٥) نفسه.

(٦) **بقيع الغرقد:** البقيع في اللغة: الموضع الذي فيه أُروم الشجر من ضروب شتى، والغرقد: كبار العوسج، وهو موضع بالمدينة؛ ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٤٧٣؛ الفيروزآبادي، المغانم المطابة، ص ٦١.

(٧) ابن الأثير، المصدر السابق، ج ١، ص ٥٣١.

وعلى الخزرج عبد الله بن أبيّ بن سلول وعلى الأوس أبو قيس بن الأسلت، وانتصرت الخزرج[١].

ويوم معبس ومضرس[٢]، وهما جداران، وظلوا يقتتلون أيامًا، حتى انهزمت الأوس، على أن هذا اليوم كان له نتائج مهمة؛ فقد قرر بنو عمرو بن عوف، وبنو أوس مناة الأوسيين موادعة الخزرج وعدم الاشتراك في الحروب بعد ذلك، وامتنع بنو عبد الأشهل وبنو ظفر وغيرهم من الأوس ورفضوا الصلح، وأرادوا القتال فَهُزِمُوا، بعد أن أغارت عليهم بنو سَلِمَة، وجرح سعد بن معاذ الأشهلي، فأجاره عمرو بن الجموح؛ مما اضطر الأوس للذهاب إلى مكة طلبًا للحلف[٣].

يوم الفجار الثاني:

وكان هذا اليوم مقدمة ليوم بُعَاث، وكان سببه أن الأوس قد طلبت من قريظة والنضير أن يحالفوهم على الخزرج، فبلغ ذلك الخزرج فأرسلوا إليهم يؤذنونهم بالحرب، فأعلنت اليهود رفضها لهذا الحلف، ودفعوا بعض الرَّهْن للخزرج وفاء لهم، وكانوا أربعين غلامًا من قريظة والنضير، وقيل: إن عمرو بن النعمان البياضي قال لقومه من بني بياضة: إن أباكم أنزلكم منزلة سوء، وأقسم أن ينزلهم منازل قريظة والنضير، وهي خير بقاع المدينة وأخصبها[٤]؛ فقد كان لهم غزار المياه وكرام النخل[٥]، فقتل الرَّهْن بعد أن رفض اليهود ترك دورهم؛ على أن عبد الله بن أبي بن سلول رفض الاشتراك في هذا البغي، ولم يقتل الرَّهن الذين احتفظ بهم في حصنه مُزَاحِم، ثم كان يوم بُعَاث[٦].

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٥٣٤، ٥٣٥.

(٢) **مضرس:** الأسد يمضغ لحم فريسته ولا يبتلعه، وقيل: نوع من الوشي فيه صور؛ الخليل بن أحمد: معجم العين، ج٧ ص١٩.

(٣) السمهودي: وفاء الوفا، ج ١، ص ٣٨٥.

(٤) ابن الأثير: المصدر السابق، ج ١، ص ٥٣١.

(٥) السمهودي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٨٦.

(٦) ابن الأثير، المصدر السابق، ج ١، ص ٥٣٦، ٥٣٧.

يوم بُعَاث:

حدث قبل الإسلام بخمسة أعوام على الأصح[١]، وكان سببه أن النصر في الحروب المتقدمة كان في أكثرها للخزرج على الأوس[٢]، فتحالفت الأوس مع بني قريظة وبني النضير، وجددوا العهود، كما تحالفوا مع قبيلة مزينة؛ أما حلفاء الخزرج فكانوا بعض بطون غطفان وجُهَيْنَة من قضاعة[٣]، وكان على الأوس حضير الكتائب بن سماك – والد أسيد بن حضير – وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضي، وتخلف عبد الله بن أبيّ بن سلول فيمن تبعه من الخزرج[٤]، وقد انهزم الأوس في بداية القتال، ولكن سرعان ما تداركوا الأمر، وحولوا الهزيمة إلى نصر ساحق، وانهزمت الخزرج ووضع فيهم السلاح، ولم ينقذهم إلا صياح صائح: "يا معشر الأوس أحسنوا ولا تُهْلِكُوا إخوانكم؛ فجوارهم خير من جوار الثعالب" – يقصد اليهود – فتناهت الأوس، وكفت عن سلبهم، وسلبتهم قريظة والنضير[٥].

وقد اكتفى الأوس بالقضاء على روح التسلط في الخزرج، وأجار سعد بن معاذ الأشهلي أموال بني سَلِمَة ونخيلهم ودورهم؛ جزاء بيوم معبس ومضرس، وكان يوم بعاث آخر الحروب المشهورة بين الأوس والخزرج[٦].

ولقد كان ليوم بُعاث نتائج ضخمة على قبيلة الخزرج، وعلى المدينة كلها، كان أهمها: ضعف روح العدوان والحقد في نفوس البطون البريئة، فكانوا كلما همَّ أحدهم أن يصب زيتًا على نار العداوة الكامنة في النفوس، هبَّ الزعماء ذوو النفوذ من الطرفين لكف يده؛

(١) السمهودي، وفاء الوفا، ج ١، ص ٣٨٨.

(٢) أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، ص ٢٧٥.

(٣) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ٢، ص ٣٤٦.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٥٣٨.

(٥) محمد أحمد جاد المولى وآخرون: أيام العرب في الجاهلية، ص ٧٧.

(٦) ابن الأثير، المصدر السابق، ج ١، ص ٥٣٨؛ السمهودي: المصدر السابق، ج ١، ص ٣٨٧.

حتى لا تسل السيوف من أغمادها، حتى أخذ الناس ينصرفون لأعمالهم، ويتذوقون لذة الراحة وهناءة العيش وصفاء البال، على حذر من أن تقوم الحروب مرة أخرى(١).

حتى إذا آذن فجر الإسلام بالانبلاج، كانت الثارات الدموية بين القبيلتين قد تعددت إلى درجة بعيدة، حتى لقد صار الفرد لا يكاد يجرؤ على مغادرة أطمه المُحَصَّن دون أن يعرض نفسه لأشد الأخطار(٢).

وشجعت هزيمة الخزرج - وهي القبيلة الأكثر عددًا في يثرب - على قبول الخزرجيين للإسلام بعد ذلك؛ فقد أدى كثرة حديث اليهود عن تقارب زمان نبي يتحالفون معه ثم يقتلون الأوس والخزرج قتل عَادٍ وإِرَم(٣)؛ سببًا لتهافتهم على الإسلام، ولقد كان أفضل تعليق على يوم بعاث هو قول السيدة عائشة: "كان يوم بُعَاث يومًا قدَّمه الله لرسوله ﷺ، فقدم رسول الله وقد افترق مَلَؤُهم وقتلت سَرَواتُهم(٤) وجُرحوا، فقدمه الله لرسوله ﷺ في دخولهم في الإسلام"(٥).

ويتضح مما سبق أن قبيلة الخزرج التي تنحدر من قبائل الأزد اليمنية، ترجع في نسبها إلى الخزرج بن حارثة، وأن الأوس والخزرج ينسبان إلى أمهما، فيعرفان بابنيْ قَيْلَة.

وقد تفرعت من الخزرج بن حارثة خمسة فروع كبرى، ضمت جميع البطون الخزرجية، وأن سيل العرم الذي هدم سد مأرب، كان سببًا في هجرة الأوس والخزرج والاستقرار بيثرب، فقام الصراع مع يهود يثرب، والذي انتهى بانتصار الأوس والخزرج؛ ولكن سرعان ما دب النزاع بينهما، والذي أدى - في النهاية - إلى انهيار قوة الفريقين، وتمهيد الطريق لعلو كعب الإسلام، وانتشاره سريعًا بين سكان المدينة.

---

(١) إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ٦٩، ٧٠.

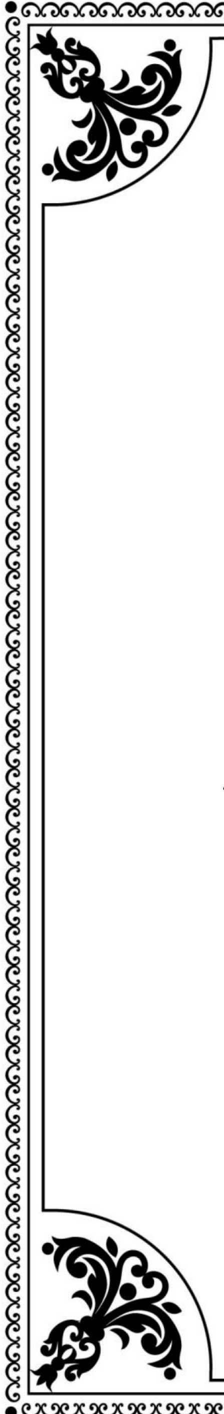
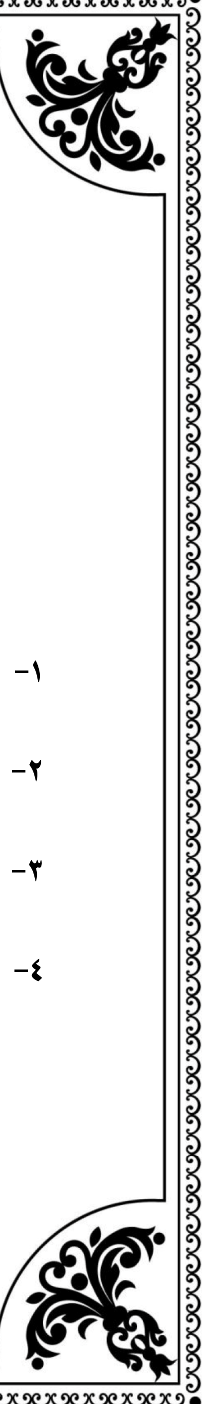
(٢) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٢٠.

(٣) ابن هشام: سيرة النبي، ج ١، ص ١٥٨.

(٤) **سرواتهم**: بفتح المهملة والراء والواو، أي خيارهم ، والسروات جمع سراة، والسراة جمع سري وهو الشريف؛ الزبيدي: تاج العروس، ج ٣٨، ص ٢٧٢.

(٥) البخاري: صحيح البخاري، طبعة السلطان عبد الحميد خان الثاني، ١٢١٣هـ = ١٧٩٨م، ج٥، ص ٣٠ (حديث رقم: ٣٧٧٧)؛ السمهودي: وفاء الوفا، ج ١، ص ٣٨٨؛ الصالحي: سبل الهدى، ج ٣، ص ٢٦٥.



الفصل الثاني

ملامح حياة قبيلة الخزرج قبل الإسلام

١- الحياة الاجتماعية لقبيلة الخزرج قبل الإسلام.

٢- النشاط الاقتصادي لقبيلة الخزرج قبل الإسلام.

٣- الحياة الدينية لقبيلة الخزرج قبل الإسلام.

٤- الحياة الثقافية لقبيلة الخزرج قبل الإسلام.

١- الحياة الاجتماعية لقبيلة الخزرج قبل الإسلام

تعتبر البيئة اليثربية جزءًا من شبه جزيرة العرب الصحراوية، وكانت الصحراء هي العامل الأساس في تشكيل الحياة الاجتماعية بها؛ ففي هذه المدينة كانت تعيش العشائر المختلفة حياة الحرية والاستقلال، فلا تقر بالطاعة لأحد، كالبدو في خيامهم. وما من شك في أن شعور الشرف كان بالغ التأثير عند هذه العشائر، وكان مورد العيش الرئيس لسكان المدينة هو الزراعة والعناية بالنخيل، فكانت يثرب تتألف من أراض محروثة، وبيوت مستقرة متناثرة بين أشجار النخيل والحدائق والحقول المزروعة[١].

المسكن:

سكن الخزرجيون - كسائر أهل المدينة - في بيوت تكونت من طابقين؛ طابق أرضي، وطابق علوي، وكانوا يسكنون الطابقين، ولعلهم كانوا يودعون ماشيتهم ودوابهم الطابق الأرضي[٢]، أو كانت توضع في الكنيف[٣]، ولقد كانت دار أبي أيوب الأنصاري الخزرجي التي استضاف فيها رسول الله ﷺ من طابقين[٤].

وكانت هذه البيوت تبنى باللَّبِن، أو الطين، وتكون على أبوابها مُسُوح الشَّعر، وقد عرشت سقوفها بجريد النخل وبالأخشاب المحتطبة من التلال والجبال، وكانت هذه صفة معظم بيوت يثرب في الجاهلية والعهد النبوي، عدا بيوت الأثرياء، التي كانت تبنى من حجر وكلس، وبها وسائل الترفيه والراحة المتوفرة بالقياس إلى ذلك الزمان؛ أما

---

(١) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٤٢.

(٢) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج٥، ص ١٧.

(٣) **الكنيف:** حظيرة من شجر تجعل للإبل؛ محمود شكري الألوسي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق: محمد بهجت الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ب - ت)، ج ٣، ص ٣٩١.

(٤) ابن هشام: سيرة النبي، ج ٢، ص ٦٤.

الآطام فقد كانت تتكون من طابقين أو ثلاثة، وكانت ضخمة نوعًا ما، وقد بنيت بالآجر وباللبن أحيانًا(١).

الأسرة:

كانت الأسرة في يثرب هي النواة الأساسية للمجتمع اليثربي، الذي يتكون من مجموعة كبيرة من البطون والعشائر؛ ولهذا فقد كان للزواج عند الخزرجيين أهمية كبرى، وله مقاصد سامية، كان أهمها التناسل والتوالد لزيادة عدد العشيرة، فكانوا يقولون: "من لا يَلِد لا وُلِد"(٢)، ومنها تأليف القبائل والعشائر بالزواج من قبيلة أخرى، بالإضافة إلى ما تتولاه النساء من تدبير المنزل، ومن هنا فقد كانوا يحبون المرأة الولود، وقد روي عنه ﷺ أنه قال: "سوداء وَلُود خير من حسناء عاقر"(٣). وكانوا يرون نكاح البُعَداء والأجانب، ويرون أن ذلك أنجب للولد وأبهى للخِلْقَة(٤).

وكان للرجل أن يتزوج من أكثر من امرأة، ويجمع بين أي عدد شاء من الزوجات دون تحديد، أما الاكتفاء بامرأة واحدة أواثنتين، فذلك أمر خاص يعود إليه، وكان للرجل أن يرث امرأة أبيه، وسمي بنكاح المقت(٥)، ويقول الطبري – في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ﴾(٦): كانت الوراثة في أهل يثرب أن يرث الرجل امرأة أبيه، كما يرث أمه، لا يستطيع أن يُمنع، فإن أحب أن يتخذها كما كان

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج١٦، ص ١٠٢؛ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٨، ص ٣١.

(٢) محمود شكري الألوسي: بلوغ الأرب، ج ٢، ص ٧، ٨.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير بسنده (١٩/٤١٦/١٠٠٤)، وابن حبان في "المجروحين" (١١١/٢)، وفيه: "إِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ، حَتَّى إِنَّ السَّقْطَ لَيَظَلُّ مُحْبَنْطِئًا عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلْ، فَيَقُولُ: أَنَا وَأَبَوَايَ، فَيُقَالُ: أَنْتَ وَأَبَوَاكَ". قال ابن حبان (١١١/٢): "وهذا حديث منكر لا أصل له، من حديث بهز بن حكيم، وعليٌّ هذا يروي المناكير، فلما كثر في روايته المناكير بطل الاحتجاج به". وقال الهيثمي في "المجمع" (٢٥٨/٤): "رواه الطبراني، وفيه علي بن الربيع وهو ضعيف".

(٤) محمود شكري الألوسي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٩.

(٥) جواد علي: المصدر السابق، ج٥، ص ٥٣٤، ٥٤٧.

(٦) النساء:١٩.

أبوه يتخذها، وإن كره تركها، وإن كان صغيرًا حبست عليه حتى يكبر، فإن شاء أصابها وإن شاء فارقها[١] . وقال ابن عباس: "كانوا بالمدينة إذا مات الرجل وترك امرأة، يُلْقِي عليها ابنه ثوبه فيرث نكاحها، وكان أحق بها، فإن كانت جميلة تزوجها، وإن كانت قبيحة حبسها حتى تموت فيرثها"[٢] . وقال ابن حبيب في المحبر: "كان الرجل إذا مات ورث ابنه نكاح امرأته، فإن لم يكن له حاجة بها، زَوَّجَها بمهر جديد"[٣] .

ولقد أبطل الإسلام هذا الزواج، وفَرَّقَ بين رجال ونساء آبائهم وكانوا كثيرًا[٤]، وذلك بعد أن نزل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾[٥] .

وكانت المرأة تخطب إلى أبيها أو أخيها أو عمها، أو بعض بني عمها، وكان الأصل فى المهر عند الجاهليين أن يدفع للمرأة، غير أن ولي أمرها يأخذه لينفق على ما يُشْتَرَى لتأخذه المرأة معها إلى بيت الزوجية[٦]، وقد يأخذ ولي الأمر المهر لنفسه، ولا يعطي المرأة شيئًا، حتى إنهم كانوا يقولون لمن ولدت له بنت: "هنيئًا لك النافجة"، ومعناه أنك تأخذ مهرها إبلا فتنفج مالك أي تُعَظِّمه[٧].

أما عن الطلاق عند أهل الجاهلية، فقد كان بيد الرجل، فكان الرجل يطلق الثلاث والعشر، وأكثر من ذلك[٨]، ولو طلقها ألف مرة كانت القدرة على المراجعة ثابتة

(١) أبو جعفر الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م، ج٨، ص ١٠٣.

(٢) نفسه، ج٨، ص١٠٤.

(٣) أبو عبد الله المصعب الزبيري: نسب قريش، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، ط٣، (ب – ت)، ج ١، ص ١٠؛ أبو جعفر محمد بن حبيب: المحبر، تحقيق: إيلزه ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، (ب – ت)، ص ٣٢٥.

(٤) نفسه، ص ٣٢٦.

(٥) النساء: ٢٢.

(٦) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج٥، ص ٥٣١.

(٧) الرازي: تفسير مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م، ج٩، ص ١٨٧.

(٨) جواد علي، المصدر السابق، ج٥، ص ٥٥٣.

له(١)، وذكر أن رجلًا من الأنصار غضب على امرأته، فقال: "لا أقربك ولا تحلين مني، قالت: كيف؟ قال: أطلقك حتى إذا دنا أجلك راجعتك، ثم أطلقك، فإذا دنا راجعتك"(٢)، وجاءت امرأة إلى عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فشكت أن زوجها يطلقها ويراجعها يُضارها بذلك، فذكرت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ذلك لرسول الله ﷺ(٣)، فنزل قوله تعالى: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ ﴾(٤).

ومن هنا فإن بعض النسوة كنَّ يشترطن على أزواجهن أن يكون أمرهن بأيديهن، إن شئن أقمن، وإن شئن تركن معاشرتهم وأوقعن الطلاق؛ وذلك لشرفهن وقدرهن، وكان أهم هؤلاء سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن عامر بن غنم بن عدي النجارية الخزرجية، التي تزوجت من هاشم بن عبد مناف جد رسول الله ﷺ، وأنجبت له عبد المطلب بن هاشم الذي كان سيد مكة في عهده(٥).

وكان الرجل إذا أراد طلاق امرأته يقول لها: "حبلك على غاربك - أي خليت سبيلك - فاذهبي حيث شئت"، أو يقول لها: اخترت الظباء على البقر، أو سرحتك، أو فارقتك(٦)، وكانت طريقة طلاق المرأة التي تملك العصمة في يدها، أن تحول باب خبائها، إن كان بابه قِبَل المشرق حولته قبل المغرب، وإن كان بابه قبل اليمن حولته قبل الشام، فإذا رأى الرجل ذلك علم أنها قد طلقته فلا يأتيها(٧).

وهناك نوع آخر من الطلاق، سماه القرآن (الظهار)، وهو أن يقول الرجل لامرأته: "أنت عليَّ كظهر أمي أو كبطنها، أو كظهر أختي أو عمتي، أو ما شابه ذلك"(٨)، وعن ابن

---

(١) الرازي، تفسير مفاتيح الغيب، ج٦، ص ١٠٤.

(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٢٧١.

(٣) الرازي، المصدر السابق، ج٦، ص ١٠٤.

(٤) البقرة: ٢٢٩.

(٥) ابن هشام: سيرة النبي، ج ١، ص ٩٢؛ ابن حبيب: المحبر، ص ٣٩٨.

(٦) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج٥، ص ٥٤٨.

(٧) الأصفهاني: الأغاني، ج١٦، ص ١٠٢.

(٨) جواد علي، المرجع السابق، ج٥، ص ٥٥٠.

عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: "كان الرجل إذا قال لزوجته في الجاهلية أنت عليَّ كظهر أمي، حرمت عليه"[١]، ولقد كان أول من ظاهر في الإسلام "أوس بن الصامت بن قيس الخزرجي" - من القواقلة - حيث ظاهر من زوجته "خولة بنت ثعلبة بن مالك الخزرجية"، فذهبت شاكية إلى رسول الله ﷺ، فنزل صدر سورة المجادلة فيهما[٢]، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ﴾[٣]، وهكذا نزل الأمر من الله فلم يجعله طلاقًا، وجعل فيه الكفارة.

دور المرأة:

على الرغم من أن المرأة كانت تقوم عليها رَحَى الحياة الجاهلية، إلا أن دورها كان غير ظاهر في أنحاء شبه الجزيرة العربية، غير أن المرأة في المدينة كانت صاحبة أمر ونهي قبل الإسلام، فلقد روي عن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: "كنا معاشر قريش تملك رجالنا نساءهم، فقدمنا المدينة فوجدنا نساءهم تملك رجالهم، فاختلط نساؤنا بنسائهم فذئرن على أزواجهن"، أيّ: نشزن واجترأن[٤]؛ فدل ذلك على ارتفاع مكانة المرأة اليثربية، وتسامح الرجل معها، ووده لها، ولقد تمتعت بعض النساء الخزرجيات بالشهرة والأهمية، مثل: سلمى بنت عمرو النجارية الخزرجية.

وذكر بعض علماء التفسير: "أن العرب في المدينة - وما والاها - كانوا قد استنوا بسنة بني إسرائيل في تجنب المرأة الحائض وعدم مساكنتها أو مؤاكلتها أو مجالستها"[٥]، وبعد الهجرة سأل أهل يثرب رسول الله ﷺ في ذلك، فنزل قول الله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ﴾[٦]؛ ولكن الإسلام سمح بالتعامل مع

---

(١) ابن حجر: الإصابة، ج ١، ص ٨٧.

(٢) ابن الأثير: أسد الغابة، ج٧، ص ٩٢.

(٣) المجادلة: ٢.

(٤) الرازي: تفسير مفاتيح الغيب، ج١٠، ص ٩٤.

(٥) نفسه، ج٦، ص ٦٨؛ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٥٨٥.

(٦) البقرة: ٢٢٢.

المرأة أثناء الحيض، فقد ورد أن رجلًا سأل السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقال: ما للرجل من امرأته وهي حائض؟ فقالت: له كل شيء إلا فرجها[١].

الميراث:

كان النسب أو العهد أهم أسباب الميراث عند الخزرج، وكان يراعى في الوراثة من النسب درجة القربى، وأما العهد فمن وجهين؛ الأول: الحلف، فكان الرجل في الجاهلية يقول لحليفه: "دمي دمك، وهدمي هدمك، وترثني وأرثك"، والثاني: التبني[٢].

وكانت القاعدة العامة في الميراث هي أن يكون الإرث خاصًّا بالذكور الكبار دون الإناث، على أن يكونوا ممن يركب الفرس ويحمل السيف[٣]، وكانوا لا يعطون البنات ولا النساء ولا الصبيان شيئًا من الميراث[٤]، وكانوا يقولون: لا يرث إلا من طاعن بالرماح وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة[٥].

وقد جاء في الأخبار ما يجعل المرأة من ضمن تركة المتوفى، وذلك إذا لم تكن أم ولد، ويكون من حق الابن البكر التزوج بها، وإذا لم يكن له بها رغبة انتقل حقه فيها إلى الولد الثاني، وإذا لم يرغب بها انتقل حقه إلى بقية الورثة بحسب قربهم من الميت وحقهم في الميراث[٦]، وكان من حق الولد البكر منع المرأة من التزوج إلا بعد رضاه؛ أما عن إرث المرأة والزوجة في الجاهلية، ففي الأغلب أنها لا ترث، وإن كان هناك بعض القبائل تورث المرأة.

وقد أُلْغِي عدم توريث المرأة في العهد الإسلامي، عندما توفي أوس بن ثابت بن المنذر ابن حرام النجاري الخزرجي عن امرأة وثلاث بنات كانوا إلى الدمامة أقرب[٧]، فجاء

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٥٨٦.

(٢) الرازي، تفسير مفاتيح الغيب، ج٩، ص ٢١٠.

(٣) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج٥، ص ٥٦٢.

(٤) ابن حبيب: المحبر، ص ٣٢٤؛ ابن كثير: المصدر السابق، ج ١، ص ٤٥٤.

(٥) الرازي: المصدر السابق، ج٩، ص ٢٠٢.

(٦) ابن حبيب، المصدر السابق، ص ٣٢٥.

(٧) جواد علي، المرجع السابق، ج٥، ص ٥٦٣.

رجلان من بني عمه، وكانا وصيين له، هما: سويد وعرفجة، فأخذا ماله، فجاءت امرأة أوس بن ثابت إلى رسول الله ﷺ وشكت إليه[١]، فأرسل إليهما رسول الله ﷺ ألا يقسما الميراث، ونزل قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾[٢]، وبذلك انتفت سنة الجاهليين في عدم توريث البنات[٣].

وقد نـزل القرآن الكريم يحدد ميراث المرأة، فعندما استشهد سعد بن الربيع الخزرجي، وترك ابنتين وامرأة وأخًا، أخذ الأخ المال كله، فاشتكت المرأة لرسول الله ﷺ، فنزل قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾[٤]، فحدد الإسلام نصيبًا للمرأة التي كانت لا ترث في الجاهلية؛ بل كانت تدخل ضمن التركة، وتكون من نصيب الابن الأكبر، فإن لم يُرِدْها، تنازل عنها لأحد إخوته، أو زَوَّجَها وأخذ مهرها، أو تركها حتى تموت فيرثها[٥].

الطرب والغناء:

انتشرت الكثير من آلات الطرب لدى الخزرجيين وغيرهم في المدينة، حيث كانت تستخدم في المناسبات المفرحة؛ كالزواج، وقال صاحب تاج العروس: "ولما ورد رسول الله ﷺ إلى يثرب، استقبل بفرح عظيم وبالغناء وبنقر الدفوف، التي استعملها العرب فى المناسبات السارة؛ كالنكاح، ورافقوا به أصوات الغناء"[٦]، وورد عن الربيع بنت معوذ

(١) الرازي: تفسير مفاتيح الغيب، ج٩، ص ٢٠١؛ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٤٥٥.

(٢) النساء: ٧.

(٣) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج٥، ص ٥٦٦.

(٤) النساء:١١.

(٥) جواد علي، المصدر السابق، ج٥، ص ١٠٨.

(٦) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ٢، ص ٣٥٤؛ الرازي، المصدر السابق، ج٩، ص ٢١٠؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج ٢، ص ٤٣٣؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٥٧؛ ابن حجر: الإصابة، ج ٣، ص ٧٧.

الخزرجية أنها قالت: "جاء النبي ﷺ حين بُنِيَ عليَّ، فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف"(١). فهذا دليل على استخدام آلات العزف عند الخزرجيين قبل الإسلام.

وغالبا ما ارتبط العزف والغناء بوجود القيان(٢)، وكان أهل يثرب أول من اتخذ القيان من العرب(٣)، كما انتشرت بيوت البغاء فى المدينة، وكان بها نساء مسافحات، يُكْرِين أنفسهن، وهن يومئذ أخصب أهل المدينة، وكان لعبد الله بن أبيّ بن سلول (زعيم المنافقين) ست جوارٍ، منهن: مُعاذة ومُسيكة، وكنَّ يكرين أنفسهن بالزنا، ويأخذ ابن سلول منهن ضريبة يومية(٤)، فلما جاء الإسلام قالت معاذة لمسيكة: "إن هذا الأمر الذي نحن فيه لا يخلو من وجهين؛ فإن يك خيرًا فقد استكثرنا منه، وإن يك شرًّا فقد آن لنا أن ندعه"، ولكن ابن سلول قال لهما: "ارجعا فازنيا"، فشكين إلى رسول الله ﷺ(٥) فمنعهما، وقد كانت معاذة من بني الحارث بن الخزرج، ثم وقعت في الرق، فدل ذلك على أن الأوس والخزرج كان يسبي بعضهم بعضًا في الجاهلية، ويملكون ما يسبون كسائر العرب(٦).

وقد كان لأهل يثرب إيمان بإمكانية وقوع الزنا بين الجن والإنس؛ فقد كان لفاطمة بنت النعمان النجارية الخزرجية - وهي كاهنة - تابع من الجن، كان إذا جاءها اقتحم عليها في بيتها، فلما كان في أول البعث أتاها، فقعد على حائط الدار ولم يدخل، فقالت له: لم لا تدخل؟ فقال: قد بعث نبي بتحريم الزنا(٧).

---

(١) أبو عبد الله البخاري: صحيح البخاري، ج٧، ص ١٩، ٢٠ (حديث رقم: ٢٣٢٤).

(٢) **القِيَان:** مفردها قَيْنَة، أي: الأَمَة المغنية؛ الزبيدي: تاج العروس، ج٣٦، ص ٣١.

(٣) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج٥، ص ١١٤.

(٤) النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، بيروت، لبنان، ط١، ١٣٤٧هـ = ١٩٢٩م، ج١٨، ص١٦٢، ١٦٣.

(٥) الرازي: تفسير مفاتيح الغيب، ج٢٣، ص ٢٢١؛ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٢٨٩؛ السيوطي: لباب النقول في أسباب النزول، دار التقوى، القاهرة، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م، ص ١٦٢، ١٦٣؛ سعيد الأفغاني: أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، دار الفكر، دمشق، ١٣٨٠هـ = ١٩٦٠م، ص ٥٩.

(٦) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ٢، ص ٥٦٦.

(٧) جواد علي، المصدر السابق، ج٦، ص ٧٦٠.

على أن مجالس الغناء والمجون فى الجاهلية كانت – غالبًا – هي مجالس الشراب؛ حيث كان أهل المدينة يسقون ضيوفهم شرابًا من الفَضِيخ، وهو خليط من بُسْر وتمر[١]، يضعونه في قلال وجرار، وكانوا يجلسون مجلسهم ويسقيهم أحد أبناء صاحب الدار، أو خادم من خدمه، في قلال أو كئوس يدور بها عليهم قليلا قليلا[٢].

الأعياد والمناسبات:

كان للخزرجيين من أهل يثرب عيدان، يلعبون فيهما ويستأنسون، هما: عيد النيروز، وعيد المهرجان، وقد أخذوهما عن الفرس، فلما قدم النبي ﷺ قال لهم: "قد أبدلكم الله تعالى بهما خيرًا منهما: الفطر والأضحى"[٣]. ولا نعرف كيف كان يحتفل أهل يثرب بهذين العيدين، ولا ما هي صلتهم بهما.

العلاقات الاجتماعية بين قبيلة الخزرج والقبائل الأخرى:

كانت هناك الكثير من الروابط الاجتماعية بين قبيلتي الخزرج وقريش؛ فقد كان هاشم بن مناف (جد رسول الله ﷺ) يختلف إلى الشام في تجارته، فكان ينزل على صديقه عمرو بن زيد بن لبيد النجاري، فرأى ابنته سلمى بنت عمرو، فأعجبته فتزوجها[٤]، وقد كان من الخزرج فى الجاهلية من قدم إلى مكة وتزوج بها وحالف قريشًا، ومن هؤلاء: عبيد بن عمرو، من بني غنم بن عوف بن الخزرج، الذي قدم إلى مكة في الجاهلية، وأقام بها، وتزوج من أم أيمن، وبعد موته تزوجت زيد بن حارثة، وأنجبت أسامة بن زيد[٥]، وسفيان بن معمر بن حبيب بن وهب بن جُمح القرشي الجمحي، كان أصله من بني زريق ابن عامر، فحالف معمر بن حبيب الجمحي، فتبناه ونسب إليه، ثم أسلم في مكة وهاجر

---

(١) البخاري: صحيح البخاري، ج٧، ص ١٠٥ (حديث رقم: ٢٣٢٤)؛ النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٣، ص١٥٤.

(٢) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج ٤، ص ٦٦٦.

(٣) الألوسي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج ١، ص ٣٤٧.

(٤) ابن هشام: سيرة النبي، ج ١، ص ٩٢؛ ابن حبيب: المحبر، ص٣٩٨.

(٥) عبد الله عبد العزيز إدريس: مجتمع المدينة فى عهد الرسول، ص١١٠.

إلى الحبشة، ثم عاد إلى المدينة هو وابناه جابر وجنادة من أرض الحبشة، وهما أخوا شرحبيل بن حسنة[١].

وهناك رواية للزبيري يقول فيها: "على أن من مُجَرَّبة بن كنانة، بنو ساعدة، رهط سعد بن عبادة"، وهم من الخزرج، وهي رواية وإن لم نؤيدها، إلا أنها تعطينا فكرة عن قوة العلاقات بين بني كنانة بن خزيمة - وهم من أسلاف قريش - وبني ساعدة، وهذه العلاقة قد تكون قرابة قديمة أو مصاهرة[٢].

كما حالفت بطون الخزرج قبائل جهينة التي كانت تعيش غربي المدينة، وأشجع التي كانت تعيش إلى شمالها الغربي، وحالفوا - كذلك - بعض بطون غطفان[٣].

***

(١) ابن الأثير: أسد الغابة، ج ١، ص ٥٦٠؛ ابن حجر: الإصابة، ج ٣، ص ١٠٨.

(٢) نسب قريش، ج ١، ص ١٠.

(٣) الأصفهاني: الأغاني، ج١٥، ص ١٥٩.

٢- النشاط الاقتصادي لقبيلة الخزرج قبل الإسلام

رغم وقوع يثرب على مقربة من مدن حجازية أخرى مثل مكة، إلا أن النشاط الاقتصادي في يثرب اختلف عن الاقتصاد المكي؛ فلقد حددت البيئة اليثربية نوع النشاط الاقتصادي المختلف بها، وكان تطويق الجبال والحرار البركانية لموقع المدينة المنورة سببًا في جعل تربتها خصبة، وكانت سهولة الحصول على المياه العذبة عن طريق حفر الآبار غير العميقة - لتوفر المياه - سببًا في جعل أكثر المدينة بساتين ونخيل ومزارع، وفيها حياض كثيرة[١]؛ أي تميزت المدينة بالاقتصاد الزراعي، وبناء على ذلك قامت الصناعة والتجارة اعتمادًا على المنتجات الزراعية.

الزراعة:

كان العرب قد اتخذوا الزراعة وسيلة من وسائل المعاش والاكتساب، وخاصة قبيلة الخزرج بالمدينة، وعلى الرغم من ضعف الموارد المائية الميسورة آنذاك في الحجاز، فإن المتوفر من الأمطار والجداول والعيون والآبار والأودية، ساعد على قيام الزراعة في المواضع التي وجدت بها المياه؛ وتبعًا لذلك تنوعت الزراعة في الحجاز بين زراعة تعتمد على المياه الجارية (السيح) [٢] ومياه الأمطار، وزراعة تعتمد على السَّقي وتحتاج إلى السواني والنواضح[٣]؛ كما استخدموا البقر في الحرث[٤].

ونستطيع القول إن الزراعة شكلت تاريخ يثرب في الجاهلية؛ لأن الصراع داخل يثرب وبين سكانها من الأوس والخزرج واليهود، كان في باطنه صراعًا على المناطق ذات الخصوبة المرتفعة والمياه الوفيرة، ولقد كانت المدينة - بحق - مدينة الزراعة

---

(١) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل المسيحية، ليدن، هولندة، ط٢، ١٣٢٧هـ = ١٩٠٩م، ص٨٠.

(٢) **السيح:** الماء الجاري الظاهر؛ الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ٢٨٨.

(٣) **السواني:** الرش عن طريق القِرَب؛ النواضح: الناقة يُسقى عليها؛ نفسه، ص ٣١٣.

(٤) البخاري: صحيح البخاري، ج ٣، ص ١٠٣ (حديث رقم: ٢٣٢٤)، باب استعمال البقر للحراثة.

والمزارعين[١]؛ إذ إن معظم أهل المدينة، كانوا يملكون البساتين وحدائق النخيل والفواكه المختلفة، وكانوا يسمونها الحوائط[٢]، وهي لم تكن كبيرة المساحة، وربما كان متوسطها مائة ذراع في مثلها. ويشتمل الحائط غالبًا على بئر خاصة به، إلى جانب أطم يكون بجواره؛ لتوفير الحماية وتخزين المحاصيل، بل إن بعضهم لم يجعل لحائطه أي باب ظاهر سوى فتحة صغيرة، يدخل منها إلى جوف الحائط جدول ماء صغير من إحدى الآبار القريبة منه، وكانوا يسمون ذلك الجدول ربيعًا[٣]، وكانت بعض الأسر الخزرجية الأشد غنى تمتلك مساحة كبيرة من الأراضي الزراعية؛ فقد ورد في صحيح البخاري عن رافع بن خديج الخزرجي[٤] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان يفتخر قائلًا: "كُنَّا أكثر أهل المدينة حقلًا"[٥]، فدل ذلك على أن امتلاك الأراضي كان يحدد مستوى الأسرة داخل البطن الواحد.

والواضح أن أهل يثرب - ومنهم الخزرجيون - كانوا بارعين في الزراعة، ولكن كثرة الحروب الداخلية بالمدينة بين الأوس والخزرج، وتقاتلهم على الرئاسة والزعامة - بالإضافة إلى العصبية القبلية الضيقة[٦] - كانت عائقًا لنمو الزراعة في يثرب؛ لهذا نجد الرسول ﷺ بعد هجرته إلى المدينة يحث المسلمين على الإقبال على الزراعة والعمل بها، واستغلال الأرض؛ لأن فيها قوت المسلمين، فاهتم المسلمون بالزراعة - مهاجرون وأنصار - واستغلوا مناخ الاستقرار في المدينة، ولولا الفتوحات الإسلامية التي اشتغل بها المهاجرون والأنصار لتحولت يثرب إلى بساتين ومزارع، تُمَوِّن الأماكن البعيدة عنها بالتمور والفواكه والخضر والمحاصيل المختلفة[٧].

---

(١) ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص ٨٢ - ٨٦؛ محمد عبد الحي الكتاني: نظام الحكومة النبوية المسمى (التراتيب الإدارية)، دار الأرقم، بيروت، لبنان، ط٢، (ب - ت)، ج ٢، ص ٤٣، ٤٤.

(٢) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج٧، ص ٤١.

(٣) عبد الله عبد العزيز إدريس: مجتمع المدينة في عهد الرسول، ص ٢٠٤.

(٤) هو رافع بن خديج بن رافع بن عدي بن زيد بن عمرو بن زيد بن جشم الأنصاري النجاري الخزرجي؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ٢، ص ٣٥٤.

(٥) البخاري: صحيح البخاري، ج ٣، ص ١٠٥ (حديث رقم: ٢٣٣٢).

(٦) جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٤١.

(٧) نفسه، ج٧، ص ٣١٣.

أهم المزروعات في المدينة:

كان الإنتاج الزراعي - ثم الحيواني - عماد الحياة بالمدينة، وكانت التمور أهم المحاصيل التي يتم إنتاجها، وقد أحاطت بيثرب هالة من الحوائط المغروسة بالنخيل، غرسها سادات يثرب، فصارت من أهم موارد رزقهم(١)، وكانت أرض المدينة صالحة لزراعة النخيل، حتى قيل: "إن ودية النخل كانت تثمر بعد عام من زرعها"(٢)، وعلى إنتاج النخيل كان يعتمد السكان، وأصبح التمر جُلّ طعامهم، وكانت تدفع منه الأجور وتسدد الديون؛ فقد ورد أن جابر بن عبد الله الخزرجي كان مدينًا لأحد اليهود بثلاثين وسقًا من تمر(٣).

وكان المزارعون ينتفعون بكامل النخلة، فيأكلون جُمَّارها، ويصنعون من الجريد سقوف المنازل، ومن الخوص المكاتل والقفف، وكان سقف المسجد النبوي من جريد النخل، وأعمدته من خَشَب النخل(٤).

ولقد شبه رسول الله ﷺ المؤمن بالنخلة قائلا: "أخبروني عن شجرة مثلها مثل المؤمن، كل ما فيه خير"(٥). وقد بلغ من أهمية زراعة النخل في صدر الإسلام، أن أصبح من حق العبد أن يكاتب سيده على عدد من النخيل يحييها له، وكان محصول التمر يكفي حاجة السكان - في غالب السنين - ولذلك كانوا يبيعون الفائض(٦).

أما غلات الحبوب - مثل القمح والشعير - فتأتي بعد محصول التمر من حيث الكثرة؛ إذ كانوا يزرعونها تحت النخيل، وكان الشعير يحتل المقام الأول في اعتماد الناس عليه، في حين أن زراعة القمح كانت لا تكفي حاجة السكان، ولذلك ذُكر أن القمح كان يُحْمل من

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج٧، ص ٣١٢.

(٢) أحمد ابراهيم الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، ص ٢٩٢.

(٣) البخاري: صحيح البخاري،ج ٣، ص ١١٧ (حديث رقم: ٢٣٩٦).

(٤) نفسه، ج ١، ص ٩٧ (حديث رقم: ٤٤٦).

(٥) مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح المسمى (صحيح مسلم)، ج٨، ص ١٣٧.

(٦) عبد الله عبد العزيز إدريس: مجتمع المدينة في عهد الرسول، ص ٢٠٦.

البلقاء – من أعمال دمشق – إلى المدينة[١]؛ كما زرع أهل المدينة بعض أنواع الفاكهة، مثل الكروم والرمان والموز والليمون والبِطِّيخ، كما كانت تزرع بعض الخضراوات؛ كالقرع واللوبيا والسَّلق والبصل والثَّوْم والقِثَّاء[٢].

المعاملات الزراعية:

تطرقت كتب الحديث والفقه إلى ذكر معاملات زراعية، كان الخزرجيون في المدينة يمارسونها قبل الإسلام، وعندما هاجر الرسول للمدينة حدث تقنين لأحكام وقوانين تنظيم الزراعة، وتحدد كيفية التعامل الزراعي في المدينة، مثل المحاقلة[٣]، والمخابرة، والمزارعة[٤].

النشاط الرعوي:

لم تكن منطقة المدينة بلاد رعي؛ فقد كانت الأراضي الصالحة للزراعة تستغل في إنتاج الحاصلات الزراعية، وما وراء منطقة يثرب كان مجالًا لنشاط القبائل البدوية، وعلى الرغم من ذلك فإنه كان للخزرجيين من أهل المدينة ثروة من الإبل والماشية والأغنام، يرعونها على ما تنبت منطقة المدينة من أشجار وشجيرات رعوية[٥]؛ بالإضافة لوجود منطقة الغابة شمال غربي المدينة من ناحية الشام، فكان أهل المدينة يرعون بها[٦]؛ كما كان بعض أهل المدينة من الخزرج يمارس الصيد عن طريق الكلاب المعلمة أو البُزاة[٧].

---

(١) الكتاني: التراتيب الإدارية، ج ٢، ص ٣٨.

(٢) أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، ص ٢٩٤.

(٣) **المحاقلة:** بيع الزرع قبل بدو صلاحه، أو بيعه في سنبله بالحنطة أو المزارعة بالثلث أو الربع أو أقل أو أكثر، أو اكتراء الأرض بالحنطة؛ الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ١٢٧٤.

(٤) **المخابرة:** هي المزارعة على النصف ونحوه، أو الثلث أو الربع؛ أما المزارعة فهي المعاملة على الأرض ببعض ما يخرج منها ويكون البَذر من مالكها، فان كان من العامل فهي مخابرة؛ الفراهيدي: معجم العين، ج ٤، ص٢٥٨؛ النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٠، ص ٢٠٨ وما بعدها، باب المساقاة والمزارعة.

(٥) أحمد إبراهيم الشريف، المرجع السابق، ص ٢٩٦.

(٦) ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٨٢.

(٧) النووي، المصدر السابق، ج١٣، ص ٧٣ وما بعدها (باب الصيد والذبائح).

النشاط الصناعي:

أما النشاط الحرفي أو الصناعي - بصفة عامة - فكان جيدًا في المدينة، ومؤديًا مهمته لسد حاجات الناس واكتفائهم، وقد اشترك فيه الخزرجيون مع جيرانهم من أهل المدينة، خاصة في تلك الصناعات المعتمدة على خوص النخيل، مثل القفاف والحصر والمكاتل ونحوها(١).

وكانوا يصنعون الخمر من التمر والبسر، وكانوا يسمونها الفَضِيخ، ويشربونها ويتاجرون فيها(٢)؛ كما كانت المدينة مشتهرة بصناعة الحُلي والزينة للنساء، وقد تخصص فيها يهود بني قينقاع. كما كانت صناعة الأسلحة من أهم صناعات المدينة وأشهرها، حتى إن الأعشى ذكر سهام يثرب في شعره(٣)، فقال:

شَرعَتْ قِسِيَّ الماسِخيِّ(٤) رجالُنا ... بسهامِ يثربَ أو سهامِ الوادي

وإلى جانب هذه الصناعات المهمة كانت النساء الخزرجيات تقوم بصناعة النسيج؛ كما كانت الخياطة والدباغة من الصناعات والحرف التي يحترفها بعض الناس(٥)، فقد صنعوا الخزف والفخار من الطين، وكانوا يستخدمونه في أواني الشرب والأكل، وينقشون عليه بعض النقوش(٦).

وهكذا كان للصناعة أهمية كبيرة في المدينة، وكان يقوم بها العرب واليهود على السواء، ولكن العرب كانوا يأنفون من العمل في بعض الصناعات كالحدادة، فعمل بها الموالي والعبيد ممن قدموا إلى المدينة وأقاموا فيها.

---

(١) عبد الله عبد العزيز إدريس: مجتمع المدينة في عهد الرسول، ص ٢٢٣.

(٢) البخاري: صحيح البخاري، ج ٣، ص ١٣٢ (حديث رقم: ٥٥٨٢).

(٣) الألوسي: بلوغ الأرب، ج ٢، ص ٦٥.

(٤) **الماسِخيّ:** القواس الذي يضرب بالقوس، والوادي: يعني وادي القرى؛ ابن دريد: الاشتقاق، ص ٤٩٠.

(٥) أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، ص ٣٠٩.

(٦) طلال شرف البركاتي: مكاييل بلاد الحجاز في عهد الرسول وعهد خلفائه الراشدين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة، جامعة أم القرى، السعودية، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م، ص ٣٢.

النشاط التجاري:

انخرط الخزرجيون في النشاط التجاري للمدينة، وقد كانت التجارة الداخلية في يثرب نشطة؛ لكثرة المنتجات الزراعية والحيوانية التي تنتج بها، بالإضافة إلى تقدم المدينة الصناعي - حيث برع يهود المدينة فى صناعة الحُلي والأسلحة - وكان جيران المدينة من الأعراب يأتون إلى المدينة للامتيار منها، ولتصريف منتجات البادية من إبل وغنم وخيل وصوف ووبر وسمن، وغير ذلك(١).

أما عن التجارة الخارجية فقد كان سكان المدينة يتاجرون مع الرحلات التجارية المكية الذاهبة إلى الشام، وكانوا يرحلون في الجاهلية إلى الأسواق العربية في عكاظ ومجنة وذي مجاز في موسم الحج؛ يبيعون فيها ويشترون(٢)، كما كانت التجارة تأتي إلى المدينة من الشام، يقول الواقدي: "كانت الساقطة تنزل المدينة في الجاهلية والإسلام، يقدمون بالبُر والشعير والزيت والتين والقماش، وما يكون في الشام؛ بل كانوا ينقلون أخبار المدينة إلى الروم"(٣). كما كان أهل المدينة يستوردون ما يلزمهم من أقمشة قطنية وحريرية ونمارق ووسائل الترف، وما يحتاجون إليه من زيت وزبيب ونبيذ من الشام ومن اليمن، وكانوا يستوردون العطور والمسك من البحرين(٤).

وكان من أهم مظاهر هذا النشاط التجاري كثرة الأسواق في المدينة، منها سوق حُباشة في بني قينقاع، وكان من أهم أسواق العرب في الجاهلية(٥)، وكانت لبيع العبيد، ويُرْوَى أن هاشم بن عبد مناف اشترى منها أَمَة سوداء كانت لعمرو بن سلول أخي أبيّ ابن سلول الخزرجي، أنجب منها ولدين(٦)، وأهم ما كان يباع فيها الحُلي والأقواس والرماح والسيوف.

---

(١) أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، ص ٢٩٩.

(٢) البخاري: صحيح البخاري، ج ٣، ص ٥٣ (حديث رقم: ٢٣٣٢).

(٣) الواقدي: فتوح الشام، دار الجيل، بيروت، لبنان، (ب - ت)، ج ١، ص ١٧.

(٤) أحمد إبراهيم الشريف، المرجع السابق، ص ٣٠٤.

(٥) ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢١٠.

(٦) نفسه، ج ٢، ص ٢١١.

وكان بالمدينة سوق بزَبَالة من الناحية التي تدعى يثرب[١]، وسوق بالعُصَبَة غربي مسجد قباء، وسوق وسط منازل بني الحُبْلَى بموضع يقال له مُزاحم، وكانت تقوم في الجاهلية وأول الإسلام[٢]، ثم أنشأ رسول الله ﷺ سوقًا في موضع بقيع الزبير، فأقبل كعب بن الأشرف - من بني النضير - فدخلها وقطع أطنابها، فقال الرسول ﷺ: "لأنقلنها إلى موضع هو أغيظ له من هذا"، ثم استأذن الرسول ﷺ من بني ساعدة أن يعطوه مقابرهم فيجعلها سوقًا فوافقوا، فتم إنشاء السوق بها[٣].

وقد كان اختيار المسلمين لموضع سوقهم اختيارًا موفقًا، دل على عُمق تجربتهم التجارية وفهمهم لأمور البيع والشراء؛ إذ كان واقعًا في جهة هي بمثابة المدخل الرئيس للمدينة؛ مما مكنهم من تلقي التجار والوفود حال وصولهم[٤]، وقد حظي السوق باهتمام الرسول ﷺ، فكان يقوم بنفسه - مع بعض الصحابة - يتعسس أحوال السوق، ويراقب أمورها وما يجري فيها.

ولقد منع الرسول ﷺ احتكار ما يأتي إلى السوق من البضائع والطعام، وكان الغش فاشيًا في أسواق المدينة قبل أن يضبطها رسول الله ﷺ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: "لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أبخس الناس كيلًا"[٥]، ولقد نزل في المدينة اثنتان وثلاثون سورة من سور القرآن، وكان أول ما نزل بعد الهجرة سورة المطففين، التي تعالج الغش في الكيل والميزان[٦].

(١) السمهودي: وفاء الوفا، ج ٣، ص ٨٢.

(٢) نفسه؛ صالح أحمد العلي: الحجاز في صدر الإسلام، ص ٣١١.

(٣) السمهودي، المصدر السابق، ج ٣، ص ٨٣.

(٤) عبد الله عبد العزيز إدريس: مجتمع المدينة في عهد الرسول، ص ٢٠٨، ٢٠٩.

(٥) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٤٨٣؛ السيوطي: أسباب النزول، ص ٢٣٦.

(٦) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٤٣.

وقد مارس أهل المدينة أعمال الصيرفة، وإن كانت حكرًا على اليهود، وهي بيع الذهب بالفضة، وكانوا يعتبرونها نوعًا من التجارة، وكان زيد بن أرقم الخزرجي يعمل في الصرف[١]، ولقد بين الرسول ﷺ حكم الإسلام في الصرف، فقال: "إن كانت يدًا بيد فلا بأس، وإن كان نسيئة فلا يصلح"[٢].

وقد كان الربا مظهرًا من مظاهر الحركة الاقتصادية التجارية، وكان يُزاول في المدينة مزاولة كبيرة، بين أهلها أنفسهم، وبينهم وبين الوافدين إليهم[٣]، ولـمَّا جاء الإسلام حرم الربا، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ ﴾[٤]، واهتم الفقهاء بما ورد عن الرسول ﷺ في البيع والشراء، حتى قالوا: "لا يحل لأحد أن يشتغل بالتجارة ما لم يحفظ كتاب البيوع"[٥].

ولقد كان للتشريعات التجارية التي وردت عن الرسول ﷺ أثر كبير في رواج التجارة الداخلية في المدينة، وبدأت الثقة تأخذ طريقها إلى نفوس البدو، الذين يفدون بما لديهم من سلع، فازدادت التجارة في المدينة رواجًا أفاد جميع سكانها[٦].

العُمْلة:

كان أهل المدينة من الخزرج وغيرهم يتعاملون بالدراهم والدنانير؛ الأولى من الفضة والثانية من الذهب، ويقول ابن عبد البر: "كانت الدنانير في الجاهلية وأول الإسلام تُضرب ببلاد الروم، عليها صورة الملك الذي ضربت في عهده، وكانت تسمى الهرقلية؛ نسبة إلى هرقل ملك الروم، وكانت الدراهم كلها كسروية، عليها صورة كسرى"[٧].

---

(١) الكتاني: التراتيب الإدارية، ج ٢، ص ٢٨.

(٢) البخاري: صحيح البخاري، ج ٣، ص ٥٥ (حديث رقم: ٢٠٦١).

(٣) نفسه، ج ٣، ص ٥٩، ٦٠ (حديث رقم: ٣٩٣٩).

(٤) آل عمران: ١٣٠.

(٥) الكتاني، المرجع السابق، ج ٢، ص ١٨.

(٦) أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، ص ٣٠٣.

(٧) الكتاني، المرجع السابق، ج ٢، ص ٣٢٨ وما بعدها.

المكاييل والموازين:

لما كانت منتجات المدينة – في الأغلب – حاصلات زراعية، فإن المكاييل كانت أكثر استعمالًا فيها من الأوزان؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ: "المكيال مكيال المدينة، والوزن وزن مكة"(١)، وكانت أهم المكاييل المُد والصَّاع، وكان الصاع يساوي أربعة أمداد، وقد كان الرسول ﷺ يغتسل بالصاع ويتوضأ بالمد، وكان الوسق يساوي حمل بعير، ويعادل ستين صاعًا، أو ثلاثمائة وعشرين رطلًا، أما الأوزان التي كانت تستخدم فهي: المثقال والدانق والقيراط والنواة والرطل والقنطار والأوقية(٢).

ويمكننا القول إنه لولا الحروب الداخلية وتنازع أهل المدينة فيما بينهم على السيطرة والزعامة؛ لكانت المدينة ذات شأن خطير من الناحية الصناعية والتجارية، ولربما تفوقت على مكة وسيطرت على منطقة الحجاز كلها؛ ومن هنا كان لابد من الاستعانة بطرف خارجي يأتي لتوحيد المدينة، والقضاء على ما بها من نزاعات، فكانت الهجرة النبوية إلى المدينة بمثابة صمام الأمان الذي أخرج المدينة مما كانت فيه من صراع، وارتفع بها إلى مكانة لم تكن تدور في مخيلة أهلها.

***

(١) أبو عبيد القاسم بن سلام: الأموال، تحقيق: سيد رجب، دار الهدى، مصر، ط١، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م، ج ٢، ص ١٨٩؛ الكتاني، المرجع السابق، ج ١، ص ٣٣٨.

(٢) نورة عبد الملك: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة المنورة، ص ١٥٢.

٣- الحياة الدينية لقبيلة الخزرج قبل الإسلام

كانت الحياة الدينية في المدينة قبل الإسلام شديدة التفتت، كثيرة الصراعات، وكأنها كانت تهيئ وتمهد سكان المدينة إلى هذا الحدث المهم الذي سوف يغير وجه تاريخها وتاريخ العالم من حولها، ويَخْرُج بها من ظلمات الشك إلى نور اليقين؛ بل ويدفع بهذه المدينة من مكانها على حافة التاريخ إلى معترك ذلك التاريخ وقلب أحداثه؛ ألا وهو التوحيد الذي جاء به الإسلام، وكان الصحابة الخزرجيون أول أهل المدينة دخولًا فيه ومناصرة له.

ولقد كانت عبادة الأوثان والأصنام[١] هي العبادة الرئيسة المنتشرة في الحجاز قبل الإسلام، على أنه يمكننا القول إن هذه العبادة كانت مختلطة اختلاطًا كبيرًا ببقايا من دين إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ كتعظيم بيت الله الحرام، والطواف به، والوقوف على عرفة والمزدلفة، وهدي البُدْن، والإهلال بالحج والعمرة[٢]، كما كانوا يعظمون الأشهر الحرم، فيتوقف فيها القتال بين البطون المتحاربة.

ولقد ذكر القرآن الكريم بعض هذه الأصنام التي عبدها العرب قبل الإسلام، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾[٣]، وهذه الأصنام الثلاثة إناث في نظر الجاهليين[٤]، وقد كان مناة[٥] هو المعبود

(١) **الصنم:** في تعريف علماء اللغة: هو ما اتُّخِذَ إلهًا من دون الله، وكان له جسم أو صورة كالتمثال، وعمل من الخشب أو النحاس أو الذهب أو الفضة أو غيرها من جواهر الأرض؛ فإن لم يكن له جسم أو صورة فهو وثن؛ كالأحجار التي تعبد على صورتها دون تغيير، وهناك قول آخر بأن الوثن هو الصنم؛ ابن الكلبي: الأصنام، تحقيق: أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٣هـ = ١٩٢٤م، ص ١٣.

(٢) ابن هشام: سيرة النبي، ج ١، ص ٧١.

(٣) النجم: ١٨، ١٩.

(٤) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج٦، ص ٢٤٦.

(٥) **مناة:** هي أقدم الطواغيت الثلاثة، وكان منصوبًا على ساحل البحر، وتأتي بعدها اللات والعزى. الخليل بن أحمد: معجم العين، ج٨، ص ٣٩١؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص ٢٠٤.

المعبود الرئيس لسكان يثرب من الأوس والخزرج[١]، وهو أقدم أصنام العرب كلها على حد قول ابن الكلبي[٢]، ويقول ابن اسحاق: "كانت مناة للأوس والخزرج، ومن دان بدينهم من أهل يثرب، على ساحل البحر من ناحية المُشَلّل[٣] بِقُدَيد[٤]" [٥]، على سبعة أميال من المدينة[٦]، على الطريق لمكة في منطقة فَدَك[٧].

وكان سدنة مناة الغطاريف من الأزد[٨]، ويظهر لنا أن هذا الإله كان واسع الانتشار؛ فقد كان المعبود الرئيس لجميع قبائل الأزد وأزد شنوءة والأنصار، وكان الغساسنة يولونه عنايتهم؛ بل إن ملك غسان الحارث بن أبي شمر الغساني أهدى إليها سَيْفَان، هما مِخْذَم ورَسُوب[٩]، وهما سيفا الحارث اللذان ذكرهما علقمة في شعره:

مُظَاهِرُ سِرْبَالَيْ حَدِيْدٍ عليهما   عَقِيْلا سُيُوْفٍ مِخْذَمٌ ورَسُوْبُ[١٠]

وتعني لفظة مناة عند ياقوت الحموي القدر أو الموت أو الابتلاء[١١]، ويسميها بروكلمان إلهة القضاء والقدر[١٢]؛ في حين أن محمد خان يشير إلى أن الإلهة مناة العربية هي

---

(١) ابن الكلبي: الأصنام، ص ١٣.

(٢) نفسه، ص ١٣، ١٤. (وراجع خريطة توزيع الأصنام في: حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م، خريطة رقم: ٣٧).

(٣) **مشلل:** كمعظم وهو جبل يُهبط منه إلى قديد، أو ثنية تشرف على قديد كان بها مناة الطاغية؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص ١٣٦؛ الديار بكري: تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، بيروت، لبنان، (ب – ت)، ج٢، ص ٩٧.

(٤) **قديد:** اسم موضع قرب مكة. ياقوت، المصدر السابق، ج ٤، ص ٣١٣.

(٥) ابن هشام: سيرة النبي، ج ١، ص ٧٥؛ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٢٥٣.

(٦) ياقوت، المصدر السابق، ج٥، ص ٢٠٤؛ جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج٦، ص ٢٤٦.

(٧) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٩٦.

(٨) ابن حبيب: المحبر، ص ٣١٦.

(٩) ابن الكلبي، المصدر السابق، ص ١٥.

(١٠) **سميح دغيم:** أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م، ص١٠١.

(١١) معجم البلدان، ج٥، ص ٢٠٤.

(١٢) تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٢٦.

إلهة الموت (مامناتو) عند البابليين[١]، وقد أتى بها عمرو بن لُحَي من شمال شبه الجزيرة العربية، هي وأصنام أخرى، ووضعها في البيت الحرام[٢]، ويربط جواد علي بين مناة والإله الكنعاني (مني)، وهو إله القدر، ويربطه أيضًا بالصنم (منوت) من أصنام ثمود[٣].

ولم تذكر الروايات شيئًا عن معبد (مناة)، ولكن الطبري يشير في تفسيره إلى "أنه كان له بيت بالمشلل"[٤]؛ فلا يعقل أن يكون له سدنة ولا يكون له بيتٌ يئويه[٥]. ويقول جواد علي: "وهناك خلاف على هيئة مناة وشكله، منهم من يقول إن مناة صخرة، سميت بذلك لأن دماء النسك كانت تراق عندها، ومنهم من يقول إنه كان صنمًا منحوتًا من حجارة كان منصوبًا على ساحل البحر، وجعله بعض الرواة في الكعبة مع بقية الأصنام"[٦]، ولم يكن أحد أشد إعظامًا له من الأوس والخزرج[٧].

وقد بلغ من تعظيم الأوس والخزرج لمناة أنهم كانوا يهلون منها للحج إلى الكعبة[٨]؛ وذلك بأن يغادروا يثرب إلى معبد الصنم، فيكونون فيه لمراقبة هلال ذي الحجة، فإذا أهلّوا لبّوا، ثم يسير من يسير منهم إلى مكة؛ لحج البيت، وكانت لهم تلبية من نُسك مناة وهي: "لبيك اللّهم لبيك لبيك، لولا أن بكرًا دونك، يَبَرُّك الناس ويهجرونك، ما زال حج عثج[٩] يأتونك، إنا على عدوائهم من دونك"[١٠]، فإذا تمت أعمال الحج ووقفوا مع

(١) محمد عبد المعين خان: الأساطير العربية قبل الإسلام، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، رسالة دكتوراه منشورة، ١٣٥٦هـ = ١٩٣٧م، ص ١٢٨، ١٢٩.

(٢) ابن الكلبي: الأصنام، ص٨؛ محمد نعمان الجارم: أديان العرب في الجاهلية، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٤٢هـ = ١٩٢٣م، ص١٥١؛ جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج٦، ص ٢٤٨.

(٣) نفسه، ج٦، ص ١٥٧.

(٤) الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج٢٢، ص ٥٢٤.

(٥) جواد علي، المرجع السابق، ج٦، ص ٢٤٧.

(٦) نفسه، ج٦، ص ٢٤٨.

(٧) ابن الكلبي، المصدر السابق، ص ١٣.

(٨) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٢٥٣.

(٩) **العثج:** جماعة من الناس في السفر؛ الخليل بن أحمد: معجم العين، ج ١، ص ٢٢١.

(١٠) ابن حبيب: المحبر، ص ٣١٣.

الناس المواقف كلها لا يحلقون رءوسهم، فإذا نفروا أتوا صنمهم فحلقوا رءوسهم عنده، لا يرون لحجهم تمامًا إلا بذلك، وكانوا يحلفون بها لقداستها عندهم، وقد ورد بيت من الشعر، ينسب إلى عبد العزى بن وديعة المزني، فيقول:

إنّي حَلَفــتُ يمــينَ صِــدقٍ بَــرَّة   بمَنــاةَ عنــد محــلِّ آل الخَــزْرَجِ

ومن هنا نصل إلى أن المحِل الذي يقف فيه آل الخزرج هو المحِل الذي يُحلف به أمام مناة، وكان العرب يسمون الأوس والخزرج جميعًا: الخزرج[١].

وقد كان الخزرجيون يذبحون حول مناة ويهدون لها؛ فعن سعيد بن سعد بن عبادة بن دُيلم، قال: "إن دُيلمًا جدهم كان يهدي إلى مناة الصنم كل عام عشر بدنات، ثم كان عبادة يهديها كذلك، ثم كان سعد يهديها كذلك، إلى أن أسلم، ثم أهداها قيس بن سعد بن عبادة إلى الكعبة"[٢].

وقد تم هدم مناة على يد سعد بن زيد الأشهلي الأوسي، بعد فتح مكة، سنة ثمان للهجرة، لست بقين من رمضان[٣]، وفي رواية أخرى أن الذي هدمها هو علي بن أبي طالب[٤].

وقد كان للعرب - كسائر عُبَّاد الأوثان من الشعوب القديمة - نوعان من الآلهة: عائلي وقبلي، يقول ابن الكلبي: "إنه كان لكل بيت صنم يعبده سكانه، وكلما كان أحد الأفراد يود السفر كان آخر شيء يفعله قبل الرحيل أن يتمسح في إلهه، وكان ذلك - أيضًا - أول ما يفعله عند عودته إلى داره"[٥].

---

(١) ابن الكلبي: الأصنام، ص ١٣، ١٤؛ جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج٦، ص ٣٥٤.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ١، ص ٣٥٧.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ١٣٤؛ القسطلاني: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م، ج ١، ص ٣٢٧؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٦، ص ٣٠٤.

(٤) ابن الكلبي، المصدر السابق، ص ١٥.

(٥) نفسه، ص ٣٣.

وقد ورد عن ابن إسحاق أن سيد بني سَلِمة وشريفها عمرو بن الجموح، كان له في بيته صنم من خشب(1)، يسمى مناف عند ابن سعد(2)، ويسمى مناة عند السمهودي(3)، وكان يعظمه ويطهره، وكانت بنو سلمة تذبح ذبائحها على صنم عمرو؛ لشرف عمرو فيهم، وعندما رأى انتشار الإسلام بيثرب، دخل على مناف فقال: "يا مناف تعلم والله ما يريد القوم غيرك، ثم خرج وأوصى أهله قائلًا: استوصوا بمناف خيرًا؛ فإني أكره أن أرى لمناف يوم سوء"(4).

وهكذا نشهد تغلغل عبادة الأصنام في نفوس أهل يثرب من الأوس والخزرج، ومع ذلك كان هناك من له رأي آخر؛ فهذا أبو قيس صرمة بن أبي أنس الخزرجي، وكان شاعرًا من بني النجار(5)، وكان قوالًا بالحق، يعظم الله في الجاهلية(6)، ترهب ولبس المُسُوح، وفارق عبادة الأوثان، وهمَّ بالنصرانية ثم أمسك عنها، ودخل بيتًا له فاتخذه مسجدًا لا يدخله طامث ولا جُنُب، وقال: "أعبد رب إبراهيم"، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، أسلم وهو شيخ كبير، وحسن إسلامه(7)، وقد كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يختلف إليه؛ ليأخذ عنه الشعر(8).

أما عن الديانات السماوية في يثرب، فقد كان هناك بعض الخزرجيين قد تهودوا، فقد تهود قوم من الأوس والخزرج بعد خروجهم من اليمن؛ لمجاورتهم يهود خيبر وبني قريظة وبني النضير(9)، وكانت المرأة المِقلات(10) في الجاهلية تنذر إن عاش لها ولد أن

(1) ابن حجر: الإصابة، ج ٤، ص ٢٩٠.
(2) كتاب الطبقات الكبير، ج ٤، ص ٣٧٣.
(3) وفاء الوفا، ج ١، ص ٤٠٩.
(4) ابن سعد، المصدر السابق، ج ٤، ص ٣٧٤، ٣٧٥.
(5) محمد نعمان الجارم: أديان العرب في الجاهلية، ص ١٩٩.
(6) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ١، ص ٤٤٣.
(7) نفسه، ج ١، ص ٤٤٤؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج ٣، ص ١٨، ١٩؛ ابن حجر، المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٤٢؛ الألوسي: بلوغ الأرب، ج ٢، ص ٢٦٦.
(8) ابن الأثير، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٩؛ ابن حجر، المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٤٢.
(9) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٩٨.
(10) **المِقْلات:** ناقة تضع واحدًا ثم لا تحمل، وامرأة لا يعيش لها ولد. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ج ١، ص ١٤٧.

تهوده، فتهود قوم منهم[١]، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا لا ندع أبناءنا، وأرادوا أن يجبروهم على الإسلام فنزلت: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾[٢].

وذكر العلماء - أيضًا - أن بعض الأنصار كانوا مسترضعين في بني قريظة؛ فتهودوا، وأن من الأنصار من رأى في الجاهلية أن اليهودية أفضل الأديان، فهودوا أولادهم[٣]، وعندما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة، وجد اليهود من الأوس والخزرج قد نما عددهم، بحيث إننا وجدنا رسول الله ﷺ يحدد لليهود الخزرجيين حقوقهم في الصحيفة التي كتبها، وتحدد الصحيفة أربعة بطون خزرجية صغيرة من اليهود؛ هي يهود بني النجار، ويهود بني الحارث، ويهود بني ساعدة، ويهود بني جشم، فلو أن أعداد هذه البطون كانت قليلة، أو أنه لم يكن لها أهمية لما ذُكرت في الصحيفة[٤].

أما عن النصرانية فقد دخلت جزيرة العرب مع بضاعة مستوردة من الخارج، هي تجارة الرقيق من الجنسين، وقد كان في يثرب رقيق نصراني، كان يقرأ ويكتب ويفسر للناس ما جاء في التوراة والإنجيل، ويقص عليهم قصصًا نصرانية، ومنهم من تمكن من إقناع بعض العرب في دخول النصرانية[٥]، وإذا أضفنا إلى ذلك أنفة أهل المدينة عن العمل في الحرف المختلفة وخاصة اليدوية كالصناعة، فسر لنا ذلك كثرة أعدادهم بالمدينة؛ بل إنهم استمروا بالمدينة حتى وفاة الرسول ﷺ فهذا حسان بن ثابت يرثي رسول الله ﷺ، فيقول:

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٣١٠.

(٢) البقرة: ٢٥٦.

(٣) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج٦، ص ٥١٥.

(٤) ابن هشام: سيرة النبي، ج ٢، ص ٦٧؛ محمد حميد الله: الوثائق السياسية للعهد النبوي، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط٥، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م، ص ٦١.

(٥) جواد علي، المرجع السابق، ج٦، ص ٥٨٨، ٥٨٩.

فرِحــتْ نــصارى يَثــربٍ ويهودهــا   لــمّا تَــوَارَى في الــضَريحِ المُلحَــدِ[١]

وإذا حللنا بيت حسان السابق، استنتجنا أنه كان في يثرب نفر من النصارى، كما كان بها قوم من يهود عند وفاة الرسول ﷺ.

القرآن والحياة الدينية عند العرب:

على أن الناظر فيما ورد من القرآن الكريم يجد أن الجاهليين كانوا يؤمنون بإله فوق مستوى الأصنام والأوثان ذات الأشكال المحسوسة؛ إذ جاء فيه: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[٢]، وجاء فيه أيضًا: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[٣]؛ وهكذا كانت لفظة (الله) دارجة بينهم قبل ظهور الدعوة الإسلامية، على أن الحديث عن الله في المدينة كان ذا معنى خاص؛ وذلك لوجود اليهود بها، وكثرة حديثهم عن نبي يؤمنون به، ويحاربون معه، فيقتلون الأوس والخزرج قتل عاد وإرم[٤]، ولقد كان بين الجاهليين من كرهوا الأصنام، ورأوا أنها لا تنفع ولا تضر، فلم يتقربوا إليها وقالوا بالتوحيد، ومنهم أبو قيس صرمة بن أبي أنس الخزرجي، وأسعد بن زرارة الخزرجي[٥].

على أننا في نهاية العصر الجاهلي نلاحظ وجود حالة من القلق الديني، أو ضعف الوثنية، منتشرة في شبه الجزيرة العربية كلها بصفة عامة، ويثرب بصفة خاصة، ولقد تحدث عنها الخربوطلي نقلًا عن المؤرخ الهندي المسلم (خودابخش) في كتابه الحضارة الإسلامية قائلًا: "كان العرب يقدسون آلهتهم، فيحجون إلى أماكنها المقدسة، ويقدمون الأضحيات في معابدها، ويخضبون بدماء هذه الأضحيات الهياكل الحجرية، ويستجيرون

(١) عبد الرحمن البرقوقي: شرح ديوان حسان بن ثابت، المكتبة التجارية، مصر، ١٣٤٧هـ = ١٩٢٩م، ص ٩٧، ٩٨؛ سميح دغيم: أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام، ص ٧٤.

(٢) العنكبوت: ٦١.

(٣) العنكبوت: ٦٣.

(٤) أحمد إبراهيم الشريف: الدولة الإسلامية الأولى، دار القلم، القاهرة، ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م، ص٦٣.

(٥) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج٦، ص ٦٨.

بكهنتها في وقت الشدة، ويسألونها عما يخبئه المستقبل؛ ولكن هذا كله كان تظاهرًا وتصنعًا، فلم يكن هناك شعور بإيمان حقيقي؛ ولكن كان العربي يبدي غضبه لأقل شيء على الآلهة، ويخاطبها وكأنه يعرف حقيقتها، فيسخر منها "[1].

ويظهر لنا من القول السابق، أن العرب - خاصة في يثرب - كانوا غير راضين عن نظامهم الديني، وكانوا عاجزين عن الوصول إلى ما هو أحسن، بحيث يرضي حاجاتهم ومطالبهم، وكانوا في اختلافات دينية، يمارسون عبادة الأوثان، ولكن بدون الشعور بإيمان داخلي حقيقي.

ولقد مهد هذا الجو الديني لتلك الثورة الدينية التي آن لها أن تتفجر فى شبه الجزيرة العربية، ألا وهي الإسلام، الذي أخرج الناس من الفكرة المسيطرة القائلة بتعدد الآلهة، وعدم وجود معنى محدد لمنطوق لفظ الإله، إلى هذه الرؤية الإسلامية للإله الواحد المنزه تنزيهًا مطلقًا.

ويعلق المستشرق (جب) على فكرة التوحيد الجديدة على العالم في تلك الفترة التاريخية قائلًا: "إن الرسالة المحمدية قد أعطت لمضمون فكرة الإله معنًى جديدًا أكثر تكاملًا؛ حيث طهرته من عناصر الشرك والتعدد، واستبدلت بصورة الله الغامضة البعيدة، حقيقة الإيمان بالذات الإلهية الحقيقية المتعالية "[2].

***

(١) علي حسن الخربوطلي، الكعبة على مر العصور، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م، ص ٦٠.

(٢) H.a.r. Gibb, Mohammedanis: An Historical Survey, Second. Oxford Uni. Press "New York 1962, p 54".

٤- الحياة الثقافية لقبيلة الخزرج قبل الإسلام

كانت الحياة الثقافية مزدهرة في يثرب قبل الإسلام، إذا ما قورنت بأنحاء شبه الجزيرة العربية المختلفة، وقد ذكر أهل الأخبار أن قومًا من أهل يثرب من الأوس والخزرج، كانوا يكتبون ويقرأون عند ظهور الإسلام، وقد ذكر منهم: المنذر بن عمرو بن خنيس بن لوزان الخزرجي، وكان يكتب فى الجاهلية بالعربية[١]، وسعد بن عبادة بن دليم الخزرجي، وسمي الكامل فى الجاهلية؛ لأنه كان يحسن الكتابة والعوم والرَّمي[٢]، وزيد بن ثابت من بني النجار من الخزرج، وكان يكتب بالكتابين العربي والسرياني، وكتب لرسول الله ﷺ ومن بعده لأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[٣].

ويرجع انتشار القراءة والكتابة في يثرب قبل الإسلام إلى قوم من يهود يثرب، مارسوا تعليم الصبيان، دعوا ببني ماسكة، وقد تعرض البلاذري لهذا الأمر، فقال: "كان يهود المدينة قد علموا كتاب العربية، فكانوا يعلمونه الصبيان في المدينة في الزمن الأول، فجاء الإسلام وفي الأوس والخزرج عدة يكتبون"[٤].

وهذا أنس بن مالك الخزرجي يقول: إن أمه جاءت به يوم قدم رسول الله ﷺ يثرب، وقالت له: "يا رسول الله، هذا ابني وهو غلام كاتب". ويدل ذلك على أن بعض غلمان يثرب كانوا يقرأون ويكتبون[٥]، وقد كانوا يستعينون بصبيان الكُتَّاب في بعض الأحيان لكتابة جملة نسخ مما يراد نشره أو إذاعته، فقد ورد أن النجاشي الشاعر هجا بني النجار من الأنصار، فرد عليه حسان بن ثابت، ثم قال لهم: "اكتبوها صكوكًا وألقوها إلى

---

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج٨، ص ١١٦، ١١٧.

(٢) ابن قتيبة: المعارف، ص ٢٥٩؛ ابن حجر: الإصابة، ج ٣، ص ٨٠.

(٣) ابن قتيبة، المصدر السابق، ص ٢٦٠؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج ٢، ص ٣٤٧.

(٤) فتوح البلدان، ص ٤٧٩؛ جواد علي، المرجع السابق، ج٨، ص ١١٤.

(٥) ابن الأثير، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٩٦؛ ابن حجر، المصدر السابق، ج ١، ص ٧١.

صبيان المكاتب، فما مر بضع وخمسون ليلة حتى أتى آل النجاشي به موثقًا معهم"؛ وذلك للاعتذار لحسان ولبني النجار(١).

ويقول جواد علي: "ولقد كان للديانتين اليهودية والنصرانية فضل كبير على شبه الجزيرة العربية في نشر الكتابة والعلوم؛ إذ صارت معابدهم مدارس يتعلم فيها الناس الدين، والأطفال القراءة والكتابة"(٢).

على أن المقريزي والصالحي كان لهما رأي آخر؛ فقد ورد عنهما أنه: "لم يكن في الأنصار من يُحسِن الكتابة"(٣)، ويتضح من هذا القول أن المدينة كانت متأخرة بالنسبة إلى مكة في الكتابة، ولكن هذا الرأي يظهر ضعفه، فهذا سويد بن الصامت الأوسي دعاه رسول الله ﷺ للإسلام فرد قائلًا: "لعل الذي معك مثل الذي معي، فقال رسول الله ﷺ: وما الذي معك؟ قال: مجلة لقمان"، فدل ذلك على معرفته بالقراءة ووجودها بيثرب(٤)، ويضاف إلى هذا كثرة من أشارت إليهم المصادر بالكُمَّل من أهل المدينة؛ لأنهم كانوا يكتبون في الجاهلية، ويحسنون العوم والرمي(٥)، وهذا عبد الله بن رواحة يقول عنه ابن سعد في طبقاته: "كان يكتب في الجاهلية، وكانت الكتابة في العرب قليلة"(٦)؛ كما كان أبيّ بن كعب، وأوس بن خولي وغيرهم، يكتبون أيضًا(٧).

ويمكن القول إن وجود أهل الديانات السماوية في المدينة من يهود ونصارى، أدى إلى ارتفاع المستوى الثقافي بالمدينة؛ وذلك لكثرة الحديث عن الديانات والأنبياء بها، ولقد

---

(١) عبد الرحمن البرقوقي: شرح ديوان حسان بن ثابت، ص ٢١٣.

(٢) المفصل في تاريخ العرب، ج٨، ص ٢٩٣.

(٣) تقي الدين المقريزي: إمتاع الأسماع بما للنبى من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م، ج ١، ص ١١٩؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج ٤، ص ١٠٤.

(٤) ابن هشام: سيرة النبي، ج ٢، ص ٢١؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ص ٣٧؛ البيهقي: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، دارالريان، القاهرة، ط٢، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م، ج ٢، ص ٤١٩.

(٥) ابن قتيبة: المعارف، ص ٢٥٩، ابن حجر: الإصابة، ج ٣، ص ٨٠.

(٦) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج ٣، ص ٤٨٧.

(٧) نفسه، ج ٣، ص ٤٦٢.

أدى ذلك إلى سرعة دخول عرب المدينة في الإسلام؛ لكثرة سماعهم من يهود المدينة عن نبي آخر الزمان.

ولقد امتلك أهل الخزرج أهم وسائل الإعلام في العصر الجاهلي، ألا وهو الشعر، الذي برع فيه أهل يثرب براعة عظيمة، وقد أشار أهل الأخبار إلى بيوت ذكروا أنها اشتهرت بقرض الشعر، كان أهمها بيت حسان بن ثابت؛ فقد كان أبوه وجده وأبو جده شعراء، وابنه عبد الرحمن كان شاعرًا، وسعيد بن عبد الرحمن كان شاعرًا[١]، وكذلك بيت النعمان بن بشير الزُّرقي، لسان الأنصار وشاعرهم، كانت أمه عمرة بنت رواحة شاعرة، وكان خاله عبد الله بن رواحة أحد شعراء الرسول ﷺ[٢]، وكان كعب بن مالك من أسرة أظهرت جملة شعراء، فمالك والد كعب كان شاعرًا، وعمه قيس كان شاعرًا كذلك، وكان أولاد كعب وأحفاده شعراء "مجيدين مقدمين في الشعر"[٣].

ويمكننا أن نرجع سبب تقدم الشعر في يثرب إلى حروب الأوس والخزرج، التي كان الهجاء أحد أسلحتها الرئيسة، ولقد ذكر ابن سلام الجمحي في طبقاته تأثير الحروب في نظم الشعر، فقال: "وبالطائف شعر وليس بالكثير، وإنما كان يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الأحياء، نحو حرب الأوس والخزرج، أو قوم يُغِيرون ويُغَار عليهم، والذي قلل شعر قريش أنهم لم يكن بينهم نائرة ولم يحاربوا"، ويدل ذلك على أن الحروب الداخلية في يثرب كانت سببًا في ارتفاع المستوى الشعري[٤].

وقد كان بين الحيين في يثرب هجاء؛ فقد كان شعراء كل حي يهجو بعضهم بعضًا عصبية؛ وذلك لما كان بينهما من تحاسد وتنافر، ومثال ذلك أن أبا قيس بن الأسلت الأوسي، وحسان بن ثابت الخزرجي، كانا يتهاجيان[٥]، وهذا عمرو بن امرئ القيس، جد

(١) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج١٥، ص ٢٦.

(٢) ابن الأثير: أسد الغابة، ج٥، ص ٣١٠؛ ابن حجر: الإصابة، ج ٢، ص ٨.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٥، ص ٢٦.

(٤) محمد بن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، دار المدني، جدة، السعودية، ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م، السفر الأول، ص ٢٥٩؛ بطرس البستاني: أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، ص ٣٩.

(٥) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج٩، ص ٧٢٥.

عبد الله بن رواحة، وهو شاعر جاهلي خزرجي، كان له الكثير من الشعر في القتال الذي وقع بين الأوس والخزرج؛ بسبب حرب (سمير) [١].

وكان سوق يثرب، هو المَحِل الذي يجتمع فيه الناس للبيع والشراء، والموضع الذي يقصده الشاعر لإنشاد شعره، وعرضه على مستمعيه، ثم حل مسجد الرسول ﷺ مَحِلَّه في الإسلام[٢].

ولقد طبقت شهرة يثرب الشعرية الآفاق؛ فهذا أبو عبيدة يقول: "اجتمعت العرب على أن أشعر أهل المدر أهل يثرب، ثم عبد القيس، ثم ثقيف، وعلى أن أشعر أهل المدر حسان بن ثابت"[٣]، ولقد مدح الأصمعي شعره الجاهلي قائلًا: "ألا ترى أن حسان بن ثابت كان علا في الجاهلية"[٤]، ويقول عنه ابن سلام الجُمحي: "وهو كثير الشعر جيدهُ"[٥]، ويستعرض الحطيئة شعره قائلًا: "أبلغوا الأنصار أن شاعرهم أشعر العرب"؛ حيث يقول:

يَغْشَوْنَ حَتَّى ما تَهِرُّ كِلابُهُمْ   لا يَسْأَلُونَ عن السَّوَادِ المُقْبِلِ

هذا البيت الذي قاله حسان في مدح ملوك غسان[٦]، وعلق عليه الخليفة عبد الملك بن مروان، وكان عالمًا بالشعر قائلا: "أمدح بيت قالته العرب بيت حسان هذا"، وكان حسان قد أدرك النابغة الذبياني والأعشى، وأنشدهم، وكلاهما أثنى على شعره[٧].

ولقد كان لأهل يثرب ملكة في نقد الشعر، واستطاعوا أن يحكموا على الشعر، ويميزوا غثه من سمينه؛ فقد كان إحساسهم بالشعر إحساسًا فطريًّا لا تعقيد فيه، ويتذوقونه جِبِلَّة وطبعًا، ويحكمون على مستواه بالذوق والسليقة، ومما يدل على تمكن أهل يثرب من ملكة

---

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج٩، ص ٧٢٨.
(٢) نفسه، ج٩، ص ٧٣٨.
(٣) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ١، ص ٢٠٧.
(٤) أبو عبيد الله محمد المرزباني: الموشح، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٣هـ = ١٩٢٥م، ص ٦٢.
(٥) محمد بن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، السفر الأول، ص ٢١٥.
(٦) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٢م، ج ١، ص ٣٠٥.
(٧) ابن عبد البر، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٠٧.

النقد أنهم لاحظوا في شعر النابغة الذبياني إقواء[١]، عندما أنشدهم، واستحوا أن يقولوا له ذلك، فجاءوا بقينة وأمروها أن تغني من شعره ففعلت، فلما سمع الغناء فطن لموضع الخطأ فلم يعد، وخرج من المدينة وهو يقول: "دخلت وفي شعري صنعة وخرجت منها وأنا أشعر العرب"[٢].

وتفوق أهل يثرب في الخطابة أيضًا، فكان لكل بطن من البطون خطيبًا يتحدث عنها ويعرض موقفها من الأحداث المختلفة، وكان أشهرهم ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي، كان خطيب الأنصار، وخطيب النبي ﷺ ولسان حال الأنصار في الجاهلية والإسلام[٣].

وقد كان الغناء مزدهرًا في يثرب، وكان أول من اتخذ القيان من العرب أهل يثرب، أخذوا ذلك من بقايا عاد[٤]، ولقد انتشرت مجالس الطرب في يثرب بوجه عام؛ حيث كانوا يجلسون في مجالس اللهو ويسمعون وهم يشربون الخمر[٥]، وتغنيهم القيان، وكان هناك نوع آخر من الغناء هو الترنيم، وهو تطريب الصوت، ويستخدم في الغالب في الأدعية والتراتيل الدينية، مارسه اليهود في عبادتهم، ومارسه أهل المدينة عند أصنامهم[٦].

ونستنتج مما سبق أن الحياة الاجتماعية عند قبيلة الخزرج كانت متوائمة مع بيئتها، ومع ما هو سائد في شبه الجزيرة العربية من عادات وتقاليد، حتى إن عمائر الخزرج تشابهت مع

---

(١) **الإقواء:** هو عيب في القافية الشعرية، وهو أن تختلف حركات الروي، وقيل هو رفع بيت وجر آخر، أو اختلاف الإعراب في القوافي، وذلك أن تكون قافية مرفوعة، وأخرى مجرورة؛ الخليل بن أحمد: العين، ج٥، ص ٤١٥.

(٢) المرزباني: الموشح، ص ٣٨، ٣٩؛ أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج٩، ص ١٦٣، ١٦٤؛ طه أحمد إبراهيم: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص ١٨، ١٩؛ محمد زكي العشماوي: النابغة الذبياني مع دراسة للقصيدة العربية في الجاهلية، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م، ص ١٨٨.

(٣) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ١، ص ١٢٥؛ الكتاني: التراتيب الإدارية، ج ١، ص ١٩٥.

(٤) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج٥، ص ١١٤.

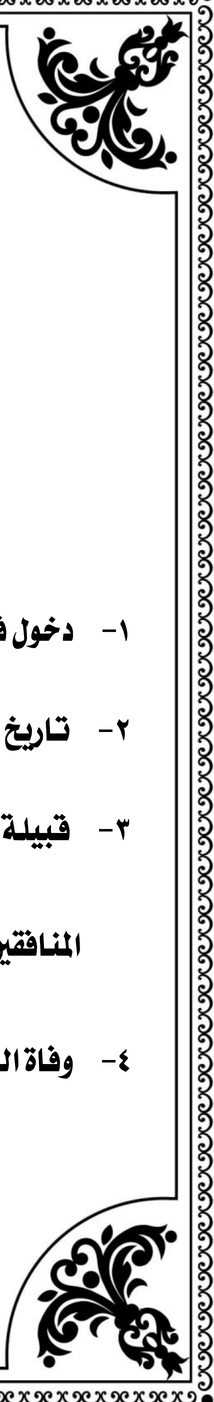
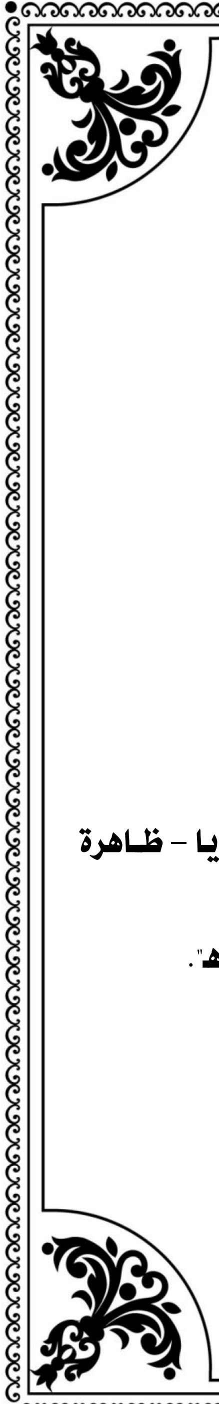
(٥) نفسه، ج٧، ص ٥٤١.

(٦) نفسه، ج٧، ص ١٢٠.

بيوت جميع المدن العربية الأخرى؛ كما كان للأسرة الخزرجية دور عظيم في النهوض باقتصاد المدينة عن طريق العمل في الزراعة والرعي والتجارة، فأدى هذا للتنوع في مصادر الدخل الذي جعل المدينة أيسر حياة من مكة، وأكثر منها في التطور الحضاري.

ولقد كانت الديانات في يثرب متنوعة؛ فلقد كان أكثر سكانها يعبدون الأصنام والأوثان؛ كالخزرجيين، وكانت هناك الديانة اليهودية، والتي كان يعتنقها اليهود المهاجرون، وبعض العرب الذين آمنوا بها؛ بسبب التجاور مع اليهود.

***

الفصل الثالث

موقف الخزرجيين من الإسلام
في عصر الرسالة

١- دخول قبيلة الخزرج في الإسلام.

٢- تاريخ المدينة بعد دخول الإسلام.

٣- قبيلة الخزرج ودورها بعد الهجرة "الغزوات - السرايا - ظاهرة المنافقين - تاريخ قبيلة الخزرج من عام ١هـ حتى عام ١١هـ".

٤- وفاة الرسول ﷺ.



١- دخول قبيلة الخزرج في الإسلام

يمكن القول إن رسالة النبي العربي محمد بن عبد الله ﷺ، أحدثت أوسع وأعمق عملية تحول ثقافي عرفها الفكر العربي على الإطلاق، بل يمكن القول إن تلك الرسالة كانت بمثابة الثورة الثقافية الشاملة التي تناولت كافة أوجه الحياة القديمة بالتعديل والتطوير والإضافة والتنقيح، ليس في شبه الجزيرة العربية فقط، بل في ربوع العالم المختلفة. والمقصود بالثورة الثقافية هنا، حدوث تغير نوعي في العقل الإنساني في مجتمع ما، فالدين الإسلامي خاصة، هو ثورة ثقافية بكل ما تحمل هذه العبارة من أبعاد؛ فقد تسبب في تلك النقلة الكبرى التي أحدثها في العقل الإنساني العربي، عبر الرؤية الجديدة التي سادت العقل العربي، فبعد أن كان العربي لا يفكر إلا في نفسه أو في البطن أو القبيلة التي ينحدر منها فقط، جعله الإسلام ينظر من منظور أوسع وأشمل لأمور الحياة المختلفة.

ولقد كانت شبه الجزيرة العربية تموج بكثير من الآراء والأفكار، والتي كانت بمثابة إرهاصات لظهور الإسلام وانتشاره، ولم تكن فكرة ظهور نبي جديد شائعة في يثرب فحسب، بل كانت منتشرة في اليمن والشام وفي أنحاء أخرى من شبه الجزيرة العربية أيضًا؛ فقد ذُكر أن عبد المطلب بن هاشم لما وفد على سيف بن ذي يزن الحميري؛ لتهنئته بطرد الأحباش من جنوب غربي شبه جزيرة العرب وتحرير اليمن، قال سيف لعبد المطلب: "إني أجد في الكتاب المكتوب والعلم المخزون خبرًا عظيمًا وخطرًا جسيمًا، فيه شرف الحياة للناس عامة، ولك خاصة"، وبَشَّره بميلاد رسول الله ﷺ قائلًا: "والبيت ذي الحُجُب إنك لجده يا عبد المطلب غير كذب، وإني أجد في الكتاب الناطق والعلم السابق أن بيثرب استحكام أمره وأهل نصرته وموضع قبره"(١).

---

(١) البيهقي: دلائل النبوة، ج٢، ص ١١؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج١، ص ١٤٧.

ولقد ورد في قصة سلمان الفارسي أن راهب عمورية قال له: "لقد أظلك زمان نبي يبعث من الحرم، مهاجره بين حرتين إلى أرض سبخة ذات نخل"[١]، وهذه هي صفات يثرب، كما كان يهود يثرب كلما اختلفوا مع بطون قبيلتي الأوس والخزرج، قالوا لهم: "إن نبيًّا مبعوثًا الآن قد أظلّ زمانه، نَتَّبعه فنقتلكم معه"[٢].

وهكذا كانت جميع النبوءات التي يستمع لها أهل يثرب، ويتردد صداها في شبه الجزيرة العربية، تبوح بسطوع نجم يثرب وعلو كعبها، وارتباطها الوثيق بهذا النبي العربي الذي يبعث في آخر الزمان، يصدع بالحق، ويعود بالإنسانية إلى انتصار خطاب العقل ومنطق المعقول مرة أخرى، هذا النبي الذي يأتي بكلمات وقيم ومُثُل، ليست موجهة إلى ذلك الأعرابي في البادية بحد ذاته، بقدر ما وجهها الله للإنسانية جمعاء، على لسان ذلك النبي، ليس في شبه الجزيرة وحدها؛ بل في كل مكان من ربوع هذا العالم.

ولقد شَرَّف الله أهل قبيلة الخزرج بأن اختارهم ليكون لهم شرف السبق في الدفاع عن دينه، وفي نشر ذلك النور الذي أراده الله لهذا العالم، وفي حمل راية الإسلام؛ للوصول بها إلى ما أراد الله لها من نجاح وانتصار، حتى شقت تعاليم الإسلام طريقها شرقًا وغربًا، معلنة ميلاد نظام أخلاقي جديد، تستطيع الإنسانية أن تسير على هداه ما بقي لها من أيام.

ولقد كانت يثرب في أشد الحاجة لظهور هذا النبي، وكانت تتطلع إلى ميلاد نجمه وإشراقه في سمائها وهجرته إليها؛ فقد كانت الحروب الكثيرة التي قامت بين بطون الأوس والخزرج قد أنهكت كلا الطرفين، ووصلت بكل طرف منهما إلى اليقين بأن هذه الحروب ستؤدي إلى هلاك القبيلتين في النهاية، وإلى فرض اليهود لسيطرتهم على المدينة؛ خاصة وقد تعرضت قبيلة الخزرج - وهي الأكبر عددًا والأكثر قوة - إلى هزيمة نكراء في يوم بعاث؛ حيث انتصر الأوس وحلفاؤهم من اليهود على قبيلة الخزرج، وقد أدت هذه الحرب إلى اختلال التوازن في المدينة اجتماعيًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا، وأيضًا من الناحية

---

(١) محمد بن إسحاق: السيرة النبوية، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م، ج١، ص ١٣٧.

(٢) ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ٢٢.

الأمنية، واستنفدت هذه الحرب طاقات كل سكان المدينة من الأوس والخزرج، واليهود أيضًا[١].

كما كان الجانب الاقتصادي في المدينة مضطربًا أشد الاضطراب؛ بسبب زيادة السكان وقلة الموارد الغذائية وانعدام الأمن، بالإضافة للحرب المريرة التي انخرط فيها أهل يثرب، وبناء على ذلك تعرضت الملكية الزراعية لسيطرة كل طرف عليها لفترة عقب انتصاره؛ فأدى ذلك - بالضرورة - إلى عدم تفكير الناس في مشاريع زراعية طويلة المدى، يكون لها نتائج اقتصادية واضحة؛ فلقد ساد مبدأ الصحراء: "احتفظ بما يستطيع سلاحك المحافظة عليه"[٢].

ويمكننا القول إنه في الوقت الذي كان محمد ﷺ يبحث في مكة وخارجها عمن يؤمن به وبرسالته، ويستطيع أن يتولى حماية الدعوة الإسلامية الناشئة - كان أهل المدينة من العرب يبحثون عمن يوحد كلمتهم، ويقضي على فرقتهم، ويُقَرِّب بين وجهات نظرهم بعد أن أنهكتهم الحرب، وكادت أن تقضي على قوى القبيلتين، وعندما التقى الطرفان تلاقت الآمال، كلٌّ يبحث عن هدفه ويريد تحقيقه، والحقيقه أن يثرب كانت في حاجة إلى عنصر خارجي تجتمع عليه، فالنبي - بسلطته القائمة على الدين لا على الدم - يمكنه أن يعلو فوق الأعراق المتحاربة، والثارات التي كانت قد بلغت درجة كبيرة من السيطرة على حياة المدينة وقبائلها، وأن يكون حكمًا يستطيع إقرار القانون بها؛ خاصة وأن الرسول ﷺ جاء مسلحًا بالقرآن الذي يقول: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[٣].

(١) و. مونتجمري وات: محمد في مكة، ترجمة: عبد الرحمن الشيخ، وحسين عيسى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م، ص ٢٧٩.

(٢) نفسه، ص ٢٨٠.

(٣)يونس:٤٧.

حادث الستة:

مكث رسول الله ﷺ يعرض نفسه في المواسم على قبائل العرب في منازلهم بعكاظ ومجنة وذي مجاز[١]، يدعوهم إلى الله، ويخبرهم أنه نبي مرسل، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه؛ حتى يبين لهم عن الله ما بعثه به[٢]، فأبت كِنْدة، وكلب، وبنو حنيفة، وبنو عامر بن صعصعة، وكان رسول الله ﷺ لا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب، له اسم وشرف إلا تصدى له، فدعاه إلى الله، وعرض عليه ما عنده، وكان ممن رفض الإسلام قوم من بني عبد الأشهل من الأوس، أتوا يطلبون حلف قريش على قومهم من الخزرج، وكانوا بقيادة أبي الحَيْسر أنس بن رافع الأوسي، وكان ذلك قبل يوم بُعاث[٣].

ولقد كان أول من أسلم من يثرب - عند ابن سعد في طبقاته - أسعد بن زرارة من بني النجار، وذكوان بن عبد القيس من بني زريق، كانا قد خرجا إلى مكة يتنافران إلى عتبة بن ربيعة، فسمعا برسول الله ﷺ فأتياه، فعرض عليهما الإسلام وقرأ عليهما القرآن، فأسلما، ولم يقربا عتبة، ورجعا إلى المدينة، وكانا أول من قَدِمَ إليها بالإسلام[٤]، وقد ذكر ابن سعد أن ابن إسحاق قال: "إن أسعد بن زرارة أسلم مع النفر الستة الذين سبقوا قومهم إلى الإسلام بالعقبة الأولى"[٥]. ويقال إن رافع بن مالك الزُّرقي، ومعاذ بن الحارث النجاري - المعروف بابن عفراء - كانا أول من أسلم ثم قدما المدينة، فأول مسجد قرئ فيه القرآن بالمدينة كان مسجد بني زُرَيْق[٦].

---

(١) الديار بكري: تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، ج١، ص ٣٠٦.

(٢) ابن إسحاق: السيرة النبوية، ج١، ص ٢٣٦.

(٣) ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ١٩ - ٢١.

(٤) ج١، ص ١٨٥؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج١، ص ٢٠٥؛ ابن حجر: الإصابة، ج١، ص ٣٢؛ الديار بكري، المصدر السابق، ج١، ص ٣٠٦.

(٥) كتاب الطبقات الكبير، ج١، ص ١٨٦.

(٦) نفسه، ج١، ص ١٨٦.

وبصفة عامة، فإن أول المسلمين المعروفين بشكل محدد من أهل المدينة كانوا ستة شيوخ من الخزرج المقيمين بيثرب، أو سبعة عند ابن الأثير، وهم ثمانية عند ابن سعد[١]، وكان الأوس قد غلبوهم في يوم بعاث، فقابلهم الرسول ﷺ عند العقبة[٢]، ودعاهم إلى الإسلام، وتلا عليهم آيات القرآن، فآمنوا بالرسول وصدقوه[٣]، وكان ذلك في السنة الحادية عشرة من البعثة[٤]، وربما كان ذلك في سنة (٦٢٠م)[٥].

على أننا نلاحظ أن هؤلاء الستة كانوا يمثلون بطونًا ذات أهمية كبرى داخل القبيلة الخزرجية، بما تملكه هذه البطون من العدد والقوة والمنعة، فمن بني النجار ثم من بني مالك اثنان، أسعد بن زرارة بن عدس بن مالك بن النجار، وهو أبو أمامة، وعوف بن الحارث بن رفاعة بن مالك بن النجار، وهو ابن عفراء، وقتل يوم بدر شهيدًا، ومن بني زُرَيْق رافع بن مالك بن العجلان الزُّرَقي[٦]، وهو أول من أسلم من الأنصار في قول ابن الكلبي[٧]، وكان له دور في غزوة أحد وقتل فيها شهيدًا.

كما كان هناك ثلاثة من بطون بني سلمة[٨]، وهم: قُطْبَة بن عامر بن حديدة من بني سواد بن غنم، وعُقْبة بن عامر بن نابئ من بني حرام بن كعب، وجابر بن عبد الله بن

---

(١) السمهودي: وفاء الوفا، ج١، ص ٣٩٥؛ ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج١، ص ١٨٦.

(٢) **العقبة:** هو الجبل الطويل يعرض للطريق فيأخذ فيه، وهو صعب في صعوده، أما العقبة التي بويع فيها النبي ﷺ فهي موضع بين منى ومكة، وبينها وبين مكة نحو ميلين، ومنها تُرمى جمرة العقبة؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص ١٣٤.

(٣) ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ٢١، ٢٢؛ ابن سعد، المصدر السابق، ج١، ص ١٨٦؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (ب - ت)، ص ٥٩.

(٤) الديار بكري: تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، ج١، ص ٣٠٦؛ محمد ممدوح العربي: دولة الرسول ﷺ في المدينة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م، ص ١٤٤.

(٥) و. مونتجمري وات: محمد في مكة، ص ٢٨٣.

(٦) ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٢، ٢٣؛ ابن سعد، المصدر السابق، ج١، ص ١٨٦.

(٧) ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ج١، ص ٤٢٤؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٣، ص ٢٦٨.

(٨) السمهودي: المصدر السابق، ج١، ص ٣٩٥.

رئاب من بني عُبَيْد[١]. ومن أهل العلم بالسير من يجعل فيهم عبادة بن الصامت - وكان من القواقل - ويسقط جابر بن عبد الله[٢].

ولقد كانت هناك عدة أسباب في كون يثرب أول مكان خارج مكة يخرج إليه الإسلام، ويؤمن برسوله ﷺ، ويشكل خطرًا على مكة؛ فقد كان وثنيو المدينة أكثر استعدادًا لتقبل الإسلام وفهم معناه من وثنيي مكة؛ لأن اليهود كانوا قد هيأوا أهل يثرب لفكرة الديانة السماوية؛ لأنهم أهل كتاب، كما كان موت أشهر رؤساء يثرب من الأوس والخزرج في يوم بعاث، وتولي الزعماء الثانويين مقاليد الأمور سببًا في جعلهم أميل للطاعة، وأسهل انقيادًا[٣]؛ حتى إن السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: "كان يوم بُعاث يومًا قدمه الله لرسوله ﷺ، فقَدِمَ رسول الله المدينة وقد افترق ملؤهم، وقتلت سُرواتهم وجُرحوا "[٤].

ولقد أدى التنافس والتفاخر القبلي بين الحَيَّين - الأوس والخزرج - إلى قطع الخزرج الطريق على إخوانهم من الأوس، وإعلان استعدادهم لمحالفة الرسول ﷺ، ولهذا فإن الخزرج حين تشاوروا فيما بينهم قال بعضهم لبعض: "تعلمون أنه النبي الذي توعدكم به يهود، فلا تسبقنكم إليه "[٥].

على أن الخزرجيين الستة قد حللوا موقف يثرب وسكانها من الإسلام، وكأنهم

(١) ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ٢٢؛ ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج١، ص ١٨٦؛ أبو الفتح محمد بن سيد الناس: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تحقيق: محمد العيد الخطراوي، ومحيي الدين مستو، دار التراث، المدينة المنورة، السعودية، (ب - ت)، ج١، ص ٢٦٣.

(٢) القسطلاني: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م، ج١، ص١٤١.

(٣) أحمد إبراهيم الشريف: الدولة الإسلامية الأولى، ص ٦٢، ٦٣.

(٤) أبو عبد الله البخاري: صحيح البخاري، ج٥، ص٣٠ (حديث رقم: ٣٨٤٦).

(٥) ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٢؛ السمهودي، وفاء الوفا، ج١، ص ٣٩٤.

يتشككون في مدى قبول المدينة له، فقالوا لرسول الله ﷺ: "إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشرّ ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك"، ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم[(١)].

ويدل هذا القول على إيمان أهل الخزرج بأن مشكلات المدينة لا تحل إلا من خارجها، على يد رجل يعلو فوق صراعات المدينة القبلية، ومشاكلها السياسية، ويكون له القبول فيها.

وهناك رأي لجرجي زيدان، يجب أن يذكر؛ فقد قال: "ولعل السبب في سرعة انتشار الإسلام في يثرب، كثرة من في المدينة من اليهود، وهم أهل كتاب، يعتقدون الوحي، ويدركون معنى النبوة، وليس فيهم من يخاف على تجارته إذا بطلت عبادة الأصنام، بل هم يفضلون إبطالها؛ لتسقط مكة وتنهض مدينتهم"[(٢)].

ويفهم من قول هذا الكاتب أن أغلب الذين استجابوا للدعوة الإسلامية كانوا من يهود المدينة، وهذا غير صحيح؛ فإن اليهود كانوا أقل استجابة للإسلام من بين سكان المدينة، وسرعان ما أصبحوا أول حجر عثرة في سبيل انتشار الإسلام في المدينة، وبعد انتشاره كانوا أول من حاك المؤامرات ضده؛ في حين أن عرب المدينة -من أوس وخزرج- كانوا هم الدعامة الأساسية لقيام الدعوة الإسلامية وانتشارها.

---

(١) ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ٢٢؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج٢، ص ٤٣٤؛ ابن عبد البر: الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٤١١هـ = ١٩٩١م، ج١، ص ٢٦٢؛ الإمام عبد الرحمن السهيلي: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ط١، ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م، ج٤، ص ٧١.

(٢) جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ، ج١، ص ٤٠؛ جميل عبد الله المصري: أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب في القرن الأول الهجري، (رسالة دكتوراه منشورة)، مكتبة الدار، المدينة المنورة، السعودية، ط١، ١٤١٠هـ = ١٩٨٩م، ص ٦٤.

بيعة العقبة الأولى:

بدأت دائرة الإيمان في الاتساع، وانتشر الإسلام في يثرب بسرعة كبيرة؛ حتى قيل إنه لم تبق دار من دور الأنصار(١) إلا فيها ذكر لرسول الله ﷺ، وبها رجال ونساء مسلمون، بعد أن كانوا ستة.

وفي موسم الحج التالي - في العام الثاني عشر من النبوة - قدم إلى موسم الحج اثنا عشر رجلًا؛ عشرة من الخزرج واثنان من الأوس، منهم خمسة من الستة الذين سبقوا، عدا جابر بن عبد الله بن رئاب، وهم: أسعد بن زرارة وعوف ومعاذ ابنا الحارث، وهما ابنا عفراء، وهؤلاء جميعًا من بني النجار، ورافع بن مالك وذكوان بن عبد قيس، وهما من بني زريق، وعبادة بن الصامت ويزيد بن ثعلبة - وهو حليف لهم من بَلِيّ، إحدى بطون قُضاعة(٢)، ويُكنى أبا عبد الرحمن - وهما من بني عوف من القواقل، وقطبة بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابئ، وهما من بني سلمة، والعباس بن عبادة بن نضلة بن مالك

---

(١) الأنصار: بدأ هذا الاسم يظهر بعد بيعتي العقبة، وعُرف به المؤمنون من أهل المدينة، الذين انتصروا للرسول ﷺ، وهبوا للدفاع عن الدين الجديد، ولقد ورد في البخاري أن أنس بن مالك سئل عن هذا الاسم فقال: "بل سمانا الله به"، فكانوا يفتخرون بذلك، ولقد شرفهم رسول الله ﷺ حين قال: "آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار"، وقال أيضًا: "لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار"؛ كما اعترف رسول الله بفضلهم، فقال: "هم الذين آووني ونصروني وآزروني وحموني"، وأوصى بهم رسول الله من يأتي بعده من ولاة الأمة، فقال: "أوصيكم بالأنصار؛ فإنهم كرشي وعيبتي، وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم"؛ كما شرفهم الله أيضًا في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ ﴾[الحشر:٩]، ولقد انتشرت تلك اللفظة فصارت وكأنها نسب أو علم من أعلام القبائل، حتى إننا بعد قرون قليلة نلاحظ انتشار لقب الأنصاري في العائلات بدلًا من الأوسي أو الخزرجي؛ أبو عبد الله البخاري: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، ج٥، ص ٣٠ - ٣٢؛ أبو الحسين مسلم بن الحجاج: الجامع الصحيح المسمى (صحيح مسلم)، ج١، ص ٦٠؛ أبو بكر الشيباني، الآحاد والمثاني، تحقيق: باسم فيصل، دار الراية، الرياض، السعودية، ١٤١١هـ = ١٩٩١م، ج٣، ص ٢٠٧.

(٢) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٢، ص ٣٤٨.

العجلاني، وهو من بني سالم بن عوف، ثم من بني العجلان؛ فهؤلاء العشرة من الخزرج[١] بايعوا الرسول بيعة النساء.

وأرسل رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير؛ يدعوهم للإسلام ويعلمهم القرآن وشرائع الإسلام، فحل على أسعد بن زرارة الخزرجي ضيفًا، وانطلق من بيته يدعو للدين الجديد، ولقد أسلم على يدي مصعب وأسعد بن زرارة عدد كبير من أهل يثرب من الأوس والخزرج، وأسلم من بني عبد الأشهل - بطن من الأوس - سعد بن معاذ وأسيد بن حضير، ولقد كان لإسلامهما أثر عظيم في انتشار الإسلام بيثرب[٢].

بيعة العقبة الثانية:

وفي العام التالي - أي العام الثالث عشر من النبوة، الموافق عام (٦٢٢م) [٣] - اجتمع مسلمو يثرب قبل موسم الحج، فقالوا: "حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطرد في جبال مكة ويخاف"[٤]، فخرج في موسم الحج هذا العام خمسمائة نفر من أهل يثرب[٥]، منهم سبعون رجلًا وامرأتان من المسلمين[٦]، وقال ابن سعد: "يزيدون رجلًا أو رجلين"[٧]، وقال ابن إسحاق: "ثلاثة وسبعون رجلًا وامرأتان"[٨]، وأورد الحاكم: "خمسة وسبعون

---

(١) ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ٢٣، ٢٤؛ ابن عبد البر: الدرر في اختصار المغازي والسير، ص ٦٨.

(٢) ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٨؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، ص ٦٠.

(٣) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٤٤؛ .مونتجمري وات: محمد في مكة، ص ٢٨٤؛ محمد ممدوح العربي: دولة الرسول ﷺ في المدينة، ص ١٤٥.

(٤) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني: مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناءوط، وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١ هـ = ٢٠٠١م، ج٣، ص ٣٢٢؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٣، ص ٢٧٧.

(٥) السمهودي: وفاء الوفا، ج١، ص ٤٠٦.

(٦) نفسه، ج١، ص ٤٠٧؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ص ٣٨.

(٧) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج١، ص ١٨٨.

(٨) ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٨؛ ابن كثير: الفصول في سيرة الرسول، تحقيق: محمد العيد الخطراوي، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٢م، ص١١٢؛ القسطلاني: المواهب اللدنية، ج١، ص١٤٣.

نفسًا"(١)، منهم من الأوس أحد عشر رجلًا(٢)، واثنان وستون رجلًا من الخزرج، منهم أربعة نفرٍ من حلفاء الخزرج(٣).

وقد كان من بطون بني النجار أحد عشر رجلًا، منهم من بني الخزرج بن حارثة ستة نفر، ومن بني مبذول رجل واحد، واثنان من بني حُدَيْلة، واثنان من بني مازن، واختار لهم رسول الله ﷺ أسعد بن زرارة نقيبًا، وهو أحد الستة، وأحد الاثني عشر، وأحد السبعين، وقد مات قبل بدر ومسجد رسول الله ﷺ يبنى، فأصبح رسول الله ﷺ نقيبًا لبني النجار(٤).

ولقد كان من بني الحارث بن الخزرج سبعة نفر، واختار لهم رسول الله ﷺ نقيبين؛ أحدهما سعد بن الربيع، وكان كاتبًا في الجاهلية(٥)، وشهد العقبة الأولى والثانية، وشهد بدرًا وقتل يوم أحد شهيدًا(٦)، وعبد الله بن رواحة، وقد شهد المشاهد كلها، وكان نقيبًا، وهو أحد الشعراء الذين كانوا ينافحون عن رسول الله ﷺ، وقتل يوم مؤتة شهيدًا(٧).

ومن بني زريق أربعة نفر، وكان نقيبهم رافع بن مالك بن العجلان، أحد الستة، وأحد الاثني عشر، وأحد السبعين، قتل يوم أحد شهيدًا(٨)، ومن بني بياضة ثلاثة نفر، ولم يعين

---

(١) القسطلاني، المواهب اللدنية، ج١، ص١٤٤؛ الديار بكري: تاريخ الخميس، ج١، ص ٣١٧.

(٢) ابن هشام، سيرة النبي، ج٢، ص ٣٧.

(٣) السمهودي، وفاء الوفا، ج١، ص ٤٠٦.

(٤) ابن هشام: المصدر السابق، ج٢، ص ٣٧؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج٢، ص ٤٥٣؛ الكتاني: التراتيب الإدارية، ج١، ص ٢٠٦.

(٥) ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٩؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ٦٦٤؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص ٣٥٣.

(٦) نفسه، ج١، ص ٣٥٤؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج٢، ص ٤٣٢؛ ابن حجر، الإصابة، ج٣، ص ٧٧.

(٧) ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص ٣٨؛ ابن عبد البر، المصدر السابق، ج١، ص ٥٣٦؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج٣، ص ٣٢٥؛ ابن حجر، المصدر السابق، ج٤، ص ٦٦.

(٨) ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص ٣٩، ابن الأثير، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٣٤.

لهم رسول الله ﷺ نقيبًا، والغالب أن نقيبهم هو رافع بن مالك؛ لأن بني زريق وبني بياضة أخوان، من ولد غَضْب بن جُشَم بن الخزرج[١].

ومن بني سَلِمَة وبطونها ثمانية وعشرون رجلًا، فمن بني سلمة بن سعد بن تزيد بن جشم بن الخزرج، أحد عشر رجلًا، ومن بني سواد خمسة نفر، ومن بني نابي بن عمرو بن سواد خمسة نفرٍ، ومن بني حرام بن كعب سبعة نفرٍ، مضافًا إليهم معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو من بني أُدَيّ، وادَّعتْهُ بنو سلمة؛ لأنه كان أخًا لسهل بن محمد بن الجد بن قيس لأمه؛ فعُدَّ منهم، وكان لهم نقيبان؛ أحدهما: البراء بن معرور، وهو أول من بايع في قول ابن إسحاق، وأول من استقبل القبلة، وأول من أوصى بثلث ماله[٢]، والآخر: عبد الله بن عمرو بن حرام، شهد العقبة وبدرًا، وكان نقيبًا، وكان أول قتيل من المسلمين يوم أحد[٣].

ومن بني عوف بن الخزرج بطنان؛ بنو سالم، وهم القواقل، ومنهم أربعة نفر، ونقيبهم عبادة بن الصامت بن قيس، وبنو الحُبْلَى، ومنهم رجلان. ومن بطون كعب بن الخزرج رجلان؛ أحدهما: سعد بن عبادة بن دُليم، من بني طريف بن الخزرج بن ساعدة، وكان نقيبًا لبني ساعدة، والآخر: المنذر بن عمرو بن خنيس، من بني ثعلبة بن الخزرج أخي طريف، كان نقيبًا، وشهد بدرًا وأحدًا، وقتل يوم بئر معونة[٤].

أما المرأتان فإحداهما: أمُّ عمارة نُسَيْبَة بنت كعب بن عمرو بن عوف، من بني مازن بن النجار، والأخرى: أسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي بن سواد، من بني سَلِمَة[٥].

---

(١) ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير ،ج ١، ص ٤٢١.

(٢) ابن الأثير: أسد الغابة، ج١، ص ٣٦٥.

(٣) ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ٣٩؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص ٥٧٢؛ ابن حجر: الإصابة، ج٤، ص ١١٠.

(٤) ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص ٤١؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ج١، ص ٢٧٣، ٢٧٤.

(٥) ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص ٤٢؛ ابن كثير: الفصول في سيرة الرسول، ص١١٣؛ السمهودي، وفاء الوفا، ج١، ص ٤٠٣.

ولقد اجتمع القوم بالعقبة أوسط أيام التشريق مع رسول الله ﷺ، على أنا نلاحظ أن هناك وضوحًا في الرؤية لكلا طرفي البيعة؛ فرسول الله ﷺ حدد ما يريد من هذه البيعة بكل دقة، فقال: "وعلى أن تنصروني إذا قَدِمْت عليكم يثرب، وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم"، وحدد لهم الجزاء فقال: "ولكم الجنة "(١)؛ في حين أننا نجد الأنصار - أوسًا وخزرجًا - أشد اهتمامًا ببنود البيعة وفهمًا لها، فهم يعلمون أن حلفهم مع رسول الله ﷺ يُعدّ خروجًا على إجماع العرب، ووقوفًا صريحًا ضد مصالح قريش، ونفهم ذلك من حديث العباس بن عبادة بن نضلة الخزرجي؛ حيث يقول: "يا معشر الخزرج، إنكم تبايعون هذا الرجل على حرب الأحمر والأسود من الناس"(٢)، فهم يفهمون أنهم بهذه البيعة يضربون التوازن القبلي في يثرب، ويغيرون أحلافًا ظلت أمدًا تحكم الصراع اليثربي، وتُوجِّهه حيث تعلو مصالحها، فنجد أبا الهيثم بن التيهان الأوسي(٣) يعترض الحديث، ويقول: "يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالًا، وإنا قاطعوها، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ فقال رسول الله ﷺ: بل الدم الدم، والهدم الهدم، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم"(٤).

وهكذا حددت بيعة العقبة الثانية وضع النبي ﷺ بين أهل يثرب؛ فقد اعتبرته واحدًا منهم، دمه كدمهم وحكمه كحكمهم، وقضت - أيضًا - بخروج النبي من مكة، فانتقلت تبعية النبي من مكة إلى يثرب(٥)، على أنه - وفي فورة الحماسة - فقد عرض المبايعون أن يميلوا بأسيافهم على كفار مكة، فدل ذلك على صدق إيمانهم برسول الله ﷺ، والاستهانة بالموت؛ لإعلاء كلمة الإسلام(٦).

---

(١) ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ٢٩؛ السمهودي: وفاء الوفا، ج١، ص ٤٠٣.

(٢) ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص ٣١.

(٣) كان يتكلم بلسان القوم المجتمعين أوسًا وخزرجًا، لا بلسان الأوس فقط.

(٤) المصدر السابق نفسه، ج٢، ص ٢٩؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٣، ص ٢٨١.

(٥) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، ص٦٢.

(٦) الألوسي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج١، ص ١٩٠.

ومن النظر إلى هذه البيعة نجدها "هي الميثاق الفعلي لقيام دولة المدينة؛ إذ فوق كونها معاهدة على الإيمان بالله ورسوله، فهي معاهدة سياسية وعسكرية"[١]، فقد كان لهذه المعاهدة أكبر الأثر في النجاح الذي حققه الرسول ﷺ في إنشاء دولته بالمدينة.

وقد كان من الأنصار مهاجرون؛ لأن المدينة كانت دار شرك، فجاءوا إلى رسول الله ﷺ ليلة العقبة، وظلوا بمكة مع رسول الله حتى قدموا مع أصحابه في الهجرة؛ فهم مهاجرون أنصاريون[٢]، وهم: ذكوان بن عبد قيس من بني زريق، وعُقْبة بن وهب بن كلدة من غطفان، حليف لبني سالم بن غنم بن الخزرج، والعباس بن عُبادة بن نَضْلة من بني سالم بن عوف، ثم من بني العجلان، وزياد بن لبيد من بني بياضة[٣].

***

(١) محمد ممدوح العربي: دولة الرسول ﷺ في المدينة، ص ١٤٦.

(٢) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي: سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م، ج٤، ص ١٦٣.

(٣) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج١، ص ١٩٣؛ ابن حجر: الإصابة، ج٤، ص ٣٠؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٣، ص ٣١٠.

٢- تاريخ المدينة بعد دخول قبيلة الخزرج في الإسلام

حادث الهجرة:

كانت بيعة العقبة الثانية بمثابة الضربة القاصمة التي وجهها رسول الله ﷺ إلى خصومه في مكة، ولقد شعر المكيُّون بخطورة الموقف بعد معرفتهم نبأ البيعة، فتحركوا وقبضوا على بعض من بايعوا، وكان ممن قبضوا عليه سعد بن عبادة، والمنذر بن عمرو، وهما من بني ساعدة، وكلاهما كان نقيبًا، ولكن المنذر استطاع أن يهرب منهم، وأما سعد بن عبادة فسرعان ما أطلقوا سراحه، بعد أن تذكروا سيطرة يثرب على طريق التجارة إلى الشام(١).

ولقد كانت هجرة الرسول ﷺ إلى يثرب إحياء للعلاقات القديمة بين بني هاشم وبني النجار؛ فقد تزوج هاشم بن عبد مناف، وهو الجد الأعلى للرسول ﷺ من سلمى بنت عمرو إحدى بنات بني عدي بن النجار، وأنجب منها شيبة (عبد المطلب) الجد المباشر للرسول ﷺ (٢)، بل لقد تدخل بنو النجار في الصراعات المكية؛ فقد اغتصب نوفل عم عبد المطلب بن هاشم بعض ميراثه، فاستنهض قومه لمساعدته فلم ينهض معه أحد منهم، وقالوا له لا ندخل بينك وبين عمك، فلجأ إلى أخواله من بني النجار لنصرته، فخرج أبو أسعد بن عدس النجاري في ثمانين راكبًا، فهدد نوفل قائلًا: "لتردن على ابن أختنا ما أخذت أو لأملأن منك السيف"، فرد نوفل ما أخذه(٣).

كما أن عبد الله بن عبد المطلب توفي بيثرب وهو قافل من غزة، ودفن في دار النابغة، وقد أتت السيدة آمنة بنت وهب برسول الله ﷺ لزيارة أخواله من بني النجار، ونزلت

---

(١) ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ٣٣.

(٢) ابن قتيبة: المعارف، ص١٣٠؛ جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج٤، ص ٧٢، ٧٣؛ علي أكبر فياض: تاريخ الجزيرة العربية والإسلام، ترجمة: عبد الوهاب علوب، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م، ص ٦١.

(٣) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م، ج٢، ص ٢٤٩؛ علي بن برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية، ج٣، ص ١٠٢.

به دار النابغة، فكان النبي ﷺ يذكر أمورًا كانت في مقامه ذلك، فيشير إلى دار النابغة ويقول: "هٰهنا نزلت بي أمي، وأحسنت العوم في بئر بني عدي بن النجار"(١).

ومن هنا فإن هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة، لم تكن قفزة إلى المجهول؛ بل كانت هجرة إلى ما سُبق معرفته واختباره وسُبِرَت أغواره. ولقد كانت المدينة على أهبة الاستعداد لاستقبال ذلك الوافد الجديد، الذي سيكون على يديه حل صراعاتها القبلية وأزماتها الداخلية.

ولقد أمر رسول الله ﷺ مسلمي مكة بالهجرة، فلما رأت قريش أن المسلمين قد توجهوا إلى المدينة، وقد دخل أهلها في الإسلام، قالوا: "هذا شرٌ شاغل لا يطاق"، فأجمعوا أمرهم على قتل رسول الله ﷺ الذي كان قد قرر الهجرة(٢)، ونفذ أمره بعد العقبة بشهرين وليالي عند السمهودي(٣)، وبثلاثة أشهر أو قريبا منها عند الحاكم(٤).

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:

كان أول ما فعله الرسول ﷺ بعد نزوله دار أبي أيوب خالد بن زيد الخزرجي - وبعد أن بنى مسجده الشريف - هو الشروع في بناء الدولة، وتوحيد طوائف يثرب المتناحرة من الأوس والخزرج واليهود، بالإضافة للطائفة الجديدة المهاجرة إليها من مكة، فلجأ رسول الله إلى المؤاخاة، والمؤاخاة تسمية إسلامية للنظام العربي القديم، وهو نظام الحِلف(٥).

وأجمعت الروايات على أنها وقعت في السنة الأولى للهجرة، وقد حددها ابن عبد البر بخمسة أشهر بعد الهجرة(٦)، أما ابن سعد فلم يحدد لها تاريخًا، وإنما قال: "كانت بعد

---

(١) ابن هشام: سيرة النبي، ج١، ص ١٢٩؛ الديار بكري: تاريخ الخميس، ج١، ص ٢٢٩؛ جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج٤، ص ٢؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، ص٤٠.

(٢) ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص ٥٤، ٥٥؛ ابن عبد البر: الدرر في اختصار المغازي والسير، ص ٧٩.

(٣) وفاء الوفا، ج١، ص ٤١٧.

(٤) القسطلاني: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ج١، ص ١٥٧.

(٥) أحمد إبراهيم الشريف: الدولة الإسلامية الأولى، ص ٦٨.

(٦) الاستيعاب، ص ٨٨.

الهجرة وقبل غزوة بدر الكبرى"[١]، وكان إعلان هذا التشريع في دار أنس بن مالك الخزرجي[٢]، وقد آخى رسول الله ﷺ أولًا بين المهاجرين بعضهم بعضًا، ثم آخى بين الأنصار - أوسًا وخزرجًا - وكانت الخطوة الثالثة أن آخى بين المهاجرين والأنصار[٣]، وكانوا تسعين رجلًا، خمسة وأربعون من المهاجرين ومثلهم من الأنصار، ويقال كانوا مائة[٤]، وهكذا نجح رسول الله ﷺ في تأسيس مجتمع المدينة الجديد على أسس من الروابط الدينية بدلًا من الروابط العرقية والقبلية.

ويجد الباحث أن المؤاخاة قد راعت العوامل النفسية والعلمية، وتوخت تقارب المستوى الاجتماعي والفكري بين المتآخيين؛ حتى تتوفر لها أسباب النجاح، ومن ذلك المؤاخاة بين جعفر بن أبي طالب ومعاذ بن جبل؛ فكلاهما كان يهتم بالعلم، ولقد عُدّا من فقهاء الإسلام وعلمائه، فقيل عن جعفر بن أبي طالب: "إنه أفضل الناس بعد النبي ﷺ"، وقال النبي ﷺ عن معاذ: "يأتي معاذ بن جبل يوم القيامة إمام العلماء"[٥]، وقال عنه صاحب الإصابة: "الإمام المُقَدَّم في علم الحلال والحرام"[٦].

كما كان سعيد بن زيد بن عمرو، وأُبيّ بن كعب متكافئين من الناحية العلمية، فسعيد ابن زيد كان شديد الاهتمام بعلم الحديث، وله رواية، وهو أحد العشرة المبشرين

---

(١) كتاب الطبقات الكبير، ج١، ص ٢٠٤.

(٢) نفسه، ج١، ص ٢٠٥؛ أكرم ضياء العمري: المجتمع المدني في عهد النبوة، المجلس العلمي لإحياء التراث الإسلامي، المدينة المنورة، السعودية، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م، ص ٧٥.

(٣) ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ٦٨، ٦٩؛ محمد ممدوح العربي: دولة الرسول في المدينة، ص ١٦٥؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، ص ٧٨.

(٤) ابن سعد، المصدر السابق، ج١، ص ٢٠٤؛ الديار بكري: تاريخ الخميس، ج١، ص ٣٥٣.

(٥) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٢، ص ٢٣٤؛ ابن حجر: الإصابة، ج١، ص ٢٤٨.

(٦) نفسه، ج٦ ص١٠٦؛ خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط١٥، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م، ج٧، ص ٢٥٨.

بالجنة[١]، وكان أبي بن كعب سيد القراء، وكان يكتب في الجاهلية، وكتب لرسول الله ﷺ الوحي، وقال عمر يوم موته: "اليوم مات سيد المسلمين"[٢].

الوثيقة[٣]:

بعد أن استقر الرسول ﷺ بالمدينة، أراد أن يحدد علاقات السكان بها؛ حتى يستطيع أن يقيم قانونًا يمكن تطبيقه على جميع من بها؛ حتى تَسْلَم المدينة من نار التناحر الداخلي الذي طالما عانت منه، فقام رسول الله ﷺ بكتابة صحيفة تعتبر أولى الوثائق النبوية في المدينة، وأيضًا كانت أول دستور إسلامي بالمدينة، يقرر بوضوح تام مبادئ المسئولية السياسية والاجتماعية بين أفراد الجماعة الإسلامية الناشئة.

ولقد استطاع الرسول ﷺ في بنود هذه الوثيقة أن يُحيد مبدأ العصبية القبلية، بل وكاد أن يقضي عليه بين أفراد الدولة الجديدة؛ ليحل محله رابط جديد، هو رابط الأخوة في الدين، ويعلق المستشرق الأوربي يوليوس فلهاوزن على ذلك قائلا: "إن جوهر الدعوة

(١) ابن الأثير: أسد الغابة، ج٢، ص ٤٧٧؛ ابن حجر: الإصابة، ج٣، ص ٩٦، ٩٧.

(٢) ابن قتيبة: المعارف، ص ٢٦١.

(٣) كُتبت الوثيقة النبوية بأمر النبي لأهل المدينة بعد هجرته، وأوردت كتب السنة مقتطفات منها، ولهذه الوثيقة طرق عدة، وقد ذكرتها بعض المصادر كاملة، وبعض المصادر اقتصرت على جزء أو أجزاء منها، ويعتبر محمد بن إسحاق (ت ١٥١هـ) أقدم من أورد الوثيقة كاملة؛ لكنه أوردها دون إسناد، وقد صرح بنقلها عنه كل من: ابن سيد الناس، وابن كثير، فوردت عندهما من دون إسناد أيضًا؛ لكن ابن سيد الناس بعد أن أنهى ذكر الوثيقة ذكر إسناد ابن أبي خيثمة لها، في حين أن محمد حميد الله ذكر أن الوثيقة وردت في مخطوط بوردور التركي لكتاب الأموال لابن زنجويه (ت ٢٤٧هـ)، الذي أوردها من طريق الزهري؛ كما أوردها أبو عبيد (ت ٢٢٤هـ) في كتابه الأموال عن طريق الليث بن سعد عن عُقيل عن الزهري. (ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ٦٦، ٦٧؛ أبوعبيد القاسم بن سلام: الأموال، ج ١، ص ٣٠٧؛ حميد بن زنجويه: كتاب الأموال، تحقيق شاكر فياض، ط١، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م، ج٢، ص ٤٦٦؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر، ج١، ص ٣٢٠؛ محمد حميد الله: الوثائق السياسية للعهد النبوي، ص ٥٧؛ جاسم محمد راشد: الوثيقة النبوية والأحكام الشرعية المستفادة منها، رسالة ماجستير منشورة، مكتبة الصحابة، الإمارات، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م، ص ٤٤، ٤٥).

المحمدية كان في إدخال مبدأ الخضوع لسلطة مركزية في مجتمع شبه الجزيرة البدوي، من خلال التسليم لسلطة واحدة هي سلطة الله"[١].

وقد لاحظ (مونتجمري وات) أن المادة الثانية من الوثيقة التي تقول: "إنهم أمة واحدة من دون الناس"[٢] تكاد أن تكون موجهة للقضاء على فكرة القبيلة كسبب وحيد للوحدة بين بعض الأفراد في شبه جزيرة العرب؛ حيث استخدمت الوثيقة كلمة (أُمَّة) وصفًا رسميًّا للمتحالفين بدلًا من كلمة (قوم)، التي غالبًا ما تعني قبيلة، أو مجموعة لا تربطها سوى صلة الدم، وعلى هذا فاستخدام هذه الكلمة وصفًا رسميًّا في دستور المدينة مسألة جديرة بالملاحظة، فالمؤمنون من قريش ويثرب ومن آمن معهم صاروا جميعًا أمة واحدة[٣].

ولقد شملت الوثيقة جميع البطون الخزرجية تقريبًا، على الرغم من أنه لم تذكر كلمة (خزرج) في نص ابن إسحاق[٤]، وذكرت الكلمة مرة واحدة عند ابن زنجويه؛ فقد قال: "وبنو الخزرج على ربعاتهم"، ويقصد بها بنو الحارث بن الخزرج[٥].

ولقد وهم ولفنسون - وكثير من المستشرقين - عندما بحثوا في الوثيقة عن أسماء البطون الأوسية والخزرجية الكبيرة، وعن أسماء القبائل اليهودية الكبيرة مثل بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع فلم يجدوها، يقول ولفنسون: "ولكن الذي يتأمل في هذه الصحيفة يعجب؛ إذ لا يجد للبطون الكبيرة من الأوس والخزرج وبني قينقاع ذكرًا فيها، فكيف أمكن أن يعقد النبي عهودًا مع البطون الصغيرة دون الكبيرة منها"[٦]، ويرى المؤلف أن ولفنسون لم يلاحظ أن جميع البطون الخزرجية التي تعاقد معها رسول الله

(١) نقلًا عن: أيمن إبراهيم: الإسلام والسلطان والملك، دار الحصاد، دمشق، سوريا، ط١، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م، ص١٢.

(٢) ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ٦٦.

(٣) محمد في مكة، ص ٢٩٦.

(٤) ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص ٦٦.

(٥) حميد بن زنجويه: كتاب الأموال، ج٢، ص ٤٦٧.

(٦) إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ١٢٠.

ﷺ ذُكرت تقريبًا؛ لأن الوثيقة تناولت الأصول العليا للبطون، لا أسماء البطون الصغيرة المتفرعة، عدا بني ساعدة فذكر اسم البطن، ولم يذكر الأصل؛ لأنها الفرع الوحيد لبني كعب بن الخزرج.

وذُكر ذلك في الفقرات ٤، ٥، ٦، ٧، ٨. فمثلًا قالت الفقرة (٤) من الوثيقة: "وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى"[١]، ويقصد بها: (بنو سالم، وبنو غنم، وبنو الحبلى)، وجاء في الفقرة (٥): "وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى"[٢]، ويقصد بها (بنو خُدْرة، وبنو خُدْارَة)، وجاء في الفقرة (٦): "وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى"[٣]، وهي بطن كبير متفرع من كعب بن الخزرج، وجاء في الفقرة (٧): "وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى"[٤]، ويُقصد ببني جُشَم: (بنو بَيَاضَة، وبنو زُرَيْق، وبنو سَلِمَة)، وجاء في الفقرة (٨): "وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى"[٥]، ويقصد ببني النجار: البطون التي تنحدر منها (كبني حُدَيلة، وبني مَغَالة، وبني مبذُول، وبني مَازن، وبني دِينار، وبني عَدِي).

كما نلاحظ أنه لم يذكر من الأوس سوى ثلاثة بطون، هم: بنو عمرو بن عوف (وهو غير عمرو بن عوف من الخزرج)، وبنو النبيت، وبنو الأوس؛ لأن باقي البطون الأوسية تأخر إسلامها[٦]، كما أطلقت الوثيقة على المهاجرين لقب المسلمين من قريش، ولم يتم تحديد من أي قريش هم. وقد تناولت البنود من (٢٥) إلى (٣١) تحديد العلاقة مع المتهودين من الأوس والخزرج، والمحالفين لهم، وقد نسبتهم البنود إلى عشائرهم العربية، وأقرت حلفهم مع المسلمين، وحددت ما لهم وما عليهم، فلقد جاء فيها: "وإن يهود بني

(١) ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ٦٦؛ محمد حميد الله: الوثائق السياسية للعهد النبوي، ص ٥٩، بند رقم (٤)؛ ناصر السيد: تاريخ يهود يثرب وخيبر (الغزوات والصراع)، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م، ص٥٤.

(٢) ابن هشام، نفسه؛ محمد حميد الله، نفسه، بند رقم (٥).

(٣) ابن هشام، نفسه؛ محمد حميد الله، نفسه، بند رقم (٦).

(٤) ابن هشام، نفسه؛ محمد حميد الله، نفسه، بند رقم (٧).

(٥) ابن هشام، نفسه؛ محمد حميد الله، نفسه، بند رقم (٨).

(٦) ابن هشام، نفسه، ج٢، ص ٦٦.

عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم"[١]، ثم ذكرت الوثيقة اليهود المحالفين للأصول الخمس الكبرى للخزرج[٢].

ولقد قاست الوثيقة على بني عوف - من الأوس - باقي البطون، فجاء فيها: "وإن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف[٣]، وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف[٤]، وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف[٥]، وإن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف[٦]"؛ فدل ذلك على أن هذه البطون الخزرجية كان فيها مَن تهود قبل الإسلام، وهكذا حددت الوثيقة حقوق كل من اشترك فيها، وبينت ما عليه من واجبات، سواء أكان من العرب أم من اليهود.

***

(١) سيرة النبي، ج٢، ص ٦٧، محمد حميد الله: الوثائق السياسية للعهد النبوي، ص ٦١، بند رقم (٢٥).

(٢) أكرم ضياء العمري: المجتمع المدني في عهد النبوة، ص ١٢٧.

(٣) ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص ٦٧، محمد حميد الله: المرجع السابق، ص ٦١، بند رقم (٢٦).

(٤) ابن هشام، نفسه؛ محمد حميد الله، نفسه، بند رقم (٢٧).

(٥) ابن هشام، نفسه؛ محمد حميد الله، نفسه، بند رقم (٢٨).

(٦) ابن هشام، نفسه؛ محمد حميد الله، نفسه، بند رقم (٢٩).

٣- قبيلة الخزرج ودورهم بعد الهجرة حتى وفاة الرسول ﷺ

أولاً: السرايا[١]:

كان للصحابة الخزرجيين دور عظيم في الغزوات، وكان لهم دور - أيضًا - في السرايا التي أرسلها رسول الله ﷺ، وقد كانت السرايا الأولى التي بعثها الرسول من المدينة لا تضم أحدًا من الأنصار؛ طبقًا لبيعة العقبة التي قالوا فيها لرسول الله ﷺ: "يا رسول الله إنا براء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا، فأنت في ذمتنا، نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا"، فكان رسول الله يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه[٢].

ولم يشترك الصحابة الخزرجيون في السرايا التي كانت قبل غزوة بدر، وكان أول اشتراك فعلي لأحد الخزرج، اشتراك زيد بن الدَّثِنَّة - أخي بني بياضة - في سرية الرجيع، وتم قتل من في السرية، وأُسر زيد بن الدثنة وبيع في مكة، فقتلوه بقتلاهم في بدر[٣].

سرية بئر معونة:

تعرف هذه السرية بسرية القُرَّاء[٤]، وكان رسول الله ﷺ قد بعث سبعين، وقيل أربعين من خيار الأنصار يُسَمَّون بالقراء؛ لدعوة أهل نجد للإسلام، وهم في جوار أبي براء عامر بن مالك، سيد بني عامر، وجعل رسول الله المنذر بن عمرو الخزرجي الساعدي على السرية، فتعرض لهذه السرية عامر بن الطفيل، وقتل من فيها، ومنهم المنذر ابن عمرو الساعدي، وحرام وسليم ابنا ملحان، من بني عدي بن النجار، وغيرهم من

---

(١) **السرايا:** مفردها سرية، وهي الطائفة أو القطعة من الجيش، تخرج منه وتعود إليه، وهي من خمسة إلى خمسمائة. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ج١، ص ١٦٧٠.

(٢) ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ١٤٠.

(٣) نفسه، ج٣، ص ٨٣.

(٤) أبو عبد الله البخاري: صحيح البخاري، ج٤، ص ٧٣؛ الديار بكري: تاريخ الخميس، ج١، ص ٤٥٢.

الخزرج كثير، وأصيب كعب بن زيد أخو بني دينار بن النجار، فعاش حتى قتل يوم الخندق[١].

سرية قتل سلام بن أبي الحقيق بخيبر:

يقول الزُّهري - في رواية عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك: "إن مما صنع الله لنبيه ﷺ أن هذين الحيَّن من الأنصار - الأوس والخزرج - كانا يتصاولان في الإسلام تصاول الفحلين، لا تصنع الأوس شيئًا، إلا قالت الخزرج: والله لا تذهبون به أبدًا، فضلًا علينا في الإسلام، فإذا صنعت الخزرج شيئًا قالت الأوس مثل ذلك" .. فلما أصابت الأوس كعب بن الأشرف، الذي كان يقف ضد الإسلام ورسوله، استأذنت الخزرج رسول الله ﷺ في قتل أبي رافع سلام بن أبي الحُقَيْق، وكان أبو رافع ممن أَلَّبَ الأحزاب في غزوة الخندق، ولم يقتل مع بني قريظة كحييّ بن أخطب، فانتدب رسول الله ﷺ خمسة من الخزرج، كلهم من بني سَلِمَة، وهم: عبد الله بن عتيك - وكان أمير القوم - وعبد الله بن أُنيس، وأبو قتادة الحارث بن ربعي، ومسعود بن سنان، وخزاعي بن أسود[٢]، حليف لهم من أسلم[٣].

وقد اختلفت الروايات في كيفية قتل أبي رافع؛ فالأولى: رواية الزُّهري في مغازيه، وابن سعد في طبقاته، وابن سيد الناس في عيون الأثر، وجاء فيها أن الخمسة دخلوا عليه في منزله الذي بحصنه، وظلوا يضربونه بسيوفهم حتى قام عبد الله بن أُنَيْس فاتكأ بسيفه على بطنه، فأنفذه إلى الفراش[٤].

وأمَّا الرواية الثانية؛ فهي رواية البخاري في الصحيح، وجاء فيها: أن عبد الله بن عَتِيك دخل عليه منفردًا، وكان نائمًا، فضربه بالسيف فلم يغن شيئًا، فوضع السيف في

---

(١) ابن هشام: سيرة النبي، ج٣، ص ٩٣؛ الديار بكري: تاريخ الخميس، ج١، ص ٤٥٣.

(٢) الزهري: المغازي النبوية، ص١١٣؛ ابن هشام، المصدر السابق، ج٣، ص ١٥٨.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٤٩٦.

(٤) الزهري، المصدر السابق، ص ١١٤؛ ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٢، ص ٨٨؛ ابن هشام، المصدر السابق، ج٣، ص ١٥٨؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر، ج٢، ص ١٢٠.

بطنه حتى أنفذه من ظهره، ثم عاد القوم إلى المدينة مستبشري الوجوه بعد نجاح المهمة وتنفيذ أمر رسول الله ﷺ[١].

سرية عبد الله بن رواحة لقتل يُسَيْر بن رزام بخيبر ٦هـ:

بعد أن قتلت بنو سَلِمَة أبا رافع بن أبي الحقيق، وَلَّى أهل خيبر يُسَيْر بن رِزَام، فسار في غطفان وغيرها؛ يجمعهم لحرب الرسول ﷺ، ويحرضهم على حرب المسلمين، فلما علم رسول الله ﷺ أرسل عبد الله بن رواحة - وكان نقيب بَني الْحارث بن الخزرج - في ثلاثة نفر سرًّا إلى خيبر، فسألوا عن خَبَرِه وغِرَّتِه، وظل ابن رواحة وأصحابة ثلاثة أيام بين حوائط خيبر ونخيلها، ثم عاد لرسول الله ﷺ بالخبر[٢]، فانتدب رسول الله ثلاثين رجلًا، منهم: عبد الله بن أنيس، واستعمل عليهم عبد الله بن رواحة أميرًا، وخرجوا إلى خيبر، وأقنعوا يُسَيْر بن رِزَام أن رسول الله ﷺ بعثهم إليه حتى يأتيه فيستعمله على خيبر، ويحسن إليه، فطمع في ذلك، فخرج يُسَيْر بن رِزَام ومعه ثلاثون رجلًا من اليهود، مع كل رجل رديف من المسلمين، حتى إذا قطعوا مسافة من الطريق ووصلوا إلى القرقرة[٣] من خيبر، على ستة أميال، ندم يسير على خروجه، وهم بالغدر بالمسلمين، فقتلوه وكل من معه من اليهود، غير رجل لم يتمكنوا منه ففر عائدًا بالخبر إلى خيبر[٤].

سريتان لبَشِير بن سعد الخزرجي ٧هـ:

خرج بشير بن سعد قائدًا لسرية مرتين؛ الأولى: إلى بني مُرَّة في فَدَك، وكان عداد السرية ثلاثين رجلًا، فاستاقوا نعمًا وشاء كثيرة، وفي طريق عودتهم لحق بها المُرِّيُّون،

(١) أبو عبد الله البخاري: صحيح البخاري، ج٥، ص ٩١.

(٢) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٢، ص ٨٨؛ الديار بكري: تاريخ الخميس، ج٢، ص ١٥.

(٣) **القرقرة:** بالفتح وتكرير القاف والراء، والقرقرة: الأرض الملساء، وهو موضع يقال له قرقرة الكدر على طريق الشام شمال المدينة؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص ٣٢٦.

(٤) ابن سعد، المصدر السابق، ج٢، ص ٨٩؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٦، ص ١٧٧.

فأصابوا أصحاب بشير، فمنهم من ولَّى ومنهم من قُتل، أما بشير فأصيب ثم تحامل على نفسه حتى رجع المدينة، وأبلغ الرسول ﷺ بما حدث(١).

أما السرية الثانية فقد بلغ رسول الله ﷺ أن عيينة بن حصن يجمع لحربه، فعقد لواء لبشير بن سعد، وبعث معه ثلاثمائة رجل، وأرسلهم إلى يُمْن وجُبَار(٢) - شمال شبه الجزيرة العربية - فلقيت السرية جمعًا لعيينة بن حصن فهزمته، واستاقوا نعمًا وشاء كثيرة، وأسروا رجلين فأسلما، وعادوا إلى المدينة(٣).

سرية مُؤْتة ٨هـ:

بعث رسول الله ﷺ الحارث بن عمير الأزدي، إلى ملك بُصْرَى بكتاب، فلما نزل مُؤْتة عرض له شُرَحْبِيل بن عمرو الغساني فقتله، فبلغ الأمر رسول الله ﷺ، فندب الناس وأخبرهم الخبر، فبلغ عدد من خرج مع السرية ثلاثة آلاف من المسلمين، وعلى إمارتها زيد بن حارثة، فإن قتل، فجعفر بن أبي طالب، فإن قتل، فعبد الله بن رواحة، نقيب بَني الحارث بن الخزرج(٤).

وبعد وصول المسلمين إلى مؤتة، وجدوا هرقل ملك الروم قد نزل البلقاء في مائة ألف من الرُّوم، ثم بلغ جيش الرُّوم مائتي ألف بمن انضم إليهم، فلما بلغ الأمر ذلك أقاموا ليلتين؛ يفكرون في أمرهم، وقالوا: نرسل إلى رسول الله نخبره بعدد عدونا؛ ليرى رأيه، ولكن عبد الله بن رواحة شجع الناس على القتال قائلًا: "والله ما نقاتل الناس بعدد ولا قوة، وما نقاتلهم إلا بهذا الدين، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين؛ إما ظهور وإما شهادة، فتشجع الناس على القتال"(٥).

---

(١) الواقدي: المغازي، ص ٧٢٣؛ ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٢، ص ١١٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص ١٠٦؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٦، ص ٢٠٩.

(٢) **يُمْن وجُبَار:** موضع في شمال الحجاز. البكري: معجم ما استعجم، ج٤، ص ١٤٠٠.

(٣) الواقدي، المصدر السابق، ص ٧٢٧، ٧٢٨؛ ابن سعد، المصدر السابق، ج٢، ص ١١٣؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج٢، ص ١٠٦؛ الصالحي، المصدر السابق، ج٦، ص ٢١٣.

(٤) ابن هشام: سيرة النبي، ج٣، ص ٢٢١.

(٥) الواقدي، المصدر السابق، ص ٧٥٥، ٧٥٦؛ الصالحي، المصدر السابق، ج٦، ص ٢٣٤.

وبعد بدء المعركة قتل زيد بن حارثة، ثم جعفر بن أبي طالب، فأخذ الراية عبد الله بن رواحة، وتقدم بها وهو على فرسه، فجعل يتردد بعض التردد، ثم تقدم، وقاتل حتى قتل رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، ووقع اللواء من يده، فاختلط المسلمون والمشركون، وانهزم بعض الناس، فجعل قُطْبَة بن عامر الخزرجي يصيح: يا قوم يقتل الرجل مُقْبِلا أحسن من أن يقتل مُدْبِرًا، ثم أخذ الراية خالد بن الوليد، فدافع القوم حتى استطاع الانسحاب بجيش المسلمين[١].

سريتان لأبي قتادة ٨هـ:

كان أبو قتادة الحارث بن ربعي - أخو بني سَلِمَة - من المقاتلين الأشداء، ففي غزوة ذي قَرَد - الغابة - أظهر أبو قتادة معرفة بالحرب وقوة على المواجهة، فقال عنه رسول الله ﷺ: "خير فرساننا اليوم أبو قتادة"[٢]، وقد كان ممن دافع عن رسول الله ﷺ يوم حُنين، وكانت السرية الأولى لأبي قتادة إلى خَضِرَة من أرض نجد[٣]، من مساكن غطفان، في شعبان سنة ثمان من الهجرة، وكان معه خمسة عشرة رجلا، فشن الغارة على القوم، وعاد وقد استاق النَّعَم، فكانت مائتي بعير وألفي شاة[٤].

أما السرية الثانية، فكانت لـمَّا همَّ رسول الله ﷺ بغزو مكة، فقد بعث أبا قتادة في سرية من ثمانية نفر إلى بطن إِضَم، وهي فيما بين ذي خُشُب - وادٍ على مسيرة ليلة من المدينة - وذي المرْوَة، وبينها وبين المدينة ثلاثة مراحل[٥]؛ ليظن الناس أن رسول الله ﷺ ذهب إلى هذه الناحية؛ حتى تذهب الأخبار بذلك، ولم تلق هذه السرية كيدًا حتى انتهوا إلى ذي خُشُب[٦].

---

(١) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٦، ص ٢٣٧.

(٢) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٢، ص ٨٠، الصالحي، المصدر السابق، ج٥، ص ١٦٠.

(٣) ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص ٣٧٧.

(٤) ابن سعد، المصدر السابق، ج٢، ص ١٢٣؛ الصالحي، المصدر السابق، ج٦، ص ٢٨٩.

(٥) ابن سعد، المصدر السابق، ج٢، ص ١٢٣، ١٢٤؛ ياقوت، المصدر السابق، ج٢، ص ٣٧٢، ٣٧٣.

(٦) ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ج٢، ص ٢٢٠.

سرية قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي لصُدَاء ناحية اليمن ٨هـ:

لما انصرف الرسول ﷺ من الجعرانة[١] - بعد فتح مكة - بعث قيس بن سعد بن عبادة في أربعمائة، وأمره أن يطأ ناحية من اليمن، يقال لها صداء، فقدم رجل منهم عَلِمَ بالبعث إلى رسول الله ﷺ، فقال: "يا رسول الله اردد الجيش وأنا لك بقومي"، فرد قيسًا، وخرج الصُدَائي إلى قومه، فقدم منهم - بعد ذلك - جمع فأسلموا[٢].

ثانيًا: دور الصحابة الخزرجيين في غزوات الرسول ﷺ:

غزوة بدر:

كانت الهجرة النبوية إيذانًا بتحول الصراع الدائر بين الإسلام - ممثلًا في رسول الله ﷺ وكفار مكة - من صراع يتسم بالمحلية، إلى صراع أكبر يدور في أنحاء شبه الجزيرة العربية، ولقد كانت غزوة بدر أولى العمليات الكبرى التي قام بها الرسول بعد الهجرة؛ معلنًا قيام دولة المدينة، وموضحًا أن هذه الدولة الناشئة من الممكن أن تهدد، بل وتسيطر على الطريق التجاري بين مكة والشام، وبالتالي توجه ضربة قاصمة للاقتصاد المكي الذي يعتمد على التجارة.

ووقعت غزوة بدر في السنة الثانية للهجرة[٣]، وكان قتالهم - عند ابن إسحاق - يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة خلت من شهر رمضان[٤]، أو التاسع عشر عند ابن الأثير[٥]. ولقد خرج رسول الله ﷺ - على أرجح الأقوال - في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا؛ منهم مائة وسبعون رجلًا من قبيلة الخزرج، أي أكثر من نصف من شهد المعركة[٦]؛ في حين أن ابن سيد الناس ذكر أن عدد الخزرجيين كان مائة وخمسة وتسعين[٧]، ولقد احتلت بنو

---

(١) **الجِعْرَانَة:** وهي ماء بين الطائف ومكة؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص ١٤٢.

(٢) القسطلاني: المواهب اللدنية، ج١، ص ٤٨٥؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٦، ص ٣٢٢.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص ١٤.

(٤) ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ١٤٧؛ القسطلاني، المصدر السابق، ج١، ص ١٧٩.

(٥) الكامل في التاريخ، ج٢، ص ١٤.

(٦) ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص ١٩٩؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج٢، ص ١٦؛ ابن كثير: الفصول في سيرة الرسول، ص ١٣٨.

(٧) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ج١، ص ٤٣١.

جُشَم – ببطونها الثلاث الكبرى: بني سلمة، وبني زريق، وبني بياضة – العدد الأكبر من الخزرجيين المشاركين في الموقعة، حتى أطلق على بني سَلِمَة بعد الموقعة، سَلِمَة بَدْر؛ لكثرة من شهدها منهم – وكانوا ثلاثة وأربعين إنسانًا[١] –، كما شهدها من بني زُرَيْق ستة عشر رجلًا، ومن بني بياضة ستة نفر، ومن بني حبيب بن عبد حارثة رجل واحد، وبهذا يبلغ عدد من شهد بدرًا من بني جشم ستة وستين رجلًا[٢].

وبعد أن خرج رسول الله ﷺ جعل قيس بن أبي صعصعة المازني النجاري على ساقة الجيش[٣]، وجعل شعار الخزرج يا بني عبد الله[٤]، ودفع لواء الخزرج إلى الحباب بن المنذر السلمي[٥]، وذكر صاحب المواهب: "أن سعد بن عبادة كان صاحب راية الأنصار"[٦]، ولقد وقع في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن سعد بن عبادة قال لرسول الله ﷺ: "والذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك"[٧]، في حين أن ابن هشام وأكثر المصادر الأخرى تنسب هذه الكلمة إلى سعد بن معاذ[٨].

والراجح في ذلك أن سعد بن عبادة لم يحضر بدرًا؛ فقد كان يتهيأ للخروج فلدغته حية قبل أن يخرج فأقام، فقال فيه رسول الله ﷺ: "لئن كان سعد لم يشهدها فقد كان حريصًا عليها"، وضرب له بسهم[٩]، فحمل سعد بن عبادة على عشرين جملًا، وأهدى للرسول درعًا سميت ذات الفضول[١٠].

---

(١) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٣، ص ٥٤٦.

(٢) ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ١٩٤، ١٩٥.

(٣) نفسه، ج٢، ص ١٣٩؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص ١٨؛ الديار بكري: تاريخ الخميس، ج١، ص ٣٧٢؛ الكتاني: التراتيب الإدارية، ج١، ص ٢٦٩.

(٤) ابن سعد، المصدر السابق، ج٢، ص ١٣؛ الديار بكري، المصدر السابق، ج١، ص ٣٧٨.

(٥) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٤، ص ٣٩؛ الحلبي: السيرة الحلبية، ج٢، ص ٢٠٣.

(٦) القسطلاني: المواهب اللدنية، ج١، ص ١٩٣.

(٧) مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، ج٥، ص ١٧٠؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج٣، ص ٤٧.

(٨) ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص ١٤٠؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٤٣٥.

(٩) الحلبي، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٠٦، ٢٠٧.

(١٠) الصالحي، المصدر السابق، ج٤، ص ٣١؛ القسطلاني، المصدر السابق، ج١، ص ٤٥٩.

ونزل جيش المسلمين أدنى ماء بدر، فقام الحباب بن المنذر فقال: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل، أمنزلًا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه، ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: "بل هو الرأي والحرب والمكيدة"، فقال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس، حتى تأتي أدنى ماء من القوم، فننزله، ثم نُغَوِّر ما وراءه من القُلُب، ثم نبني عليه حوضًا فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله ﷺ: "لقد أشرت بالرأي"[١]، وفي رواية فنزل جبريل فقال: "الرأي ما أشار إليه الحباب"[٢].

ولقد أظهر الصحابة الخزرجيون حبهم للإسلام من بداية المعركة، فعندما خرج عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة، ودعوا إلى المبارزة في بدء القتال، خرج إليهم عوف ومعوذ ابنا عفراء وعبد الله بن رواحة، وكلهم من الخزرج، فرفض الكفار لقاءهم، وقالوا: ليخرج إلينا أكفاؤنا من قومنا، فأخرج إليهم الرسول ﷺ حمزة بن عبد المطلب، وعليّ بن أبي طالب، وأبو عبيدة بن الجراح[٣].

كما استشهد عمير بن الحمام بن الجموح الأنصاري بعد أن سمع رسول الله ﷺ يقول: "والذي نفس محمد بيده، لا يقاتلهم اليوم رجل، فيقتل صابرًا محتسبًا مقبلًا غير مدبر، إلا أدخله الله الجنة"، فقال عمير: "بَخٍ بَخٍ ما بيني وبين أن أدخل الجنة، إلا أن يقتلني هؤلاء"، ثم ألقى تمرات كانت في يده وقاتل حتى قتل[٤]. ويقال إنه أول قتيل قُتِل في بدر[٥]. ويقول ابن إسحاق: "قال يومئذ عوف بن الحارث - وهو ابن عفراء: يا رسول

(١) ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ١٤٣؛ ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٢، ص ١٤؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٤٤٠؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج٣، ص ٣٥؛ ابن كثير: الفصول في سيرة الرسول، ص ١٣٣.

(٢) ابن سعد، المصدر السابق، ج٢، ص ١٤؛ الديار بكري: تاريخ الخميس، ج١، ص ٣٧٦.

(٣) أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي: المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م، ص ٦٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٢؛ الديار بكري، المصدر السابق، ج١، ص ٣٧٨.

(٤) ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص ١٤٨؛ البيهقي، المصدر السابق، ج٣، ص ٦٩؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٣.

(٥) البيهقي، المصدر السابق، ج٣، ص ١١٣.

الله، ماذا يُضحك الرب من عبده؟ قال: غمسه يده في العدو حاسرًا "، فنزع درعًا كانت عليه فقذفها ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قُتِل(١).

كما كان للصحابة الخزرجيين دور مهم في قتل أبي جهل، يقول عبد الرحمن بن عوف: "بينا أنا واقف يوم بدر، فنظرت عن يميني وشمالي، فإذا أنا بغلامين من الأنصار حديثة أسنانهما، فغمزني أحدهما فقال: يا عم هل تعرف أبا جهل؟ قلت: نعم، ما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال: أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر، فقال لي مثلها، فلما رأيت أبا جهل يجول في الناس قلت: ألا إن هذا صاحبكما الذي سألتماني، فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ، فنظر في سيفيهما، وقال: كلاكما قتله، وكانا معاذ بن عفراء ومعاذ بن عمرو بن الجموح، وكلاهما من الخزرج "(٢).

وقتل في غزوة بدر ستة من الخزرج، وهم: يزيد بن الحارث، وهو الذي يقال له ابن فسحم من بني الحارث بن الخزرج، وعمير بن الحمام من بني سلِمَة ثم من بني حرام، ورافع بن المعلى، وحارثة بن سراقة من بني النجار، وعوف ومعوذ، ابنا الحارث بن رفاعة(٣).

وفي طريق العودة إلى المدينة جعل رسول الله ﷺ عبد الله بن كعب من بني مبذول ابن النجار، على غنائم بدر، وأرسل عبد الله بن رواحة إلى أهل العالية من المدينة؛ يبشرهم بالنصر الذي أفاءه الله على المسلمين(٤).

---

(١) ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ١٤٨؛ الديار بكري: تاريخ الخميس، ج١، ص ٣٨٠.

(٢) أبو عبد الله البخاري: صحيح البخاري، ج٥، ص ٩٢ (حديث رقم: ٣١٤١) ؛ محيي الدين بن حزام النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٢، ص ١٥٩، ١٦٠؛ الديار بكري، المصدر السابق، ج١، ص٣٨٤.

(٣) ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص ١٩٩؛ القسطلاني: المواهب اللدنية، ج١، ص ١٩٣.

(٤) ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٠٥؛ ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٢، ص ٣٥.

ويعلق ولفنسون على غزوة بدر قائلًا: "كان عدد الأوس والخزرج في هذه المعركة قليلًا، وكان أغلب المحاربين من المهاجرين"(١)، وهذا الرأي مجمع على عدم صحته؛ فإن أغلب المصادر – وعلى رأسها سيرة ابن هشام – قد حددت عدد المحاربين في بدر، فذكرت أنه كان من المهاجرين ثلاثة وثمانون رجلًا، ومن الأوس واحد وستون رجلًا، ومن الخزرج مائة وسبعون رجلًا(٢).

غزوة أحد:

كانت غزوة أُحد ذروة الصراع بين الحق والباطل؛ فقد جاءت قريش، يدفعها كرهها الشديد للإسلام ورغبتها المجنونة في الانتقام لتلك الهزيمة التي حاقت بها في بدر، والتي أضاعت هيبتها بين القبائل العربية، فعندما علم الرسول ﷺ بخروج قريش جمع المسلمين للمشورة، ودعا عبد الله بن أبيّ بن سلول(٣)، ولم يدعه قط قبلها فاستشاره(٤)، فكان رأي عبد الله بن أبيّ وكبار صحابة الرسول المكوث في المدينة والدفاع عنها، في حين أن التيار العام للمسلمين – وخاصة الشباب – كانوا يرون الخروج من المدينة ومناهضة قريش خارجها، ونزل الرسول على رأي الشباب، فقرر الخروج من المدينة وملاقاة الكفار خارجها.

ويحلل الدكتور جميل المصري هذا الرأي لابن أبي قائلًا: "ويظهر من استماتة ابن أبيّ في الدفاع عن الرأي الأول، أنه كان على اتفاق مع قريش ومع أبي عامر الراهب واليهود؛ لوضع المسلمين بين نارين: اليهود والمنافقين في الداخل، والمشركين في الخارج"(٥).

(١) تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ١٢٧.

(٢) ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ١٩٨، ١٩٩.

(٣) عبد الله بن أبيّ بن سلول: زعيم المنافقين، وكان من بني الحُبْلَى من الخزرج، وكان يرى أن رسول الله قد سلبه مُلكًا؛ فقد كان أهل المدينة يريدون تتويجه قبل هجرة الرسول ﷺ، ولكن لم يتم له الأمر بعد الهجرة.

(٤) ابن هشام، المصدر السابق، ج٣، ص ٥؛ الديار بكري: تاريخ الخميس، ج١، ص ٤٢١.

(٥) أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب، ص ١٠١.

والظاهر أن الرسول ﷺ استشار ابن أبيّ؛ لأنه كان زعيم الخزرج، وحتى يعرف نيات القوى المضادة، ومن يساندها في المدينة من المنافقين[١]، ولقد فوجئت القوى المضادة بخروج الرسول ﷺ من المدينة، فغيرت إستراتيجيتها، وقررت الاشتراك في المعركة، حتى تُغيِّر مواقفها أثناء القتال، فتؤثر في صفوف المسلمين، فوجد الرسول ﷺ في طريقه لأحد كتيبة من ستمائة مقاتل، فسأل عنهم فقيل له: إنهم حلفاء عبد الله بن أبيّ من اليهود، فرفض اشتراكهم في المعركة قائلًا: "لا يُستَنْصَر بأهل الشِّرك على أهل الشِّرك ما لم يُسْلِمُوا "[٢]، فعادوا إلى المدينة، وافتعل عبد الله بن أبيّ انقسامًا؛ حتى يؤثر في صفوف المسلمين، وانسحب بثلاثمائة من المنافقين، وكاد أن يُحْدِث شقًّا في صفوف المسلمين عندما همَّ بنو حارثة وبنو سَلِمَة أن يَتبعُوه، ولكن عصمهما الله، ونزلت الآية: ﴿**إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا**﴾[٣]، وبقي رسول الله ﷺ في سبعمائة من صحابته[٤].

وكان رسول الله ﷺ قد أرسل الحباب بن المنذر الخزرجي إلى جيش الكفار سرًّا، فدخل فيهم وحَزَرَهُم له[٥]، ونظر إلى جميع ما يريد، ثم عاد وأخبر الرسول قائلًا: "رأيت يا رسول عددًا، حزرتهم ثلاثة آلاف، والخيل مائتي فرس، ورأيت دروعًا ظاهرة، حزرتها سبعمائة درع "[٦].

---

(١) جميل عبد الله المصري: أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب، ص ١٠٢.

(٢) الواقدي: المغازي، ص ٢١٥؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٤، ص ٢٧٧؛ الديار بكري: تاريخ الخميس، ج١، ص ٤٢٢.

(٣) آل عمران: ١٢٢.

(٤) أبو عبد الله البخاري: صحيح البخاري، ج٥، ص ٩٦؛ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج١، ص ٤٠٠؛ السيوطي: لباب النقول في أسباب النزول، ص ٥٦.

(٥) **حَزَر الشيء:** قَدَّره بالتخمين أو قدره بالحدس؛ الزبيدي: تاج العروس، ج١، ص ٦٧٢؛ الخليل بن أحمد: العين، ج٣، ص ١٥٧.

(٦) الواقدي، المصدر السابق، ص ٢٠٨؛ ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٢، ص ٣٥.

وبعد أن عقد رسول الله ﷺ ألويته، دفع لواء الخزرج إلى الحباب بن المنذر، ويقال إلى سعد بن عبادة(١).

وكانت راية المسلمين مع النُّعمان بن عمرو البياضي(٢)، وجعل المنذر بن عمرو بن خنيس الساعدي على ميسرة الجيش(٣).

ولقد كانت البطولات الخزرجية في غزوة أحد كثيرة، على الرغم من هزيمة المسلمين، ودل على ذلك كثرة من قتل منهم شهيدًا؛ حيث بلغ عدد من قتل من المسلمين سبعين رجلًا - عند ابن هشام وابن سعد(٤)، وخمسة وستين رجلًا - عند ابن إسحاق(٥)، منهم سبعة وثلاثون شهيدًا لبطون الخزرج المختلفة ومواليهم - عند ابن عبد البر، أي أكثر من النصف، أو أربعون عند ابن هشام، وقد بلغوا سبعة وأربعون عند الصالحي(٦).

وكان ممن أبلى أحسن البلاء في الموقعة أم عمارة نُسَيْبَة بنت كعب النجارية، شهدت أحدًا هي وزوجها وابنها، وكانت تسقي الجرحى أول النهار، وقاتلت يومئذ وأبلت بلاء حسنًا، وجُرحت اثني عشر جُرحًا؛ ما بين طعنة برمح أو ضربة بسيف(٧)، فمدحها رسول الله ﷺ قائلا: "ما التفتُّ يمينًا ولا شمالا إلا وأنا أراها تقاتل دوني"(٨). ولقد لبس كعب ابن مالك لأْمَة(٩) النبي ﷺ وكانت صفراء، ولبس النبي ﷺ لأمته، فجرح كعب بن مالك أحد عشر جُرحًا(١٠).

---

(١) الواقدي: المغازي، ص ٢١٥؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٤، ص ٢٧٧.

(٢) ابن دريد: الاشتقاق، ج٢، ص ٤٦٠.

(٣) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٢، ص ٢٦٢.

(٤) ابن هشام: سيرة النبي، ج٣، ص ٤٤؛ ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٢، ص ٤٠.

(٥) ابن هشام، نفسه.

(٦) سبل الهدى والرشاد، ج٤، ص ٣٤٧.

(٧) ابن هشام، المصدر السابق، ج٣، ص ١٧؛ ابن عبد البر، المصدر السابق، ج٢، ص ٥٩٠.

(٨) الواقدي، المصدر السابق، ص ٢٧١.

(٩) **اللأْمَة:** الدرع، تقول: استلأم الرجل، أي: لبس لأمته؛ الخليل بن أحمد: العين، ج٢، ص ١٩٢.

(١٠) ابن عبد البر، المصدر السابق، ج٢، ص ١٨٢؛ الكتاني: التراتيب الإدارية، ج١، ص ٢٦٨.

ولقد ضرب سائر شهداء الخزرج - كذلك - أروع الأمثلة في البطولة، وفي الدفاع عن رسول الله ﷺ؛ فها هو أنس بن النضر النجاري - عم أنس بن مالك - وُجد به بضع وثمانون جرحًا، ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم، ولقد مَثَّل به المشركون، فما عَرَفهُ إلا أخته، عرفته بثيابه[١].

وها هو سِماك بن خَرشَة الساعدي - أبو دُجانة - الذي أخذ سيف رسول الله ﷺ، فقاتل حتى أمعن في الناس، وقتل كثيرًا من المشركين[٢]؛ حتى شهد له رسول الله ﷺ، قائلًا لعلي بن أبي طالب بعد الموقعة: "لئن كنت أجدت الضرب بسيفك، لقد أجاده سهل ابن حنيف وأبو دُجانة"[٣].

ولقد قتل في الموقعة ثلاثة من نقباء الخزرج، وهم: رافع بن مالك بن العجلان، أحد الستة وأحد الاثني عشر وأحد السبعين، وكان نقيب بني زُرَيْق[٤]، وسعد بن الربيع نقيب بني الحارث بن الخزرج، شهد العقبة الأولى والثانية، وحضر بدرًا وقتل يوم أحد شهيدًا، بعد أن أصيب باثنتي عشرة ضربة نافذة[٥]، وعبد الله بن عمرو بن حرام نقيب بني سَلِمَة، الذي أبلى أحسن البلاء[٦].

غزوة حمراء الأسد:

نادى رسول الله ﷺ للخروج وراء جيش الكفار، إلى حمراء الأسد، ثاني يوم أحد، فخرج من بني سَلِمَة أربعون جريحًا، حتى وافوه خارج المدينة، فلما نظر إليهم والجراح فاشية فيهم، دعا لهم قائلا: "اللّهم ارحم بني سَلِمَة"[٧].

---

(١) ابن هشام: سيرة النبي، ج٣، ص ١٨؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص ٧٣.

(٢) ابن هشام، المصدر السابق، ج٣، ص ٧؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج٢، ص ٥٥١.

(٣) ابن هشام، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٩؛ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، دار الحرمين للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م، ج٣، ص ٢٩.

(٤) ابن هشام، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٦؛ ابن عبد البر، المصدر السابق، ج١، ص ٢٩٠.

(٥) نفسه، ج١، ص ٣٥٣، ابن الأثير، المصدر السابق، ج٢، ص ٤٣٢.

(٦) ابن عبد البر، المصدر السابق، ج١، ص ٥٧٣.

(٧) الواقدي: المغازي، ص٣٣٥؛ المقريزي: إمتاع الأسماع، ج١، ص ١٧٩.

وحمل سعد بن عبادة نقيب بني ساعدة في هذه الغزوة على ثلاثين جملًا، حتى وافت الحمراء، وساق جُزُرًا فنحروا خمسة في يومين[١]، وكان دليل الرسول ﷺ إلى حمراء الأسد ثابت بن الضحاك الخزرجي[٢]، وقد أنزل الله قرآنًا يمدح استجابتهم لأمر الرسول ﷺ بالخروج، ويعدهم الأجر، فقال -عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ١٧٢﴾[٣].

غزوة بني النضير:

كانت بنو النضير قد انضوت في ظل الوثيقة النبوية، التي أُقِرَّت في المدينة بعد الهجرة، وقد حاولوا اغتيال رسول الله ﷺ؛ حسدًا له لانتقال النبوة من بيت هارون، فأرسل لهم الرسول ﷺ يطلب منهم مغادرة المدينة وأَجَّلَهُم عشرًا، فوافق اليهود على الخروج من المدينة، حتى إنهم تكاروا إبلًا تحملهم، فأرسل إليهم عبد الله بن أبيّ بن سلول، وقال لهم: لا تخرجوا وأقيموا؛ فإن معي ألفين من قومي وغيرهم يدخلون حصونكم، فيموتون عن آخرهم قبل أن يوصل إليكم، فقرر اليهود محاربة الرسول وعدم الخروج من حصونهم، فحصرهم حتى نزلوا على حُكمه، ونزل فيما فعله عبد الله بن أبيّ بن سلول سورة الحشر بأسرها[٤].

وفي هذه الغزوة أرسل سعد بن عبادة قُبَّة من خشب الغَرَب عليها مُسُوح؛ لتكون مقر قيادة رسول الله ﷺ، كما كان يحمل التمر إلى المسلمين[٥]، وبعد أن غَنِمَ الرسول ﷺ بني النضير جمع الأوس والخزرج، ثم قال: "إن أحببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله عليَّ من بني النضير، وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم"، فتكلم سعد بن عبادة وسعد بن معاذ، فقالا: "يا رسول الله، بل تُقسم بين المهاجرين ويكونون في دورنا

---

(١) الواقدي: المغازي، ص ٣٣٥، ٣٣٨.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص ١٢٨؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج١، ص ٤٤٦.

(٣) آل عمران: ١٧٢.

(٤) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٨، ص ٥٨، ٥٩؛ الديار بكري: تاريخ الخميس، ج١، ص ٣٦٠، ٣٦١.

(٥) الواقدي، المصدر السابق، ج٢، ص ٣٧١؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٤، ص ٤٥٨، ٤٥٩.

كما كانوا"، فَسُرَّ رسول الله، وقال: "اللّهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار"، وقسم ما أعطاه الله للمهاجرين[١].

غزوتا الخندق وبني قريظة:

لما أجلى رسول الله ﷺ يهود بني النضير، وساروا إلى خيبر، خرج منهم حُيَي بن أخطب وكنانة بن أبي الحقيق وغيرهم، إلى مكة، فدَعَوْا قريشًا وأتباعها إلى حرب رسول الله ﷺ، وهم الذين حَزَّبُوا الأحزاب، وقالوا لقريش: "نحن معكم حتى نستأصل محمدًا"، فنشطت قريش لذلك، وتذكروا أحقادهم ببدر، وقرروا الخروج لحرب المسلمين[٢].

وبعد أن علم رسول الله ﷺ باجتماع المشركين من قريش وسليم وأسد وغطفان في عشرة آلاف لحربه، استشار أصحابه، فأشار عليه سلمان الفارسي بحفر خندق حول المدينة لحمايتها، ولاقت هذه الفكرة قبولًا عند الرسول ﷺ، فتم حفر الخندق في ستة أيام[٣]، بعد أن قَسَّم الرسول ﷺ المسافة المراد حفرها بين البطون المختلفة، حتى إنه أعطى بني سَلِمَة ناحية كاملة[٤].

وعسكر رسول الله وجيشه عند الخندق لثمان مضت من ذي القعدة، سنة خمس من الهجرة، وجعل لواء الأوس والخزرج بيد سعد بن عبادة الخزرجي الساعدي[٥].

وبعد أن وصلت قريش ومن معها فوجئت بوجود الخندق، فعسكرت على الجانب الآخر منه، وبدأ الفريقان يتراميان بالسهام والحجارة، ومع الوقت تحولت المعركة إلى اختبار لإرادة الفريقين؛ فتارة يقتحم المشركون الخندق بخيولهم فيردهم المسلمون، وتارة أخرى يطلبون المبارزة فينهزمون، ثم تحول صراع الفريقين إلى محاولة السيطرة على ولاء بني قريظة، وهل ستقف في معسكر الشرك ليدخل المشركون المدينة من ناحيتهم، أم تظل

---

(١) أبو عبد الله البخاري: صحيح البخاري، ج٦، ص ١٥٤؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر، ج٢، ص ٧٦، ٧٧.

(٢) الواقدي: المغازي، ج٢، ص ٤٤١؛ المقريزي: إمتاع الأسماع، ج٨، ص ٣٧٢.

(٣) ابن هشام: سيرة النبي، ج٣، ص ١١٧؛ الديار بكري: تاريخ الخميس، ج١، ص ٤٨٢.

(٤) الواقدي، المصدر السابق، ج٢، ص ٤٤٧؛ المقريزي: المصدر السابق، ج١، ص ٢٢٦.

(٥) الواقدي، المصدر السابق، ج٢، ص ٤٤٠؛ الديار بكري، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٨٢.

مع الرسول طبقًا للوثيقة النبوية، التي نُصَّ فيها على التشارك في الدفاع عن المدينة، كما تذكر نصوص هذه الوثيقة: "وأن بينهم النصر على من داهم يثرب"(١)، وأن "على كل أناس حصَّتهم من جانبهم الذي قبلهم"(٢).

ولقد بعث رسول الله ﷺ أربعة من سادة الأنصار؛ ليتأكدوا من خيانة بني قريظة، كان منهم: سعد بن عبادة وعبد الله بن رواحة، وهما سادة الخزرج، فعادوا مؤكدين غدر بني قريظة، وبدأ المنافقون يَفُتُّون في عضد المسلمين، واجتمع على المسلمين الجوع والبرد والحصار واشتد البلاء، فأراد رسول الله ﷺ أن يحتال لهم، وأن يعجل بانهيار حلف أعدائه، فأرسل إلى عيينة بن حصن والحارث بن عوف - قائدي غطفان - فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما إلى بلادهما، ثم أرسل رسول الله ﷺ في طلب سعد بن عبادة وسعد بن معاذ سيدي الأنصار، فاستشارهما في ذلك، فرفض السعدان هذا العرض، وقالوا: "ليجتهدوا علينا"، فشعر قائدا غطفان بقوة اللُّحمة بين المسلمين، وأنهم لن يتركوا دينهم ومدينتهم نهبًا للأطماع(٣).

وبعد أن بلغت القلوب الحناجر - كما يقول القرآن الكريم - جاءت ريح شديدة في ليلة باردة، قضت على نيران معسكر الكفار وخيامهم، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾(٤)، وبعد أن يئسوا من نصرة بني قريظة، قرر أبو سفيان الرحيل إلى مكة، وتبعته باقي الأحلاف، وقتل من المسلمين في هذه الغزوة ستة نفر، منهم اثنان من بني جشم بن الخزرج، ثم من بني سلمة، هما: ثعلبة بن عتمة، والطفيل بن النعمان، قتله

---

(١) ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ٦٨؛ محمد حميد الله: الوثائق السياسية للعهد النبوي، ص٦٢، بند رقم (٤٤)؛ جاسم محمد راشد: الوثيقة النبوية، ص ٨٢.

(٢) ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص ٦٨؛ محمد حميد الله، المصدر السابق، ص ٦٢، بند رقم (٤٥ ب)؛ جاسم محمد راشد، المصدر السابق، ص ٨٢.

(٣) ابن هشام، المصدر السابق، ج٣، ص ١١٩، ١٢٠.

(٤) الأحزاب: ٩.

وحشي قاتل حمزة، وواحد من بني النجار، ثم من بني دينار، وهو: كعب بن زيد، أصابه سهم غرب فقتله(١).

ولقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالمسير إلى بني قريظة، فحاصرهم خمسًا وعشرين ليلة، حتى جهدهم الحصار، فنزلوا على حكمه، وحَكَّمَ فيهم سعد بن معاذ الأوسي، فحكم بقتل المقاتلة وسبي النساء، فحبسهم رسول الله ﷺ في دار رملة، وقيل: كيِّسة بنت الحارث، امرأة من بني النجار(٢).

وكان سعد بن عبادة قد أرسل في هذه الغزوة بأحمال تمر للمسلمين، فأكلوا(٣)، واستشهد من المسلمين في هذه الغزوة خُلاد بن سويد من بني الحارث بن الخزرج، طرحت عليه رحى من أحد حصونهم فقتلته(٤).

غزوة خيبر:

بعد أن عاد رسول الله ﷺ من صلح الحديبية، تفرغ لنشر الإسلام، فكتب إلى ملوك الآفاق يدعوهم، ومن جملة رسله ﷺ كان سَلِيط بن قيس بن عمرو الخزرجي، من بني مازن بن النجار، أرسله إلى هَوْذة بن علي الحنفي، ملك أهل اليمامة؛ يدعوهم إلى الإسلام(٥).

قام رسول الله ﷺ بغزو خيبر؛ لما تُكنه للمسلمين من عداء، ولأنها أصبحت تجمع كل من حارب الإسلام من اليهود بعد طرد يهود المدينة، فذهبوا إليها، وكان غزو خيبر في

(١) الديار بكري: تاريخ الخميس، ج١، ص ٤٩٢؛ المقريزي: إمتاع الأسماع، ج١، ص ٢٤٤.

(٢) ابن هشام: سيرة النبي، ج٣، ص ١٣٠؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٥٨٨؛ المقريزي، المصدر السابق، ج١، ص ٢٤٩؛ الكتاني: التراتيب الإدارية، ج١، ص ٣٤٥.

(٣) المقريزي، المصدر السابق، ج١، ص ٢٤٦.

(٤) ابن هشام، المصدر السابق، ج٣، ص ١٣٨؛ ابن عبد البر: الدرر، ص ١٩٤.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١١٨.

السنة السابعة من الهجرة عند ابن إسحاق والواقدي[١]، وذهب الإمام مالك وابن حزم إلى أنها وقعت في السنة السادسة للهجرة[٢]، والرأي الأول هو الأقوى.

ودفع رسول الله ﷺ راية إلى سعد بن عبادة، وأخرى إلى الحباب بن المنذر[٣]، وجاء في أكثر الروايات أن رسول الله ﷺ نزل خيبر فجأة، حتى إن سكانها كانوا يمارسون حياتهم العادية، وعندما رأو الجيش صاحوا: "محمد والخميس"، إلا أن صاحب تاريخ الخميس، له رواية يقول فيها: "وأرسل ابن أبيّ إلى يهود خيبر يخبرهم بأن محمدًا في قصدكم، فخذوا حِذْركم"، فأرسلوا عينًا لهم فأصابها جيش المسلمين، وأقر صاحبها بخبر إبلاغ المنافقين لأهل خيبر بهجوم المسلمين[٤].

ويمكننا التوفيق بين الروايتين بأن ابن أبيّ أبلغ أهل خيبر بخروج جيش المسلمين لقتالهم، وبعد أن بلغهم الخبر لم يستطيعوا إبلاغ جميع الحصون بهذا الخبر؛ لقصر المدة الزمنية بين وصول الخبر ونزول جيش المسلمين.

ورُوي أن الحباب بن المنذر الخزرجي أتى النبي ﷺ بعد أن نزل بالجيش، فقال: "يا رسول الله أمنزلًا أنزلكه الله، أم هو الرأي في الحرب؟ قال: "بل هو الرأي"، فقال: يا رسول الله إن هذا المنزل قريب جدًّا من حصن نطاة، وجميع مقاتلي خيبر فيه، وهم يدرون أحوالنا ولا ندري أحوالهم، وسهامهم تصل إلينا وسهامنا لا تصل إليهم، فلو أمرت بمكان خال من هذه المفاسد، فقال رسول الله ﷺ: "الرأي ما أشرت"[٥]، وتم اختيار مكان آخر؛ ليكون معسكرًا للمسلمين، وكان الحباب قد أشار على الرسول ﷺ في بدر، ولقد قال الحباب مفتخرًا: "أشرت على رسول الله برأيين فقبل مني"[٦].

---

(١) الواقدي: المغازي، ج٢، ص ٦٣٤؛ ابن هشام: سيرة النبي، ج٣، ص ١٩٣.

(٢) ابن كثير: الفصول في سيرة الرسول، ص ١٨٨.

(٣) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٢، ص ١٠١.

(٤) الديار بكري: تاريخ الخميس، ج٢، ص ٤٣، ٤٤.

(٥) نفسه، ج٢، ص ٤٦.

(٦) ابن حجر: الإصابة، ج١، ص ٣١٣.

وتوالى فتح حصون خيبر، وجعل رسول الله ﷺ فروة بن عمرو البياضي على جمع غنائم خيبر[١]، وجعل سواد بن غزية – من بني عدي بن النجار – عامله على خيبر بعد ذلك[٢]، وكان رسول الله ﷺ يبعث إلى خيبر عبد الله بن رواحة خارصًا[٣]، بين المسلمين ويهود، فيخرص عليهم، وبعد أن استشهد في مؤتة، كان جبَّار بن صخر بن أمية الخزرجي، أخو بني سَلِمَة، هو الذي يخرص عليهم[٤]، وكان خارص أهل المدينة[٥]، كما كان فروة بن عمرو البياضي يخرص على أهل المدينة أيضًا[٦].

ولقد استشهد في خيبر ثلاثة من الصحابة الخزرجيين، هم: بشر بن البراء بن معرور، وفُضَيل بن النعمان، من بني سلمة، ومسعود بن سعد بن قيس، من بني زريق[٧].

فتح مكة:

خرج رسول الله ﷺ بجيوش المسلمين لفتح مكة، بعد أن نقض كفار مكة صلح الحديبية، وحرص رسول الله ﷺ على مباغتة أهل مكة؛ حتى لا يُجبر على القتال في البلد الحرام، وكان ذلك في العام الثامن للهجرة، وكان الرسول ﷺ في كتيبته الخضراء التي فيها المهاجرون والأنصار، وكان فيها الرايات والألوية، ومع كل بطن من بطون الأنصار لواء وراية[٨].

---

(١) الديار بكري: تاريخ الخميس، ج٢، ص ٥٥.

(٢) ابن الأثير: أسد الغابة، ج٢، ص ٥٩٠.

(٣) **الخارص:** الذي يقدر التمر وهو على أصوله، والخرص هٰهنا التقدير؛ الفراهيدي، معجم العين، ج٤، ص١٨٣.

(٤) ابن هشام: سيرة النبي، ج٣، ص ٢١٠؛ ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٣، ص ٤٨٧؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص٣٥؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج٤، ص ٢٣٠.

(٥) ابن حجر: الإصابة، ج١، ص ٢٣٠.

(٦) نفسه، ج٥، ص ٢٠٧.

(٧) ابن هشام، المصدر السابق، ج٣، ص ٢١٠.

(٨) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٥، ص ٣٣٣.

وكانت راية بني ساعدة مع مالك بن ربيعة - أبو أُسَيْد السَّاعدي[١]، وراية بني سلمة مع قُطْبَة بن عامر[٢]، وكانت هناك رايتان للخزرج؛ الأولى مع الحباب بن المنذر، والثانية مع سعد بن عبادة الخزرجي[٣]، ولقد أمره رسول الله أن يدخل ببعض الجيش من كَدَاء[٤]، فقال سعد - حين رأى أبا سفيان: اليوم يوم الملحمة، اليوم تُستَحَل الحُرمة، فبلغت هذه الكلمة رسول الله ﷺ، فعزل سعدًا وجعل ابنه قيس بن سعد بن عبادة مكانه، وقيل جعل علي بن أبي طالب مكانه[٥]، ورد رسول الله ﷺ على كلمة سعد قائلًا: "اليوم يوم المرحمة، اليوم يعزُّ الله قريشًا"[٦]. ولقد أعز الله قريشًا بفتح رسول الله ﷺ مكة، ودخول أهلها في الإسلام.

وبلغ رسول الله أن هوازن وثقيف اجتمعت لحربه، فاستخلف عَتَّاب بن أسيد القرشي أميرًا على أهل مكة، ومعاذ بن جبل الخزرجي يُعَلِّمهم السُّنَن والفقه، وخرج لحرب هوازن وثقيف[٧].

غزوة حُنين:

عبأ رسول الله أصحابه وصفَّهُم، ووضع الألوية والرايات في أهلها، وأعطى لواء الخزرج للحباب بن المنذر، ويقال: "وكان لواء الخزرج الأكبر مع سعد بن عبادة"، وكان في كل بطن من الأوس والخزرج لواء أو راية، فحمل راية بني الحارث بن الخزرج أبو بُرْدَة بن نيار - حليف لهم من بَلِيّ[٨] - وكان خال البراء بن عازب، وراية بني ساعدة حملها أبو أُسَيد الساعدي، وراية بني مالك بن النجار كانت مع عمارة بن حَزْم، وراية

---

(١) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٣، ص ٥١٧.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٢، ص ١٥٥؛ ابن حجر: الإصابة، ج٥، ص ٢٤٢.

(٣) ابن سعد، المصدر السابق، ج٢، ص ١٣٩.

(٤) **كَدَاء:** جبل في مكة يقع جهة الشام. البكري: معجم ما استعجم، ج٤، ص ١١١٧.

(٥) ابن هشام: سيرة النبي، ج٤، ص ١٤.

(٦) القسطلاني: المواهب اللدنية، ج١، ص ٣٢٧.

(٧) الواقدي: المغازي، ص ٨٨٩؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج٥، ص ٢٠١ ؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص ١٤٤؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٥، ص ٤٦٢.

(٨) **بَلِيّ:** بطن من قضاعة، وهم بطون كثيرة؛ ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ج٢، ص ٧٠٥.

يحملها أبو سليط - أسيرة بن عمرو الأنصاري - في بني عَديّ بن النَّجّار، وراية يحملها سَلِيط بن قَيْس في بني مازن[١].

وكانت رايات الأوس والخزرج في الجاهلية خُضْر وحُمْر، فلما جاء الإسلام أُقِرت على ما كانت عليه، وعندما وصل جيش المسلمين إلى وادي حُنَيْن كان جيش الأعداء قد سبقهم إلى الوادي، فكمنوا في شعابه وأحنائه ومضائقه، ثم شَدُّوا على المسلمين شدة رجل واحد، فانفض الناس راجعين، تاركين رسول الله ﷺ ومعه نفر من المهاجرين والأنصار[٢].

ولندع العباس - عم رسول الله ﷺ - يروي لنا ما حدث، فقال: إني لمع رسول الله، آخذ بخطام بغلته البيضاء، والناس لا يلوون على شيء، فقال رسول الله: "يا عباس، اصرخ: يا معشر الأنصار، يا معشر أصحاب السَّمُرة[٣]، يا أصحاب سورة البقرة"[٤]، ثم قصرت الدعوة على (يا للخزرج) ، ثم على (يا بني الحارث بن الخزرج) ، وكانوا صُبَّرًا عند الحرب، ثم يقول العباس: "والله لكأنما عَطْفَتُهم حين سمعوا صوتي، عطفة البقر على أولادها"؛ كناية على سرعة الإجابة، وجعل سعد بن عبادة يصيح يا للخَزْرَج[٥].

وهذه أم عمارة نسيبة بنت كعب - من بني مازن بن النجار - جعلت تصيح: "يا للأنصار، ما لكم وللفرار؟!"، ثم أخذت سيفًا صارمًا، وضربت به عرقوب الجمل الذي كان يحمل صاحب لواء هوازن، وظلت تضربه حتى أثبتته، وأخذت سلاحه[٦].

---

(١) المقريزي: إمتاع الأسماع، ج٧، ص ١٧٠.

(٢) الواقدي: المغازي، ص ٨٩٥، ٨٩٦.

(٣) أصحاب السَّمُرة: يشير بذلك إلى من بايع تحت الشجرة بيعة الرضوان بالحديبية، والسمرة من شجر الطلح.

(٤) يا أصحاب سورة البقرة: خُصت بالذكر حين الفرار؛ لتضمنها ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:٢٤٩]، أو لتضمنها: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ [البقرة:٤٠]، أو: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:٢٠٧].

(٥) محمد بن شهاب الزهري: المغازي النبوية، تحقيق: سهيل زكار، دمشق، سوريا، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م، ص ٩٢.

(٦) الواقدي، المصدر السابق، ص٩٠٣؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٥، ص ٤٨٧.

وتحقق النصر للمسلمين، وأصبحت هوازن ما بين قتيلٍ وأسير؛ حتى إن بني مازن وبني النجار أتوا بثلاثين أسيرًا[١]. وفي هذه الغزوة قال رسول الله ﷺ: "من قتل قتيلا له عليه بيِّنة فله سَلبُه"[٢]، فوجدوا أبا طلحة الأنصاري - من بني مالك بن النجار - قد قتل عشرين رجلًا، فأخذ أسلابهم[٣].

وقد بلغت شهرة المائة الذين أبوا الفرار عنان السماء، فقد ورد عن حارثة بن النعمان النجاري أنه قال: "رأيت جبريل من الدهر مرتين؛ الثانية حين رجعنا من حُنين مررت وهو يكلم النبي ﷺ فلم أُسَلِّم، فقال جبريل: من هذا يا محمد؟ قال: حارثة بن النعمان، قال: أما إنه من المائة الصابرة يوم حنين، الذين تكفل الله بأرزاقهم في الجنة، ولو سلم لرددنا عليه"[٤].

ويقال: إن المائة الصابرة كان منهم ستة وستون[٥]، وقيل: سبعة وستون من الأنصار[٦]، ولـمّا فرق رسول الله ﷺ غنائم هوازن في قريش وفي قبائل العرب ولم يكن في الأنصار منها شيء، وجد الأنصار في أنفسهم، حتى كثرت القالة، فدخل سعد بن عبادة على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم بما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، فقال: "فأين أنت من ذلك يا سعد؟"، قال: يا رسول الله ما أنا إلا من قومي، قال: "فاجمع لي قومك"، فجمعهم سعد، فقال لهم رسول الله ﷺ: "أو لا ترضون أن يرجع الناس بالغنائم إلى بيوتهم وترجعون برسول الله ﷺ إلى بيوتكم؟!، لو سلكت الأنصار شعبًا لسلكت شعب الأنصار، اللّٰهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار"، فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول

---

(١) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٥، ص ٤٨٨.
(٢) أبو عبد الله البخاري: صحيح البخاري، ج٥، ص ١٥٥ (حديث رقم: ٣١٤٢).
(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص ١٣٨.
(٤) ابن حجر: الإصابة، ج١، ص ٣١٣؛ الصالحي، المصدر السابق، ج٥، ص ٤٨٥.
(٥) نفس الجزء والصفحة.
(٦) الواقدي، المصدر السابق، ص ٩٠١.

الله ﷺ قسمًا وحظًّا، وتفرق القوم[١]، واستشهد من الخزرج في غزوة حنين كل من أيمن بن عبيد الخزرجي، وسراقة بن الحارث النجاري[٢].

المنافقون[٣]

ظهر النفاق في المدينة كحركة باطنية، كان هدفها القضاء على دولة النبي ﷺ، وذلك عقب انتصار بدر، وإذا نظرنا نظرة موضوعية لأسباب هذه الحركة، نجد أن لها دوافع عِدَّه؛ فلقد هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة؛ لما لاقاه من الأذى في مكة، فأراد أن يهاجر لأرض جديدة لنشر الإسلام، وليكون حكمًا بين أهل المدينة، يقضي على خلافاتهم، ويضع حدًّا لحالة التشرذم التي كانت تمر بها المدينة قبل الإسلام؛ وليُحَطِّم الكثير من الأصنام الاجتماعية والنفسية التي جُبِل عليها السكان في المدينة؛ فلقد كان المجتمع اليثربي لا يعرف الوحدة ولا التماسك، وكان مغرقًا في النظام القبلي، الذي لم يَعْتَد الانقياد

(١) الواقدي: المغازي، ص ٩٥٦؛ ابن هشام: سيرة النبي، ج٤، ص ٧٨؛ أبو عبد الله البخاري: صحيح البخاري، ج٥، ص ٣١؛ ابن عبد البر: الدرر، ص ٢٣٥، ٢٣٦.

(٢) الواقدي، المصدر السابق، ص ٩٢٢.

(٣) النفاق: الدخول في الإسلام من وجه، والخروج عنه من وجه آخر، وهو فعل المنافق الذي يستر كفره ويظهر إيمانه، كما يتستر الرجل بالنفق الذي هو السَّرب، والسرب: المسلك في خفية، وقيل اشتق من: نافق اليُربوع إذا دخل في فتحة جُحْرِه وخرج من أخرى، وقال صاحب معجم العين:

(للمؤمنين أمورٌ غير مُخْزِنةٍ ... وللمنافِقُ سِرٌّ دونَه نَفَقُ)

وكان النفاق في بعض من دخل الإسلام من الأنصار؛ ذلك أن الأنصار هم أهل المدينة، فلما أسلم أشرافهم وجمهورهم، احتاج الباقون أن يُظهِروا الإسلام نفاقًا؛ لعز الإسلام وظهوره في قومهم، وقد حدد رسول الله ﷺ علامات المنافقين في الحديث الشريف، فعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: "إن للمنافقين علامات يعرفون بها: تحيتهم لعنة، وطعامهم نهبة، وغنيمتهم غلول، ولا يقربون المساجد إلا هجرًا، ولا يأتون الصلاة إلا دبرًا، مستكبرين، لا يألفون ولا يؤلفون، خشب بالليل، صخب بالنهار". الخليل بن أحمد: معجم العين، ج٥، ص ١٧٨؛ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني: مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناءوط، وعادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١ هـ = ٢٠٠١ م، ج١٣، ص ٣٠٢، ٣٠٣؛ ابن تيمية: الخلافة والملك، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط٢، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م، ص ٧٥؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٣، ص ٦٠٥.

لسلطة موحدة، أو التمسك بالمُثُل الدينية والخلقية التي يدعو إليها الإسلام، أو الخروج من فكرة القبيلة الضيقة إلى فكرة الأُمَّة الأكثر اتساعًا، التي يدعو إليها الإسلام.

كل هذا جعل هناك من يحارب الجديد ويقف مع القديم؛ فقد كان هناك من يستفيد من القديم، ويؤيد بقاء الأحوال كما هي؛ لأن هذه الفُرقَة كانت مصدر رزقه، كما كان لوجود اليهود في المدينة أثر في إذكاء نار النفاق؛ نتيجة علاقة الصداقة والتحالف القائمة بين الجانبين.

وقد كانت الوثيقة النبوية التي عقدها الرسول ﷺ سببًا في تغير التحالفات داخل المدينة، وهي الأحلاف التي ظلت سنوات طويلة تحكم الصراع اليثربي، وبناء عليه فقد كان هناك من وقف ضد ذلك، كما كان هناك من حسد هذا الرجل الغريب عن المدينة، والذي خطف الأنظار إليه، وحاز على النفوذ بالمدينة، فالمنافقون لم يعارضوا النبي لكونه نبيًّا، بل لكونه قرشيًّا سيطر على حكم المدينة، على حساب الزعامات المحلية التقليدية(١).

وكان عبد الله بن أبيّ، سيد الخزرج في آخر جاهليتهم، وهو ابن سلول(٢)، وسلول امرأة من خزاعة(٣)، وقد نظم له قومه الخرز؛ ليتوجوه، ثم يملكوه عليهم، فجاءهم رسول الله ﷺ، فانصرف قومه عنه إلى الإسلام، فرأى ابن أبيّ أن رسول الله ﷺ قد استلبه مُلْكًا، فلما رأى قومه قد أَبَوْا إلا الإسلام دخل فيه كارهًا، مصرًّا على نفاق وغدر بالإسلام وبرسوله ﷺ(٤).

وعلى الرغم من أن أكثر المصادر قد ذكرت هذه الرواية السابقة؛ إلا أننا نرى أن ابن أبيّ لم يكن بالقيادة المقبولة من جميع الأطراف بالمدينة، ويبدو أنه لم يكن يتمتع بالاحترام

(١) أيمن إبراهيم: الإسلام والسلطان والمُلك، ص ٨٤.

(٢) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٣، ص ٥٠٠.

(٣) ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ٣٢.

(٤) الواقدي: المغازي، ص ٢١٥؛ ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص ١٢٠؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر، ج١، ص ٣٥١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناءوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥م، ج٣، ص ١٠٢؛ المقريزي: إمتاع الأسماع، ج١، ص ٢٢٦.

حتى بين أبناء قبيلته[١]، ولكنه - بلا شك - كان سياسيًّا طموحًا، تطلع إلى أن يصل إلى سدة الحكم بمواقفه السياسية، الرامية إلى كسب الجبهة الداخلية في المدينة، كما كان يتمتع بقدر عال من الانتهازية السياسية، وكانت آخر مواقفه التي تدل على الطمع في السلطة قبل الإسلام، موقفه الحيادي في يوم بُعاث؛ حتى لا يغضب أي طرف[٢].

وقد كان لابن أبيّ الكثير من الأفعال التي يأباها اللبيب، ويرفضها ذوي الفِطر السليمة؛ فقد كان له قبل الإسلام أمتان، هما مُعاذة ومُسيكة[٣]، يجبرهن على البغاء، ويضرب عليهن ضرائب، فشكتاه إلى رسول الله ﷺ، فنهاهما عن الزنا، فصاح عبد الله بن أبيّ: من يعذرني من محمد؟، يغلبنا على مملوكتنا![٤] فأنزل الله فيهم: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾[٥]، فإن قيل إن هذا كان قبل الإسلام، قلنا: إن هذا مما تأباه شيم الرجال، حتى وإن كانوا على الكفر.

على أن هناك الكثير من المواقف التي تدل على أن ابن أبيّ لم يكن يصلح للقيادة؛ فقد روى الزهري عن كعب بن مالك، أن كفار قريش كتبوا إلى عبد الله بن أبيّ بن سلول، ومن كان يعبد الأوثان من الأوس والخزرج، ورسول الله ﷺ يومئذ بالمدينة، قبل وقعة بدر، يقولون: إنكم آويتم صاحبنا، وإنكم أكثر أهل المدينة عددًا، وإنا نقسم بالله لتقتُلُنَّه أو لتُخرجنَّه، أو لنستعينن عليكم العرب، ثم لنسيرنَّ إليكم بأجمعنا، حتى نقتل مقاتلتكم، ونستبيح نساءكم. فلما بلغ ذلك ابن أبيّ ومن معه، أجمعوا لقتال النبي ﷺ وأصحابه، فلما بلغ ذلك النبي لقيهم في جماعة، فقال: "لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، وما كانت لتكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا أنفسكم"، فلما سمعوا ذلك تفرقوا[٦].

---

(١) عبد الله الأمين: الاستشراق في السيرة النبوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة الرسائل الجامعية، رقم (٢١)، ط١، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م، ص ١٢٣.

(٢) نفسه، ص ١٤٩.

(٣) الرازي: مفاتيح الغيب، ج٢٣، ص ٢٢١.

(٤) نفسه، ج٢٣، ص ٢٢٢؛ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص ٢٨٩؛ ابن حجر: الإصابة، ج٨، ص ٢١.

(٥) النور: ٣٣.

(٦) الزهري: المغازي النبوية، ص ٧١، ٧٢؛ الصالحي: سبل الهدى، ج٤، ص ٤٥١.

كما تناول القرآن ابن أبيّ بالذم، فقال: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾(١)؛ وذلك أنه رأى أبا بكر فقال: مرحبًا بالصديق سيد بني تميم وشيخ الإسلام وثاني رسول الله ﷺ، الباذل نفسه وماله لرسول الله ﷺ، فلما انصرف أبو بكر قال ابن أبيّ لأصحابه من المنافقين: إذا رأيتموهم فافعلوا كما فعلت، فأثنوا عليه(٢) .. فكيف بِهامة القوم وهو يحضهم على الرياء.

ويحاول المستشرقون - وهم يتكلمون عن عبد الله بن أبيّ والمنافقين - أن يصوروا ابن أبيّ ومن معه على أنهم يمثلون تيار الوطنية، الذي يحاول أن يقف ضد السيطرة الخارجية على المدينة، فنجد مونتجمري وات يتحدث عن المنافقين باعتبارهم المعارضة الإسلامية، فبدلًا من استخدام كلمة (Hypocrites) بمعنى المنافقين، نجده يستخدم مصطلح (The muslim opposition) بمعنى المعارضة الإسلامية(٣)، ويحاول وات أن يلحق ابن أبيّ بالمسلمين الأوائل، فيقول وات: "أسلم ابن أبيّ قبل العقبة"(٤)، مع أنا لا نجد لابن أبيّ ذكرًا في أيِّ مصدر من المصادر تقول إنه بايع بيعة العقبة الأولى أو الثانية، ولكنه حضر الحج في عام العقبة الثانية؛ حتى إنَّ كفار قريش سألوه عن البيعة فقال لهم: إن هذا لأمر جسيم، ما كان قومي ليتفَوَّتوا عليّ بمثل هذا، وما علمته(٥).

وكانت سلطة رسول الله ﷺ في المدينة تتزايد باطراد؛ مما كان يُشعر المنافقين أن دورهم في المدينة سوف ينتهي مع الوقت؛ مما أدى إلى كثير من الأحداث التي كانت تدل

---

(١) البقرة: ١٤.

(٢) ابن حجر: العُجاب في بيان الأسباب، تحقيق: أبو عبد الرحمن فواز، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م، ص ٧٦؛ أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري: أسباب النزول، عالم الكتب، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص ١٣، ١٤.

(3) Watt, W. M., Muhammad at Medina, (Oxford at the Clarendon press, London: 1966) p. 180.

(4) p.175. Watt, W. M., Muhammad at Medina.

(٥) ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ٣٣؛ عبد الله الأمين: الاستشراق في السيرة النبوية، ص ١٤٧.

على عدم صحة إيمان المنافقين، وأن سلوكهم القَبَلِي الجاهلي كان متغلبًا على روحهم الإسلامية(١).

وإذا استعرضنا تاريخ المضايقات التي تعرض لها الرسول ﷺ من المنافقين نجدها كثيرة، وأنها كانت بمثابة حجر عثرة في طريق انتشار الدعوة، فعندما دخل رسول الله ﷺ المدينة مَرَّ بابن سلول، فانتظر رسول الله أن يدعوه للنزول عليه، فقال ابن أبيّ: "اذْهَبْ إلى الذين دعوك فانْزِل عليهم "(٢).

ويروي الزُّهري عن أسامة بن زيد أن رسول الله ﷺ ذهب يعُود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج، قبل وقعة بدر، فمر على مجلس عبد الله بن أبيّ بن سلول، وذلك قبل أن يسلم، فنزل الرسول ﷺ فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن، فقال ابن سلول: يا أيها المرء، إنه لا أحسن ممَّا تقول، إن كان حقًّا فلا تؤذنا به فى مجلسنا، وارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه. فقال عبد الله بن رواحة وكان حاضرًا، بلى يا رسول الله، فاغشنا به فى مجالسنا؛ فإنا نحب ذلك(٣)؛ كما كان ابن أبيّ يُخذِّل الناس عن الإسلام، فقد جاء أبو قيس بن الأسلت الأوسي ليُسْلِم، فلقيه عبد الله بن أُبيّ بن سلول فقال له: "تَربَّص حتى ترى، فرجع فمات كافرا "(٤).

وقد كانت بداية أعمال المعارضة النفاقية ضد الرسول ﷺ بعد الهجرة، عندما نزل بنو قينقاع على حكم الرسول ﷺ، على أن للرسول ﷺ أموالهم، وأن لهم النساء والذرية، فأمر بهم فكُتِّفوا، فذهب إليه عبادة بن الصامت – من القواقلة – وكان حليفًا لهم فقال يا رسول الله: أتَوَلَّى الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف هؤلاء الرجال، أما ابن أبيّ فقد قال للرسول: يا محمد أحسن في مَوَالِيّ، أربعمائة حاسر، وثلاثمائة دارع، منعوني

---

(١) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [البقرة:٨].

(٢) البيهقي: دلائل النبوة، ج٢، ص ٤٩٩؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٣، ص ٣٨٨.

(٣) الزهري: المغازي النبوية، ص ١٨٠؛ أبو عبد الله البخاري: صحيح البخاري، ج٧، ص ١١٩؛ مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، ج٥، ص ١٨٢؛ البيهقي: المصدر السابق، ج٢، ص ٥٧٧.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص ١١؛ السمهودي: وفاء الوفا، ج١، ص ٤٦٦.

من الأحمر والأسود، تحصدهم في غداة واحدة، إني والله امرؤ أخشى الدوائر[١]، فمنحهم له رسول الله ﷺ على أن يخرجوا من المدينة في ثلاث، وكان الذي تولى إخراجهم عبادة بن الصامت الخزرجي[٢].

وفي غزوة أحد انخذل عبد الله بن أبيّ في ثلث الجيش المسلم، ويعتبر هذا الموقف من قبل المنافقين أكثر المواقف تأثيرًا على المسلمين، فهزموا في غزوة أُحد، وقد علَّق السمهودي على هذا بقوله: "وبكى المسلمون يومئذ على قتلاهم، فَسُرَّ المنافقون، وظهر غش اليهود، وفارت المدينة بالنفاق"[٣].

وفي غزوة بني النضير أرسل مالك بن أبي قَوقَل الخزرجي، وسويد وداعس، وهم من رهط ابن سلول، وعبد الله بن أبيّ بن سلول - إلى يهود بني النضير، ودعاهم ابن سلول: "أن اثبتوا؛ فوالله لئن أخرجتم لنخرجن معكم، وإن قوتلتم لننصرنكم؛ فإن معي ألفين من قومي وغيرهم يدخلون حصونكم فيموتون معكم"[٤]، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾[٥]؛ ولكن المنافقين بعد أن استنجد بهم يهود بني النضير، لم يَمُدُّوهم، وقذف الله في قلوبهم الرعب، وانتهى الأمر بإجلائهم[٦].

---

(١) فنزلت في ابن سلول هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة:٥١]، ونزلت: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ [المائدة: ٥٢].

(٢) ابن هشام: سيرة النبي، ج٢، ص ٢٣٩؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٣٣؛ القسطلاني: المواهب اللدنية، ج١، ص ١٩٧؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٤، ص ٢٦٧.

(٣) السمهودي: وفاء الوفا، ج١، ص ٤٩٥.

(٤) ابن هشام، المصدر السابق، ج٣، ص ٩٧؛ ابن سعد، كتاب الطبقات الكبير، ج٢، ص ٥٦، الديار بكري، تاريخ الخميس، ج١، ص ٤٦٠.

(٥) الحشر: ١١.

(٦) ابن هشام، المصدر السابق، ج٣، ص ٩٦.

وقد كان لسلام بن مشكم في مَعرِض كلامه مع حيي بن أخطب رأي قد حذر فيه من ابن سلول، حيث قال: "وابن أبيّ لا هو على دين يهود، ولا هو على دين محمد، ولا هو على دين قومه، فكيف تقبل منه قولًا قاله؟!"(١). ويتماثل قول ابن مشكم مع تحليل الرسول ﷺ لنفس المنافق؛ حيث قال: "مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تَعِير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة"(٢).

ولقد تحول المنافقون - بعد فشلهم في مساعدة بني النضير - إلى المعارضة الكلامية، غير القادرة على الفعل، فنجد خلافًا وقع على الماء بين رجلين؛ أحدهما أنصاري، والآخر قرشي، في غزوة بني المصطلق، فلما علم ابن أبيّ قال: "والله لئن رجعنا ليخرجن الأعز منها الأذل"(٣)، فنقل زيد بن أرقم الخزرجي الحديث إلى رسول الله ﷺ، وكان عمر بن الخطاب حاضرًا، فحدَّث رسولَ الله بقتله، فقال رسول الله: "لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه"، فجاء عبد الله بن عبد الله بن أبيّ فقال: "يا رسول الله، إن كنت تريد أن تقتل أبي فيما بلغك عنه فمُرني به، فوالله لأحملن إليك رأسه"، فقال رسول الله ﷺ: "يا عبد الله، ما أردت قتله وما أمرت به، ولنحسنن صحبته ما كان بين أظهرنا"(٤).

وبعد أن حلف ابن أبيّ أنه لم يقل، نزلت فيه سورة (المنافقون) كاملة، وجعل بعد ذلك إذا أحدث حدثًا كان قومه هم الذين يعاقبونه ويأخذونه ويعنفونه(٥).

وقد كان حادث الإفك الفرصة الكبرى لابن أبيّ حتى يطعن على رسول الله ﷺ، فصعد رسول الله ﷺ منبره قائلا: "يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغ أذاه

---

(١) الواقدي: المغازي، ص ٣٦٩؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٤، ص ٤٥٧.

(٢) مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، ج٨، ص ١٢٤؛ أحمد بن حنبل: مسند أحمد، ج٩، ص ٩٩؛ أبو عبد الرحمن النسائي: سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، ج٦، ص ٥٣٨.

(٣) ونزلت الآية: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون:٨].

(٤) ابن هشام: سيرة النبي، ج٣، ص ١٦٩، ١٧٠؛ ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٥، ص ٣٥٨، ٣٥٩؛ السمهودي: وفاء الوفا، ج١، ص ٥٢٢.

(٥) الصالحي: المصدر السابق، ج٤، ص ٥٠١.

في أهل بيتي؟"، فقام سعد بن معاذ الأوسي فقال: "إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك"، فقام سعد بن عبادة سيد الخزرج يدافع عن ابن أبيّ، وثار الحيان حتى هَمُّوا أن يقتتلوا، فأسكتهم رسول الله ﷺ[١].

وبعد أن مكثت السيدة عائشة شهرًا لا يوحى لرسول الله ﷺ في شأنها، أنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡ﴾[٢]، وهكذا نزلت براءة السيدة عائشة في قرآن يتلى، وضُرِب الحد أربعة خاضوا في هذا الأمر، اثنان منهم من الخزرج، زعيم المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول وحسان بن ثابت الشاعر[٣].

أمر رسول الله ﷺ أصحابه بالتَّهيُّؤ لغزو الروم، والمسير إلى تبوك، فجاءه الجد بن قيس الخزرجي، وكان قد ساد في الجاهلية جميع بني سَلِمَة[٤]، فقال: يا رسول الله أوتأذن

---

(١) الزهري: المغازي النبوية، ص ١٢٠؛ ابن هشام: سيرة النبي، ج٣، ص ١٧٥؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج٤، ص ٦٨، ٦٩.

(٢) النور: ١١.

(٣) الواقدي: المغازي، ص ٤٣٤؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ص ٥٤. وقال القرطبي: المشهور من الأخبار والمعروف عند العلماء أن الذي حُدَّ: حسان ومسطح وحمنة، ولم يسمع بحدٍّ لعبد الله بن أُبي. وذلك الحديث رواه أبو داود عن عائشة، وعلل العلماء ذلك بأن الله أعدَّ لعبد الله بن أُبي في الآخرة عذابًا عظيمًا، فلو حُدَّ في الدنيا لكان ذلك نقصًا من عذابه في الآخرة وتخفيفًا عنه، وإنما حُد المسلمون الثلاثة؛ ليكفر الله عنهم الإثم حتى لا يبقى عليهم تبِعة من ذلك في الآخرة، فقد ثبت حديث عبادة بن الصامت مرفوعًا في الحدود: "إنها كفارة لمن أقيمت عليه".

وقيل: إن ترك حدِّ ابن أُبي كان استئلافًا لقومه واحترامًا لابنه - لأن ابنه كان مؤمنًا صادقًا - وإطفاءً لثائرة الفتنة المتوقعة من ذلك. وقد كان ظهرت مبادؤها من سعد بن عبادة ومن قومه - كما في صحيح مسلم.

(٤) كان رسول الله ﷺ قد انتزع منه السيادة حين سأل بني سَلِمَة: "من سيدكم يا بني سَلِمَة؟"، فقالوا: الجد بن قيس، على بُخْلِه، فقال رسول الله ﷺ: "وأي دَاءٍ أكبر من البخل؟!؛ بل سيدكم الأبيض الجعد بشر بن البراء بن معرور"، وقيل: عمرو بن الجموح؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٢، ص ١٦٢، ١٦٣؛ ابن حجر: الإصابة، ج٤، ص ٢٩١.

لي ولا تفتني؛ فإني أخشى إن رأيت بنات بني الأصفر ألا أصبر، فأذن له رسول الله ﷺ، فنزلت في الجد بن قيس: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾(١).

وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض: لا تنفروا في الحرّ؛ زهادة في الجهاد، وشكًّا في الحقّ(٢)، فنزلت فيهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ﴾(٣)، وبعد أن خرج ابن أبيّ في رهط من المنافقين وعسكر في ذِباب(٤)، حتى إذا سار رسول الله ﷺ متوجهًا إلى تبوك، تخلف عبد الله بن أبيّ فيمن تخلف من المنافقين وأهل الرِّيَب(٥).

ولما رجع رسول الله ﷺ قافلًا من تبوك إلى المدينة، حتى إذا كان ببعض الطريق مكر برسول الله أُناس من المنافقين، فتآمروا أن يطرحوه في عَقَبة في الطريق، ولكن الله أخبره ونجاه من كيدهم(٦)، وقال فيها الله -عز وجل: ﴿وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾(٧).

ولما توفي عبد الله بن أبيّ بن سلول، دُعِي رسول الله ﷺ للصلاة عليه، فلما وقف عليه يريد الصلاة، وقف عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: "يا رسول الله، أتصلي على عبد

---

(١) التوبة: ٤٩.

(٢) ابن هشام: سيرة النبي، ج٤، ص ٨٩؛ الإمام عبد الرحمن السهيلي: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ط١، ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م، ج٧، ص ٣٠٦.

(٣) التوبة: ٨١.

(٤) **ذِباب:** جبل بالمدينة له ذكر في المغازي والأخبار؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص ٣.

(٥) ابن عبد البر: الدرر، ص ٢٥٥.

(٦) البيهقي: دلائل النبوة، ج٥، ص ٢٥٦، ٢٥٧؛ ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرناءوط، وعبد القادر الأرناءوط، مؤسسة الرسالة، ومكتبة المنار الإسلامية، بيروت، لبنان، ط١٤، ١٤٠٧ = ١٩٨٦م، ج٣، ص ٤٧٨، ٤٧٩.

(٧) التوبة: ٧٤.

الله بن أبيّ؟! القائل كذا يوم كذا، والقائل كذا يوم كذا"، ورسول الله ﷺ يبتسم ويقول: "أخِّر عني يا عمر، إني خُيِّرت فاخترت، قد قيل لي: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[١]، ثم قام رسول الله ﷺ بالصلاة على عبد الله بن أبيّ بن سلول ومشى معه، وقام على قبره حتى فرغ منه[٢]، وما كان إلا يسيرا حتى نزلت: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾[٣]، وبوفاة ابن سلول فقد المنافقون رأسهم المفكر وعقلهم المدبر، وانكسرت شوكتهم، وأصبحت الأعمال النفاقية أعمالًا فردية، لا تؤثر على مسيرة الدولة الإسلامية الناشئة.

تاريخ قبيلة الخزرج من عام ١هـ حتى عام ١١هـ

كان للصحابة الخزرجيين دور مهم في تاريخ الإسلام، ويمكننا القول إن الرسول ﷺ قد أعطاهم مساحة كبيرة لتأكيد هذا الدور المهم، فنجد رسول الله قد استعمل سعد بن عبادة على المدينة في غزوة الأبواء، وهي أولى غزواته ﷺ[٤]، واستعمل رسول الله ﷺ عبد الله بن عبد الله بن أبيّ على المدينة في غزوة بدر الموعد[٥]، وقيل استخلف عبد الله بن رواحة الخزرجي[٦].

وكان من جملة رسله ﷺ حبيب بن زيد من بني مبذول، ثم من بني النجار، أرسله رسول الله إلى مسيلمة الكذاب باليمامة، فقتله مسيلمة بعد أن قطع يديه ورجليه حتى

(١) التوبة: ٨٠.

(٢) ابن هشام: سيرة النبي، ج٤، ص ١١١.

(٣) التوبة: ٨٤.

(٤) ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص ١٢٤؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص ١٠.

(٥) **بدر الموعد:** كانت بعد غزوة أحد؛ عندما تواعد أبو سفيان لقتال المسلمين، ولكنه عاد إلى مكة دون قتال؛ ابن هشام، المصدر السابق، ج٣، ص ١١٠؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر، ج٢، ص ٨٢.

(٦) الواقدي: المغازي، ص ٣٨٤؛ ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٣، ص ٤٨٧.

يشهد أنه رسول الله[١]، ومن رسله - أيضًا - سَلِيط بن قيس من بني مازن، أرسله إلى هَوْذة بن علي الحنفي، ملك أهل اليمامة؛ يدعوه إلى الإسلام[٢].

وروي عن أنس بن مالك أن قيس بن سعد بن عبادة، كان من النبي ﷺ بمكان صاحب الشرطة من الأمير[٣]؛ كما كان رسول الله ﷺ يستعمله على جمع الصدقة[٤]، وكان حامل راية الأنصار مع رسول الله ﷺ[٥]، وقد حدث في غزوة الغابة، أن قام سعد بن عبادة في ثلاثمائة من قومه يحرسون المدينة خمس ليالٍ حتى رجع النبي ﷺ، وبعث إلى النبي ﷺ بأحمال تمر وبعشرة جزائر، وكان في الناس قيس بن سعد، وهو الذي قرَّب الجُزُر والتمر إلى رسول الله ﷺ فقال: "يا قيس، بعثك أبوك فارسًا، وقوى المجاهدين، وحرس المدينة من العدو، اللّهم ارحم سعدًا وآل سعد"، ثم قال: "نعم المرء سعد بن عبادة"[٦].

وقد كان الكثيرون من أهل يثرب من الخزرج يكتبون ويقرأون عند ظهور الإسلام، ذكروا فيهم: المنذر بن عمرو الساعدي، وأبيّ بن كعب من بني حُديلة، وزيد بن ثابت النَّجاري، ورافع بن مالك الزرقي، وأوس بن خولي من بني الحُبْلَى، وبشير بن سعد من بني مالك الأغر، وسعد بن عبادة الساعدي، وعبد الله بن أبيّ بن سلول من بني الحُبْلَى، وسعد بن الربيع من بني حارثة[٧].

وكان أول من كتب لرسول الله ﷺ بعد الهجرة النبوية، هو أبيّ بن كعب، وهو أول من كتب في آخر الكتاب: "وكتب فلان"، وكان أبيّ بن كعب إذا لم يحضر دعا رسول الله

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٢١؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج١، ص ٦٧٥.

(٢) البلاذري، المصدر السابق، ص ١١٨؛ جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج٤، ص ٢١٣.

(٣) أبو عبد الله البخاري: صحيح البخاري، ج٩، ص ٦٥؛ ابن حزم: جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم، دار المعارف، مصر، (د - ت) ، ج١، ص ٢٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ١٠٢.

(٤) ابن سعد، كتاب الطبقات الكبير، ج٥، ص ٣٦٩.

(٥) ابن حجر: الإصابة، ج٥، ص ٢٥٤.

(٦) الواقدي: المغازي، ص ٥٤٧.

(٧) جواد علي: المصدر السابق، ج٨، ص ١١٤.

ﷺ زيد بن ثابت، فكتب له، فكان أبيّ وزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يكتبان الوحي بين يديه، ويكتبان كتبه إلى من يكاتب من الناس، وما يُقْطِع وغير ذلك[١]، وكان زيد بن ثابت ألزم الصحابة لكتابة الوحي[٢].

ولقد برع بعض الخزرجيين في الفتوى في عهد رسول الله ﷺ، فعن سهل بن أبي حَثْمَة قال: "كان الذين يفتون على عهد رسول الله ستة نفر، منهم ثلاثة من الأنصار: أبيّ بن كعب، ومُعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت[٣]، الذي كانت تنسب إليه الفرائض"[٤]. كما سمى صاحب (المحبر) من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ، فكان منهم من الخزرج خمسة: "أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وأبو زيد ثابت بن زيد بن النعمان، وأبيّ بن كعب[٥]"، الذي قال له رسول الله: "إن الله أمرني أن أقرأ عليك"[٦]، وزيد بن ثابت، الذي سماه أبو هريرة "حبر هذه الأمة"، وكان عالمًا بالقضاء والفتوى، ومن علماء الصحابة، وهو الذي تولى قسم غنائم موقعة اليرموك[٧].

ولقد كان الصحابة الخزرجيون يعلمون المسلمين القراءة والكتابة، فعن عبادة بن الصامت قال: "علمت ناسًا من أهل الصفة الكتابة والقرآن، فأهدى إلي رجل منهم قوسًا"[٨]؛ كما كان لأحد الصحابة الخزرجيين الفضل في أن يُقِر رسول الله ﷺ أهم القواعد التي بُنِيَ عليها الفقه الإسلامي، قديمًا وحديثًا، ألا وهي قاعدة الاجتهاد، فعن

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص٦٦٢؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج١، ص ٥٠؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج١، ص ١٧٠؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٤، ص ١٣٧.

(٢) ابن عبد البر، المصدر السابق، ج١، ص ٥٠.

(٣) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٢، ص ٣٠٢؛ المقريزي: إمتاع الأسماع، ج٩، ص ١٣٠.

(٤) ابن دريد: الاشتقاق، ج٢، ص ٤٥٠.

(٥) ابن حبيب، المصدر السابق، ص ٢٨٦.

(٦) ابن سعد، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٩٤؛ ابن حجر: الإصابة، ج١، ص ١٦.

(٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٤٢٧؛ ابن حجر، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٣.

(٨) أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني: سنن أبي داود، بيت الأفكار الدولية للنشر، الرياض، السعودية، (ب – ت)، ص ٣٨٢.

معاذ بن جبل، قال: "لما بعثني رسول الله إلى اليمن، عاملا على الجند - موضع باليمن - قال لي: بم تقضِّي إن عرض قضاء؟ قلت: أقضي بما في كتاب الله، قال: فإن لم يكن في كتاب الله؟ قلت:أقضي بما قضى به رسول الله ﷺ، قال: فإن لم يكن فيما قضى به الرسول؟ قلت: أجتهد رأيي ولا آلو!، فضرب رسول الله ﷺ صدري وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله"(١) . كذلك كان للخزرجيين حرص على العلم؛ فقد رُوِي أن معاذ بن جبل وثعلبة بن غنمة السلمي سألا رسول الله ﷺ: "ما بال الهلال يبدو دقيقًا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوي، ثم ينقص حتى يعود كما بدأ،لم لا يكون على حالة واحدة كالشمس؟ "(٢)، فنزلت الآية: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾(٣).

وفاته ﷺ:

كانت وصية رسول الله ﷺ في مرض موته أن أوصى بالأنصار، فقال: "يا معشر المهاجرين، استوصوا بالأنصار خيرًا؛ فإن الناس يزيدون وإن الأنصار على هيئتها لا تزيد، وإنهم كانوا عَيْبَتي التي أويت إليها، فأحسنوا إلى محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم "(٤)، فلما قبض رسول الله ﷺ حضرت الأنصار وأرادوا غسله، فنادت على الباب: الله الله؛ فإنا أخواله فليحضر بعضنا، فقيل لهم اجتمعوا على رجل منكم، فأجمعوا على أوس بن خولي الخزرجي، أحد بني الحُبْلَى، فدخل فحضر غسل رسول الله ﷺ

---

(١) ابن سعد، كتاب الطبقات الكبير، ج٢، ص ٣٠٠؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٢، ص ٢٣٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١، ص ٤٤٨.

(٢) الرازي: مفاتيح الغيب، ج٥، ص ١٢٩؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج١، ص ٤٧٤.

(٣) البقرة: ١٨٩.

(٤) ابن هشام: سيرة النبي، ج٤، ص ١٨٥.

ودفنه مع أهل بيته[١]، وحفر قبره أبو طلحة زيد بن سهل النجاري، ولم يكن بالمدينة من يحفر غيره[٢].

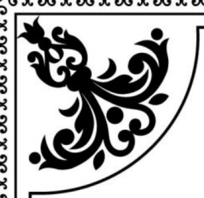
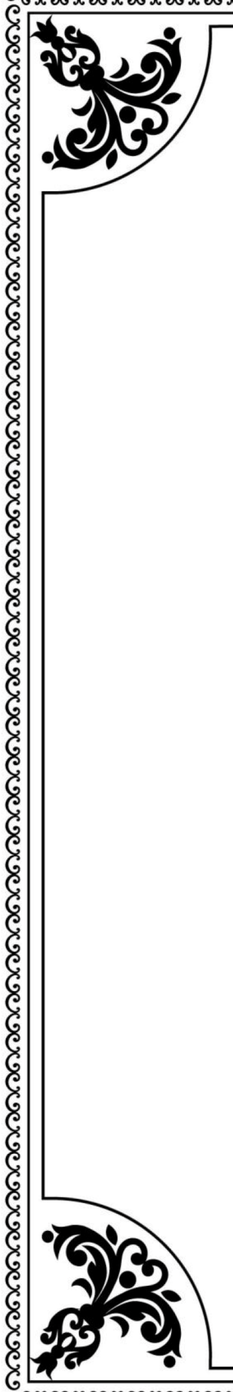
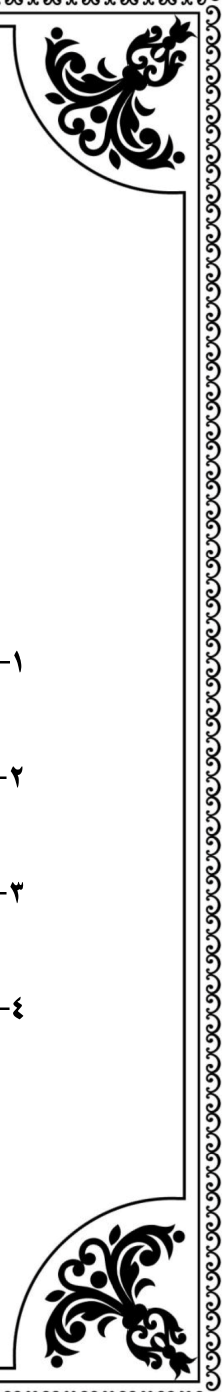
وهكذا، فإن دخول قبيلة الخزرج في الإسلام - بعد بيعتي العقبة الأولى والثانية - كان مُمَهِّدا لأن تحتل القبيلة دورًا ذا أهمية كبرى في تاريخ المدينة؛ حيث وصل عدد من شارك منهم في الغزوات نسبة كبيرة، بلغت أكثر من النصف في كثير من الغزوات، وخاصة غزوة بدر التي حضرها من الخزرج مائة وسبعون رجلًا.

كما كان لهم دور في السرايا التي بثها رسول الله ﷺ في أنحاء شبه الجزيرة، وتولوا القيادة فيها، وقد كان منافقو المدينة – بقيادة عبد الله بن أبي بن سلول – سببًا في حدوث بعض القلاقل داخل المدينة، وخاصة مع الأوس والمهاجرين، حتى استطاع الرسول ﷺ أن يُحَيِّد تلك الفئة، ويوطد أركان دولة الإسلام في المدينة، وقد توفي رسول الله ﷺ، فزادت المدينة أهمية، وبلغت شهرتها الآفاق؛ لدفن رسول الله ﷺ بها.

***

(١) نفسه، ج٤، ص ١٨٥؛ ابن عبد البر: المصدر السابق، ج١، ص ٧٨؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص ٣٢١.

(٢) ابن هشام، المصدر السابق، ج٤، ص ١٨٤؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ص ١٢٧؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج٢، ص ٣٦٢.

الفصل الرابع

تاريخ قبيلة الخزرج
في عهد الخلفاء الراشدين

١- **قبيلة الخزرج في عهد أبي بكر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

٢- **قبيلة الخزرج في عهد عمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

٣- **قبيلة الخزرج في عهد عثمان** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

٤- **قبيلة الخزرج في عهد عليّ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.



١- قبيلة الخزرج في عهد أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ

حادث السقيفة:

انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وقد آثر أن يُفَوِّض الأمر للأمة، في كل ما يتعلق بتفاصيل نظام الحكم الإسلامي، أو تحديد نواحيه الشكلية، وكان رسول الله ﷺ قد أمضى عمره يبث في صحابته علمًا، وترفعًا عن دنيا، وحبًّا لصالح المسلمين؛ كما كانت المبادئ الخلقية قد تمكنت من نفوس الصحابة واستقرت، وكان رسول الله ﷺ قد أُمِرَ – وهو الذي يأتيه الوحي من السماء[١] – بأن يشاورهم في الأمر، فقد قال له الله – عز وجل: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾[٢]، فكان يشاورهم في مكايد الحرب وعند لقاء العدو[٣]؛ وقد علق سفيان بن عيينة[٤] على هذه الآية قائلًا: "إنما أُمِر بذلك ليقتدِي به غيره في المشاورة، ويصير سُنة في أمته"[٥].

وبعد أن عرك الصحابة الشورى، وعركتهم في حياة نبيهم ﷺ، نزل في القرآن ثناء الله – عز وجل – لأهل الإيمان؛ فقال – تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[٦]، وقال القرطبي: "هم الأنصار بالمدينة"، وحددهم دون المهاجرين[٧]، وقد روى الإمام

---

(١) الطبري: تفسير الطبري، ج٧، ص ٣٤٤.

(٢) آل عمران: ١٥٩.

(٣) الطبري، المصدر السابق، ج٧، ص ٣٤٣؛ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص ١٤٩.

(٤) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي الكوفي، الإمام الكبير وحافظ العصر، (ت ١٩٨هـ)؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص ٤٥٤.

(٥) فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب، ج٩، ص ٦٨.

(٦) الشورى: ٣٨.

(٧) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الخزرجي القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ط٢، ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م، ج١٦، ص ٣٦.

مالك عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا إلى رسول الله ﷺ قوله: "استرشدوا العاقل ترشدوا[١]".

ونستطيع القول إنَّ المسلمين قد ورثوا عن رسول الله ﷺ دولة، أي: نظامًا سياسيًّا، كما ورثوا - أيضًا - حرية تفكير في شئون هذه الدولة[٢].

ولقد كان خبر انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى خبرًا دُهش له المسلمون، وطاشت له عقولهم، حتى إن عمر بن الخطاب لم يصدقه، ووقف يهدد الناقلين للخبر ويتوعَّدهم، ولقد قالت السيدة عائشة: "وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية؛ لفقد نبيهم ﷺ"[٣]، وقد استطاع أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يخرج بالمسلمين إلى أعتاب الوعي والتصديق بأن نبيهم قد مات، وذلك بقوله: "من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات"، وعندما أتبع حديثه بقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾[٤]،تأكد المسلمون من الخبر، وبدأ التعامل من هذا المنطلق الجديد.

ولمَّا كانت إقامة الخلافة أو الإمامة "من أتم مصالح المسلمين، وأعظم مقاصد الدين"[٥]؛ فقد اتجه تفكير المسلمين إلى من يخلف القائد، ويحلل القاضي عبد الجبار الأمر

---

(١) علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهانفوري: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكري حياني، وصفوت السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٥، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م، ج٣، ص ٤٠٩.

(٢) محمد ضياء الريس: النظريات السياسية الإسلامية، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م، ص ٣٤.

(٣) ابن هشام: سيرة النبي، ج٤، ص ١٨٦.

(٤) آل عمران: ١٤٤.

(٥) عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي: كتاب المواقف، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م، ج٣، ص ٥٨١.

قائلًا: "فلقد خلفهم رسول الله ولا أمير عليهم، فخافوا أن يبيتوا وقد فقدوا نبيهم وليس عليهم أمير؛ فلشدة اهتمام هؤلاء بحراسة الإسلام بادروا إلى من يعقدون له"[١].

ولقد بادر أحد الفريقين الرئيسين اللذين كانت تتألف منهما جماعة المسلمين بالمدينة – وهم الأنصار – إلى عقد اجتماع في سقيفة بني ساعدة؛ ليبحثوا فيه أمر من يخلف الرسول ﷺ.

ولقد ساهمت غيبة الرسول بالوفاة في إبراز الطابع الدنيوي للأحداث، كما كان الحوار بين الفريقين حوارًا سياسيًّا وليس دينيًّا؛ ولكنه كان مغلفًا بالود والأخوة التي زرعها رسول الله بين المهاجرين والأنصار.

ولقد بدأ الأمر بأن علم عمر بن الخطاب باجتماع الأنصار في السقيفة، فانطلق إليها مع أبي بكر وأبي عبيدة بن الجراح، فلقيا عويم بن ساعدة[٢] ومعن بن عدي[٣] الأوسيين، فقالا للمهاجرين: "ارجعوا فاقضوا أمركم بينكم"[٤]، فدل ذلك على أنه لم يكن جميع الأنصار يطمحون إلى الخلافة.

---

(١) القاضي أبو الحسن عبد الجبار: المغني (جزء تثبيت أبواب النبوة)، تحقيق: عبد الكريم عثمان، الدار العربية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص ٢٦٨.

(٢) عويم بن ساعدة بن عائش بن قيس بن النعمان بن زيد بن أمية، من بني عمرو بن عوف، بدري، شهد العقبتين في قول الواقدي، وشهد الثانية بلا نزاع، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين عمر بن الخطاب، وقيل بينه وبين حاطب بن أبي بلتعة، وتوفي في عهد عمر بن الخطاب؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٢، ص ١٣٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١، ص ٥٠٣.

(٣) معن بن عدي بن الجد بن العجلان الأنصاري العجلاني، العقبي، البدري، من حلفاء بني مالك بن عوف، من سادة الأنصار، كان يكتب العربية قبل الإسلام، وقد توفي في موقعة اليمامة (١١هـ)، وكان رسول الله ﷺ قد آخى بينه وبين زيد بن الخطاب؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٢، ص ٢٦٥؛ الذهبي، المصدر السابق، ج١، ص ٣٢٠.

(٤) ابن هشام: سيرة النبي، ج٤، ص ١٨٢؛ البخاري: صحيح البخاري، ج٨، ص ١٦٩.

ولـمَّا وصل المهاجرون إلى السقيفة وجدوا الأنصار - أوسًا وخزرجًا - يتناقشون في اختيار سعد بن عبادة[١] خليفة للمسلمين. وتُصَوِّر الروايات السجال والجدال بين المهاجرين والأنصار بأنه كان حادًّا حاميًا، به الكثير من الانفعالات العفوية الشديدة، فتكلم عن الأنصار كل من سعد بن عبادة الساعدي، والحُباب بن المنذر السلمي[٢]، وثابت بن قيس بن شماس الحارثي[٣] -خطيب الرسول، وكاتب الأنصار وخطيبهم[٤]، ولقد أكد من تحدث من الخزرج على فضل الأنصار قائلًا: "إن لكم - يقصد الأنصار -

(١) سعد بن عبادة: كان سيدًا في الأنصار مقدَّمًا وجيهًا، له رياسة وسيادة، يعترف قومه له بها، وكان يكتب ويُحسن العَوْم والرَّمي، فعُدَّ من الكُمَّل في الجاهلية، وكان من أغنياء يثرب ومن أصحاب الأطم فيها، فكانت جفنة سعد تدور مع رسول الله ﷺ في بيوت أزواجه، وكان صاحب راية الأنصار في المشاهد كلها، وقال عنه رسول الله: "إن سعدًا لغيور، وإني لأغير من سعد، والله أغير منا"، وكان له الكثير من المواقف التي دارت بينه وبين رسول الله ﷺ؛ كان أهمها قوله في غزوة الفتح: "اليوم يوم الملحمة"، كما تلاحى مع سعد بن معاذ دفاعًا عن عبد الله بن أبيّ بن سلول زعيم المنافقين، في حادث الإفك، ولقد كان في قول سعد لرسول الله ﷺ: "إنما أنا امرؤ من قومي"، وذلك حين وزع النبي ﷺ غنائم حنين ولم يعط الأنصار، كان في ذلك دلالة على اعتزازه بقبيلته، وشعوره بأنه سيد هذه القبيلة؛ كما كانت له الكثير من المواقف التي تدل على منتهى الكرم والنجدة، ونصل مما سبق إلى أن سعد بن عبادة بن دُليم كان سيدًا حُقَّ له أن يفكر في تولي أمور الرئاسة. ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٣، ص ٥٦٦؛ ابن قتيبة: المعارف، ص٢٥٩؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص ٣٥٧؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج٢، ص ٤٤١، ٤٤٣؛ الصالحي: سبل الهدى، ج٥، ص ٨٥٨.

(٢) الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي، يقال له (ذو الرأي)، (ت ٢٠هـ)، ابن عبد البر، المصدر السابق، ج١، ص ١٩٠؛ ابن حجر: الإصابة، ج١، ص٣١٦.

(٣) ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، شهد أحدًا وما بعدها من المشاهد، واستشهد يوم اليمامة (١١هـ)، ابن عبد البر، المصدر السابق، ج١، ص ١٢٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١، ص ٣٠٨، ٣٠٩؛ ابن حجر: المصدر السابق، ج١، ص٢٠٣.

(٤) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ص ١٣٦، ١٣٧؛ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: الإمامة والسياسة، مكتبة النيل، مصر، ١٣٢٢هـ = ١٩٠٤م، ص ٢، ٧.

سابقة في الدين وفضيلة في الإسلام، وكنتم أشد الناس على من يخالف رسوله ﷺ، حتى دانت بأسيافكم العرب"[١].

ثم تحدث أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فكان أهم ما قاله: "إن ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش؛ هم أوسط العرب نسبًا ودارًا[٢]، وإن العرب لن تجتمع إلا على رجل منهم[٣]". وهكذا وضع أبو بكر كل مسلم أمام واجباته الدينية والسياسية؛ حتى يدرأ[٤] عن الإسلام ويشد عضده في هذه المحنة.

ولقد احتدم الجدال بعدما اقترحت الأنصار: "منا أمير ومنكم أمير"، فرد أبو بكر هذا الاقتراح قائلًا: "منا الأمراء ومنكم الوزراء[٥] "، فقام زيد بن ثابت الخزرجي، فقال: "إن رسول الله من المهاجرين، وكنا أنصار رسول الله ﷺ فنحن أنصار من يقوم مقامه"، فقام الحباب بن المنذر الخزرجي محذرًا الأنصار فقال: "يا معشر الأنصار املكوا على أيديكم، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم"، ثم قال أبو عبيدة بن الجراح: "يا معشر الأنصار أنتم أول من نصر وآوى، فلا تكونوا أول من بدل وغير"[٦].

على أن لابن كثير رواية يعترف فيها سعد بن عبادة بالأمر للمهاجرين؛ حيث قال أبو بكر: "لقد علمت يا سعد أن رسول الله ﷺ قال – وأنت قاعد: قريش ولاة هذا

---

(١) ابن قتيبة الدينوري: الإمامة والسياسة، ص ١، ٢.

(٢) ابن هشام: سيرة النبي، ج٤، ص ١٨٢؛ أبو عبد الله البخاري: صحيح البخاري، ج٨، ص ١٧٠.

(٣) أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي: المصنف في الأحاديث والآثار (مصنف ابن أبي شيبة)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط١، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م، ج٧، ص ٤٣١.

(٤) **يدرأ:** يمنع أو يُسقِط، قال تعالى: ﴿ وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَـٰدَٰتٍ ﴾ [النور:٨]؛ الخليل بن أحمد: معجم العين، ج٨، ص ٦٠، مادة يدرأ.

(٥) الزهري: المغازي النبوية، ص ١٤١، ١٤٢؛ أبو عبد الله البخاري: صحيح البخاري، ج٨، ص ١٧٠؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص ١٩٢.

(٦) سليمان بن أحمد بن أيوب: أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبدالمجيد، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، العراق، ط٢، ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٣م، ج٥، ص ١١٤؛ المتقي الهندي البرهانفوري: كنز العمال، ج٥، ص ٨٦٤.

الأمر، فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم، فقال له سعد: صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء"[١].

وكان الذي حسم هذا الأمر وقطع النزاع والجدال، أن قيس بن سعد بن عبادة – في رواية – [٢]أو بشير بن سعد[٣]– في روايات أخرى – [٤]قام فقال: "إن محمدًا رجل من قريش وقومه أحق بميراثه وتولي سلطانه، وايم الله لا يُراني أنازعهم هذا الأمر أبدًا"[٥]، فاقترح أبو بكر مبايعة عمر أو أبي عبيدة، ولكن عمر أبى إلا أن يتولاها أبو بكر، وكان أول من بايع بشير بن سعد الخزرجي؛ فلما رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد بايعت على الفور، وأقبلت الخزرج على أثر ذلك يبايعون أبا بكر، عدا سعد بن عبادة؛ فقد أصر على موقفه، وظل ممتنعًا عن مبايعة أبي بكر حتى وفاته، فلما تولى عمر الخلافة، رحل سعد إلى الشام، فتوفي هناك[٦].

وقد كان اختيار أبي بكر للخلافة دليلًا على قيام المهاجرين والأنصار بتفعيل نظام الشورى كما تعلموه، حتى إن أبا قحافة سأل ماذا صنع الناس بعد موت رسول الله ﷺ؟، قالوا: أقاموا ابنك مقامه، قال: أفرضيت بنو عبد مناف؟ قالوا: نعم، قال: أفرضيت بنو المغيرة؟ قالوا: نعم، قال: ودانت لرجل من تيم؟ قالوا: نعم، قال: لا مانع

(١) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي: البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، ط١، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م، ج٥، ص ٢٦٨.

(٢) ابن قتيبة الدينوري: الإمامة والسياسة، ص ١٤.

(٣) بشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بن زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج، شهد بدرًا وأحدًا، والمشاهد كلها؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص ١٠٨.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص ١٩٣؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٢، ص ٤٨٨.

(٥) ابن الأثير، المصدر السابق، ج٢، ص ١٩٣، ١٩٤.

(٦) ابن قتيبة الدينوري، المصدر السابق، ص ١٤.

لما أعطى الله؛ وهكذا تعجب أبو قحافة من رجوع القوم في تولية أبي بكر إلى الدين والإسلام، دون الأحساب والأنساب(١).

هذه هي ملامح اجتماع السقيفة، التي تكاد المصادر السنية تتفق في إيراد تفاصيلها، ومن المهم أن نعرض لبعض الأمور التي نستطيع أن نستقيها من أحداث السقيفة، وهي:

أولًا: أن الخلاف داخل السقيفة كان أول خلاف بين المسلمين عقب وفاة الرسول ﷺ، ويعلق عليه الإمام الأشعري قائلًا: "وأول ما حدث من الاختلاف بين المسلمين بعد نبيهم ﷺ اختلافهم في الإمامة"(٢)، ولكن هذا الاختلاف كان اختلافًا سياسيًّا محضًا، ولم يكن اختلافًا دينيًّا(٣)، وكان سببه نظر الأنصار إلى الخلافة من زاوية محدودة، مرتبطة بظروف المجتمع المدني القبلية، أما المهاجرون فنظروا نظرة أوسع إلى الدولة، وما قد يترتب على خروج السلطة من قريش التي يمكن أن يرضى العرب بحكمها، إلى الأنصار التي لن تجتمع العرب تحت رايتهم إذا ما سيطروا على الخلافة(٤).

وقد أثبتت الأيام صحة رأي أبي بكر بشأن قريش، فقد رُوي أن طلحة النَّمِريّ - وكان من كبار أتباع مسيلمة باليمامة - قال لمسيلمة الكذاب: "أشهد أنك لكاذب، وأن محمدًا لصادق؛ ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر"(٥)، فإذا كانت القبائل العربية قد رفض بعضها الانضواء تحت السيطرة القرشية باختيار أبي بكر، على الرغم من أنهم كانوا أمراء تقليديين في نظر أكثر العرب؛ فكيف لو كان الخليفة من الخزرج؟!

---

(١) القاضي عبد الجبار: المغني (جزء تثبيت أبواب النبوة)، ص ٢٧١، ٢٧٢؛ عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي، وعيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م، ج١، ص ٢١٩.

(٢) أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري: مقالات الإسلاميين، تحقيق: محمد محيي الدين، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٤١١هـ = ١٩٩٠م، ج١، ص ٣٩.

(٣) مصطفى حلمي: نظام الخلافة في الفكر الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، الجمهورية اللبنانية، ط١، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م، ص ٣٨.

(٤) أكرم ضياء العمري: عصر الخلافة الراشدة، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، بدون تاريخ، ص ٤٩.

(٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٢٠؛ تقي الدين المقريزي: إمتاع الأسماع، ج١٤، ص ٥٢٩.

ثانيًا: بعد أن بايع بشير بن سعد، قال أسيد بن حُضير[١] - وكان من نقباء الأوس: "والله لإن وليتها الخزرج مرة ما زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم معهم نصيبًا أبدًا، فقوموا فبايعوا أبا بكر"، فلما بايعوه انكسر لسعد والخزرج ما أجمعوا عليه[٢]، بعد أن كرهت الأوس إمارة الخزرج[٣]؛ وهكذا فإن العصبية القبلية وخوف الأوس من أن يتولاها أحد الخزرج فيفخر عليهم، كانت سببًا في فشل الخزرج في تولية سعد، فإذا أضفنا إلى ذلك موقف عويم بن ساعدة ومعن بن عدي الأوسيين، ورغبتهما في أن يقضي المهاجرون أمرهم بينهم، دلنا ذلك على أن الأوس لم يكن منهم طامع أو متطلع لمنصب الخليفة؛ فأدى ذلك إلى ضعف موقف الأنصار في طلبهم لمنصب الخلافة.

ثالثًا: اختلف كثير من المؤرخين في تصوير ما حدث في السقيفة، فبعضهم يصوره على أنه خلاف عاصف، كاد يودي بدولة الرسول ﷺ الناشئة، فنجد بروكلمان يقول: "حتى إذا لحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى، نشأت في المدينة منازعات حزبية، كادت تهدد كيان العرب السياسي الجديد بالانحلال التام"[٤]، في حين قال جرجي زيدان: "واشتد الجدال بين المهاجرين والأنصار حتى كاد يفضي إلى النزاع"[٥]، كما ينحى الدكتور عبد العزيز سالم منحى بروكلمان، فيقول: "ولم يتم اختيار أبي بكر إلا بعد نزاع كبير نشب بين المهاجرين والأنصار، كاد يفتت وحدة المسلمين"[٦]، ويُرجع بروكلمان ما حدث من مطالبة بعض الخزرج بتولي زمام الأمور إلى رغبة الأنصار في التحرر؛ فيقول: "كان الأنصار العريقون بالمدينة يتوقون إلى التحرر من سلطان الأغلبية المتمثلة في المهاجرين؛

(١) أسيد بن الحضير بن سماك بن عتيك بن نافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل، من الأوس، آخى النبي ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة، (ت ٢٠هـ)؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١، ص ٣٤٣.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص ١٩٤.

(٣) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٢، ص ٤٨٨.

(٤) تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ١.

(٥) تاريخ التمدن الإسلامي، مجلد١، ص ٥٨.

(٦) تاريخ الدولة العربية، ١٥٤.

ليصبحوا سادة موطنهم الوحيدين مرَّة أخرى"[١]، ويوحي إلينا رأي بروكلمان هذا وكأن هناك معارضة كانت تسعى للاستقلال بالمدينة، وهذا غير صحيح.

بينما هناك آراء أخرى تصور الأمر على أنه تم في سهولة ويسر؛ فقد قال ابن كثير: "كانت بيعة يوم السقيفة سريعة من غير نظر ولا روية؛ لأن أفضلية أبي بكر على من عداه كانت ظاهرة جلية عند الصحابة"[٢]، ويقول الدكتور الريس: "وإنما يكفي أن نقرر أن مساجلات الرأي دارت في هذا الاجتماع بحرية وفي صراحة"[٣]، ويرى المستشرق ماكدونالد: "أن اجتماع السقيفة كان يُذَكِّر - إلى حد بعيد - بمؤتمر سياسي دارت فيه المناقشات وفق الأساليب الحديثة[٤]".

ويؤيد الباحث وجهة النظر الثانية، ودليله لذلك أن المناقشات التي دارت داخل السقيفة اتسمت بطابع فريد في نوعه، فلم نجد قبلًا فصيلًا سياسيًّا يعدد مزايا وأفضال الطرف الآخر قبل أن يعرض لوجهة نظره، كما نجد أنه كان للفصيل المعارض من الأخلاق ما يردعه عن التمادي في غيه، والنزول على الحق إذا وجد فيه صالح المسلمين.

لقد علَّمنا المسلمون الأوائل كيفية الاختلاف السياسي دون الجور على الصالح العام، أو الدفاع عن وجهة النظر مهما كانت النتائج، وتَقَبُّل ما اختارته الشورى حتى لو كان على غير هوى بعض الأطراف، فهذا سعد بن عبادة، على الرغم من اعتراضه على اختيار أبي بكر خليفة للمسلمين؛ إلا أنه لم يحول اعتراضه إلى تصرف فعلي يقف به ضد هذا الاختيار الذي يرفضه، بل ظل رافضًا حتى مات، دون افتعال أي مشكلات، ما تُرِك ورأيه.

---

(١) تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٨٣.

(٢) البداية والنهاية، ج١، ص ١٢١.

(٣) النظريات السياسية الإسلامية، ص ٣٩.

(٤) ورد هذا الرأي في كتابي: محمد ممدوح العربي: دولة الرسول ﷺ في المدينة، ص ٥٤؛ مصطفى حلمي: نظام الخلافة في الفكر الإسلامي، ص ٣٩.

رابعًا: كادت المنظومة القبلية في المدينة أن تتوارى وتختفي بعد هجرة الرسول ﷺ إليها وتتابع نزول القرآن بها، وبعد أن هذبها الإسلام، حتى إذا توفي رسول الله ﷺ لاحظنا أن منظومة القبيلة التي عاشت بها المدينة من قبل تطل برأسها مرة أخرى، وكان أكثر ما ظهرت في اجتماع السقيفة، وفي تحليل الأفراد لنتائج هذا الاجتماع بالرفض أو الموافقة، ولكن لم يكن الجدال في السقيفة سجالًا بين فرق متناحرة مختلفة المصالح والتوجهات، وإنما كان بين القبائل المسلمة.

ولم تكن هذه المعايير القبلية حاضرة بين صفوف الأنصار فقط، أو بينهم وبين المهاجرين فحسب؛ بل كانت فاعلة - أيضًا - في صفوف القرشيين أنفسهم، فتذكر الروايات رفض خالد بن سعيد بن العاص القرشي فكرة اختيار أبي بكر، وكذلك أبو سفيان[١]، بعد أن علما بما أسفر عنه اجتماع السقيفة[٢]، ولكن فضائل أبي بكر، واختيار الرسول ﷺ له في إمامة الصلاة، كانت سببًا في إجماع المسلمين بالموافقة على توليه شئون الخلافة.

ولقد كانت براعة المسلمين في تفعيل النصوص التي حفظها الصحابة عن رسول الله ﷺ سببًا في أن وقى الله المسلمين الفتنة، فنجد بشير بن سعد يُقْسِم، فيقول: "وايم الله لا يُراني أنازعهم هذا الأمر أبدًا"، ويقول عبادة بن الصامت: بايعنا رسول الله ﷺ بيعة النساء على: "أن لا ننازع الأمر أهله"[٣].

---

(١) أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، رأس قريش، وقائدهم يوم أحد، ويوم الخندق، وكان من دهاة العرب، ومن أهل الرأي والشرف فيهم، وهو والد معاوية رأس الدولة الأموية، (ت - ٣١هـ)؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ١٠٥.

(٢) القاضي عبد الجبار: المغني (جزء تثبيت أبواب النبوة)، ص ٢٧١، ٢٧٢؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج١، ص ٢٢٢.

(٣) أحمد بن حنبل: مسند أحمد، ج٣٧، ص ٣٧٤؛ الديار بكري: تاريخ الخميس، ج١، ص ٣١٧.

ولقد احتج المهاجرون بوصية رسول الله بالأنصار حين قال: "أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشي وعيبتي"(١)، فقالوا: "لو كانت الإمارة لكم لما كانت الوصية بكم"(٢)، كما احتج المهاجرون بحديث الرسول ﷺ: "قريش ولاة هذا الأمر"(٣). وقد انتهى الأمر بانتصار وجهة نظر المهاجرين، بعد أن عدد أفراد السقيفة مميزات أبي بكر، وكان أهمها قولهم: "اختاره رسول الله ﷺ لديننا فاخترناه لدنيانا"(٤).

خامسًا: اتفق أهل السنة على أن نصب الخليفة فرض كفاية، وأن المطالب به أهل الحل والعقد في الأمة، ووافقهم المعتزلة والخوارج على أن الإمامة تنعقد ببيعة أهل الحل والعقد(٥)، الذين ينعقد بهم الإجماع(٦)، فمن هم أهل الحل والعقد في تلك الفترة؟ لا شك أنهم المهاجرون والأنصار، الذين نزل فيهم قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾(٧).

على أن هناك سؤالًا يطرح نفسه، وهو: هل كان من حق سعد بن عبادة أن يطمع في الخلافة وأن يترشح لها؟ والإجابة: نعم، يحق لكل مسلم أن يترشح للخلافة، ولكن الاعتراض كان على انفراد الأنصار بالاجتماع بجزء من المشهد اليثربي، ولم يشهد هذا الاجتماع جميع أهل الحل والعقد من المهاجرين والأنصار، الذين ينعقد بهم الإجماع؛ حتى إن هذا التعجل منع بني هاشم من حضور اجتماع السقيفة، مع ما لهم من حق وأهمية، ولكن موافقتهم على ما قرره أهل الحل والعقد باختيار أبي بكر أنهى الأمر.

---

(١) البخاري: صحيح البخاري، ج٥، ص ٣٥؛ ابن أبي شيبة: مصنف ابن أبي شيبة، ج٦، ص ٣٩٩.

(٢) القاضي عبد الجبار: المغني (جزء تثبيت أبواب النبوة)، ص ٢٦٩؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٢، ص ٣٥٢.

(٣) أحمد بن حنبل: مسند أحمد، ج١، ص ١٩٩؛ ابن كثير الدمشقي: البداية والنهاية، ج٥، ص ٢٦٨؛ المتقي الهندي: كنز العمال، ج٥، ص ٦٣٨.

(٤) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج١٢، ص ١٦٥.

(٥) محمد رشيد رضا: الخلافة، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، مصر، بدون تاريخ، ص ١٨.

(٦) القرطبي: تفسير القرطبي، ج٢، ص ٤٦.

(٧) آل عمران: ١٥٩.

سادسًا: علق عمر بن الخطاب على أحداث السقيفة أثناء خلافتة بقوله: "إني عَرفت أُناسًا يقولون إن خلافة أبي بكر إنما كانت فلتة[١]، وايم الله إنها كانت كذلك، ولكن الله وقى شرها، وإنه لا خلافة إلا عن مشورة[٢]، فمن بايع رجلًا من غير مشورة من المسلمين فلا بيعة له، ولا بيعة للذي بايعه تَغِرَّةَ[٣] أن يقتل[٤]"، وهكذا نرى أن موقف عمر بن الخطاب ممن يبايع لرجل على غير مشورة المسلمين أن يُقْتَل هو ومن بايعه؛ وذلك للخطورة التي قد تؤثر على وحدة المسلمين واجتماعهم.

حروب الردة:

لقد تمخضت عن وفاة الرسول ﷺ أزمة شاملة ذات بعدين، كادت تعصف بأركان الدولة الإسلامية الناشئة، ووصلت إلى حد تهديدها بالفناء، ولقد كان اختيار الخليفة هو البعد الداخلي للأزمة، أما بعدها الخارجي فكانت حروب الردة، وذلك أن بعض القبائل العربية رفضت دفع الزكاة، واعتبرت أن الزكاة ما هي إلا جزية تدفعها لقريش.

كما كانت حروب الردة حنينًا من القبائل العربية للنظام القبلي القديم، القائم على الحرية والاستقلال، فقام عدد من القبائل العربية بخلع سلطان المدينة، وطرد عمال الصدقات؛ مستهدفين من وراء ذلك عدم دفع الزكاة، التي اعتبروها إتاوة تَحُد من استقلالهم، واكتفوا من الإسلام بالصلاة، واتَّبَعُوا عددًا من المتنبئين بدافع العصبية القبلية، والرغبة في منافسة قريش في الرئاسة[٥].

---

(١) وليست الفلتة هنا هي الزلة والخطيئة؛ بل يجب أن تكون محمولة على ما نقل عن أهل اللغة من أن المراد بها: بغتة وفجأة من غير روية ومشاورة، وقد ذكر صاحب العين: أن الفلتة الأمر الذي يقع على غير إحكام. الخليل بن أحمد: معجم العين، ج٨، ص ١٢٢؛ القاضي عبد الجبار: المغني (جزء في الإمامة)، ج١، ص ٣٣٩.

(٢) البخاري: صحيح البخاري، ج٨، ص ١٦٩؛ ابن أبي شيبة: مصنف ابن أبي شيبة، ج٧، ص ٤٣١.

(٣) حديث عمر: "لا يعجل الرجل بالبيعة تغرة أن يقتل"، أي لا يَغُرَّن نفسه تغرة بدخوله في البيعة قبل اجتماع الناس في الأمر؛ خوفًا من قتله. الخليل بن أحمد، المصدر السابق، ج٤، ص ٣٤٦.

(٤) البخاري، المصدر السابق، ج٨، ص ١٦٩؛ ابن أبي شيبة، المصدر السابق، ج٦، ص ٤٥٤.

(٥) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، ص ١٦٤.

ولم تكن حركة الردة في جوهرها حركة دينية بقدر ما كانت - في الواقع - حركة سياسية، أعلت من شأن العصبية القبلية، واتخذت من مبدأ التناطح مع قريش سبيلًا لإعلاء شأن الزعامات المحلية لهذه القبائل؛ غير أن أبا بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رفض مهادنة المرتدين، وقرر أن يحارب من فرَّق بين الصلاة والزكاة، وأن يغزوهم بجيوش المهاجرين والأنصار[١]، فأرسل الجيوش لأنحاء الجزيرة العربية، واختار لها قادة من كبار الصحابة، ولم يقع اختياره على أحد من الأنصار، فقال ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي: "يا معشر قريش أما كان فينا رجل يصلح لما تصلحون له، أما والله ما نحن عُميًا عما نرى ولا صُمًّا عما نسمع، ولكن أَمَرَنا رسول الله بالصبر، فنحن نصبر"[٢].

وقام حسان بن ثابت فقال:

يـــا للرجـــال لِخِلْفَـــةِ الأَطْـــوارِ ولِـــما أرادَ القَـــوْمُ بالأَنْـــصارِ

لم يُـــدْخِلُوا منَّـــا رئيـــسًا واحـــدًا يـــا صـــاحِ في نَقْـــضٍ ولا إمْـــرارِ

فعظم على أبي بكر هذا القول، فجعل على الأنصار ثابت بن قيس، وجعل خالد بن الوليد على المهاجرين، ووجههم لقتال طُليحة[٣].

وقد كان للصحابة الخزرجيين دور مهم في قتال المرتدين، ويتجلى هذا الدور واضحًا في كل من حروب الردة باليمن واليمامة.

حرب الردة باليمن:

كان رسول الله ﷺ قد ولى زياد بن لبيد البياضي الخزرجي[٤] رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حضرموت، ثم ضم إليه كِنْدَة، وكان زياد رجلًا حازمًا صليبًا[٥]، واستعمل عمرو بن حزم الخزرجي النجاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على أهل نجران، وهو ابن سبع عشرة سنة؛ ليفقههم في الدين ويعلمهم

---

(١) القاضي عبد الجبار: المغني (جزء تثبيت أبواب النبوة)، ص ٢٧٢.

(٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ١٤٥.

(٣) نفسه، ج٢، ص ١٤٥.

(٤) زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدي بن أمية، من بني بياضة، وقد توفي في أول خلافة معاوية؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص ٣١٩.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٣٩.

القرآن، ويأخذ صدقاتهم، وذلك سنة عشر للهجرة بعد أن أسلموا، وكتب لعمرو كتابًا فيه الفرائض والسنن والصدقات والديات[١]، وولى معاذ بن جبل الخزرجي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على الجُنْد[٢]، وصير إليه القضاء، وقبض جميع الصدقات باليمن[٣]؛ كما كان معاذ معلمًا يتنقل في عماله ﷺ باليمن وحضرموت[٤].

وكتب رسول الله ﷺ إلى زرعة بن ذي يزن[٥] قائلًا: "أما بعد، فإذا أتاكم رسولي معاذ بن جبل وأصحابه، فاجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية فأبلغوه ذلك؛ فإن أمير رسلي معاذ، وهو من صالحي من قِبَلي "[٦].

ولقد أقر أبو بكر بعد وفاة الرسول ﷺ زياد بن لبيد على حضرموت، ثم كتب إليه بولاية كندة والصدف[٧]، وكتب أبو بكر إلى زياد في قتال من ارتد باليمن ومنع الزكاة، فغزا ملوك كندة، وسبى النَّعم وسبايا كثيرة، كما ساعد زياد والي صنعاء المهاجر بن أمية ضد الأسود العنسي، أحد المتنبئين باليمن[٨].

أحداث الردة شرق الجزيرة العربية:

كانت العصبية القبلية سببًا في خروج الكثير من القبائل على سلطان المدينة بعد وفاة الرسول ﷺ، فاستغلظ أمر طليحة الأسدي، واجتمع عليه عوام طيئ، وأسد، وارتدت غطفان تبعًا لعيينة بن حصن، بعد أن قال: "نبي من الحليفين – يعني أسد وغطفان –

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٢، ص ٩١؛ ابن حجر: الإصابة، ج٤، ص ٢٩٣.

(٢) **الجُنْد:** من أعمال اليمن، وفيها ثلاثة وثلاثون منبرًا قديمة، وبها مسجد بناه معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ البكري: معجم ما استعجم، ج١، ص ٣٩٧؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص ١٦٩.

(٣) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ١٤٩.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٩٤.

(٥) زرعة بن سيف بن ذي يزن، من سادات حمير باليمن، وكان قد أسلم وراسل الرسول ﷺ. ابن عبد البر: المصدر السابق، ج١، ص ٣٠٩؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج٢، ص ٣١٧.

(٦) أبوعبيد القاسم بن سلام: الأموال، ج١، ص ٣٠٦؛ حميد بن زنجويه: كتاب الأموال، ص ٤٦٥، ٤٦٦.

(٧) البلاذري: المصدر السابق، ص ٩٣.

(٨) اليعقوبي: المصدر السابق، ج٢، ص ١٤٩.

أحب إلينا من قريش، وقد مات محمد وطليحة حي"[١]، فعقد أبو بكر لخالد بن الوليد على الجيش، وجعل ثابت بن قيس الخزرجي على الأنصار، ووجهه إلى طليحة، وأمره أن يصمد له، فسار خالد واقتتلوا قتالًا شديدًا، وهزم الله طليحة وفر إلى الشام[٢].

ولقد وجه أبو بكر خالد بن الوليد لقتال مسيلمة الكذاب، وجعل على الأنصار ثابت ابن قيس بن شماس الخزرجي - خطيب الرسول - (ت ١١هـ)، ولما بلغ مسيلمة دنو خالد خرج وضرب عسكره بعقرباء[٣]، ثم تقابل الجيشان في اليمامة، واشتد القتال، وكانت حربًا لم يلق المسلمون حربًا مثلها قط، وانهزم المسلمون، وخلص بنو حنيفة قوم مسيلمة إلى فسطاط خالد فأزالوه[٤]، قال أنس بن مالك الخزرجي (ت ٩٣هـ - على الرأي الراجح): "لما انكشف الناس يوم اليمامة، وجدت ثابت بن قيس يتحنط ويلبس أكفانه، ثم يقول: ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله، اللّٰهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء - يعني الكفار - وأبرأ إليك مما يصنع هؤلاء - يعني المسلمين - وقاتل حتى قتل"[٥].

وقاتل البراء بن مالك الخزرجي النجاري (ت ٢٠هـ)، وأبو دجانة الخزرجي الساعدي (ت ١١هـ) قتالًا شديدًا، وتغير ميزان المعركة، وهزمت بنو حنيفة، ولجأت إلى حديقة لها، فقال البراء بن مالك: "يا معشر المسلمين ألقوني عليهم في الحديقة"، فلما ألقوه قاتل على الباب حتى فتحه للمسلمين، وخرج وبه بضع وثمانون جراحة؛ ما بين رمية بسهم وضربة بسيف، فأقام خالد عليه شهرًا يداويه[٦].

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٠٥.

(٢) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، السعودية، ط٢، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م، ص ١٠٢.

(٣) **عقرباء:** منزل من أرض اليمامة، وهو لقوم من بني عامر بن ربيعة؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص ١٣٥.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص ٢٨٩؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٢١.

(٥) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٤، ص ٣٤٥؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج١، ص ١٢٥؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج١، ص ٤٥٢؛ ابن حجر، الإصابة، ج١، ص ٢٠٤.

(٦) ابن عبد البر، المصدر السابق، ج١، ص ٩٨؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص ٣٦٤.

وقتل مسيلمة في الحديقة، وقد قال بعض الأنصار إن الذي قتله هو عبد الله بن زيد (ت ٣٢هـ) [١]، أحد بني الحارث بن الخزرج، وهو الذي أُرِيَ الأذان، وبعضهم يقول قتله أبو دُجانة سِمَاك بن خَرَشَة ثم استشهد[٢]، وهناك من يقول قتله عبد الله بن زيد (ت ٦٣هـ)، أخو حبيب بن زيد من بني مبذول ثم من بني النجار، وكان مسيلمة قد قطع يدي حبيب ورجليه، وهناك من يقول قتله وَحْشِي بن حرب قاتل حمزة بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ، وعلى الأرجح أنهم جميعًا اشتركوا في قتله، ولكن وَحْشِيًّا هو الذي أجهز عليه[٣].

وقد استشهد من الأنصار في موقعة اليمامة (١١هـ) ما ينيف على الثلاثمائة وستين[٤]، وقيل إن هذا العدد من المهاجرين والأنصار، وقد قتل من الخزرج ما لا نستطيع إحصاءهم، منهم من بني الحارث بن الخزرج: ثابت بن قيس خطيب الرسول ﷺ، وبشر بن عبد الله الأنصاري، ومن بني الحُبْلَى: عبد الله بن عبد الله بن أبيّ بن سلول، ومن بني سالم: ثابت بن هزال وإياس بن ودقة، وهما بدريان[٥].

وقتل من بني ساعدة في موقعة اليمامة (١١هـ): أبو دُجانة سِمَاك بن خَرَشَة، شهد بدرًا وأُحًدا، وكان أحد الشجعان، وأسعد بن يربوع[٦]، وسعد بن جارية[٧]، ومن بني سلمة:

(١) عبد الله بن زيد بن عبد ربه بن ثعلبة، شهد بدرًا، وهو الذي أُرِيَ الأذان. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٣٧٦.

(٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ١٤٩.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٢١.

(٤) عبد الرحمن بن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٢، ص ٥٠٣.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص ٢٩٦.

(٦) أسعد بن يربوع الأنصاري الساعدي، قتل يوم اليمامة شهيدًا (١١هـ)؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج١، ص ٢٠٨.

(٧) سعد بن جارية بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج، شهد أُحدًا وما بعدها، وقتل باليمامة (١١هـ)؛ ابن حجر: الإصابة، ج٣، ص ٧٣؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج٢، ص ٤٢٥.

عقبة بن عامر بن نابي[١]، شهد العقبة وبدرًا، وحضر المشاهد كلها، ومن بني مالك بن النجار: عمارة بن حزم[٢]، شهد العقبة وبدرًا وأحدًا والخندق وسائر المشاهد، ويزيد بن ثابت بن الضحاك[٣]، وفروة بن النعمان[٤]، ومن بني زريق: عائذ بن ماعص الزرقي[٥].

وقد اختلف المؤرخون في عدد من استشهد في موقعة اليمامة، فأقل ما ذكروا سبعمائة، وأكثر ما ذُكِرَ في ذلك ألف وسبعمائة، وقال بعضهم إن عدتهم ألف ومائتان[٦].

كما استشهد في اليمامة عدد كبير من القُراء، حتى قال عمر: "إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يذهب قرآن كثير، وأرى أن نجمع القرآن[٧]"، فأرسل أبو بكر إلى زيد بن ثابت، فقال أبو بكر: يا زيد بن ثابت، إنك غلام شاب عاقل لا

(١) عقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي، شهد العقبة الأولى، وبدرًا وأحدًا والخندق وسائر المشاهد، واستشهد باليمامة (١١هـ). ابن حجر: الإصابة، ج٤، ص ٢٥١.

(٢) عمارة بن حزم بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي، كان من السبعين، شهد بدرًا وأحدًا والخندق وسائر المشاهد، وكانت معه راية بني مالك بن النجار في غزوة الفتح، وقتل باليمامة شهيدًا (١١هـ)؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٢، ص ٧٢، ٧٣؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج٤، ص ١٣٠.

(٣) يزيد بن ثابت زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار، شهد بدرًا، وقيل: بل شهد أحدًا، رُمي بسهم يوم اليمامة فمات في الطريق راجعًا؛ ابن عبد البر، المصدر السابق، ج٢، ص ٣٤٦.

(٤) فروة بن النعمان بن الحارث بن النعمان بن يساف الأنصاري الخزرجي، من بني مالك بن النجار، قتل يوم اليمامة شهيدًا (ت ١١هـ)، وكان قد شهد أحدًا وما بعدها من المشاهد؛ ابن عبد البر، المصدر السابق، ج٢، ص ١٤٣.

(٥) عائذ بن ماعص بن قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق، الأنصاري الخزرجي ثم الزرقي، شهد بدرًا، وقتل عائذ يوم اليمامة شهيدًا، وقيل: إنه استشهد يوم بئر معونة؛ خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ص ١١٤، ١١٥؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٢٥، ١٢٦؛ ابن عبد البر، المصدر السابق، ج٢، ص ٤٨١.

(٦) البلاذري: المصدر السابق، ص ١٢٥، ١٢٦.

(٧) أبو عبد الله البخاري: صحيح البخاري، ج٦، ص ٧١؛ محمد بن إسحاق النديم: الفهرست، ج١، ص ٢٧.

نتهمك، قد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه[١]، قال زيد: "فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان بأثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن[٢]، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة بن ثابت الأنصاري، لم أجدها مع أحد غيره: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٣]، حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله تعالى، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة زوج الرسول ﷺ[٤].

***

(١) أحمد بن حنبل: مسند أحمد، ج١، ص ٢٢٤؛ محمد بن إسحاق النديم، المصدر السابق، ج١، ص ٢٧.

(٢) أحمد بن حنبل، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٨.

(٣) التوبة: ١٢٨.

(٤) المقريزي: إمتاع الأسماع، ج٤، ص ٢٤٤؛ الطبراني: المعجم الكبير، ج٥، ص ١٤٦.

٢- قبيلة الخزرج في عهد عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

شعر أبو بكر الصديق بدنو أجله، فأراد أن يجنب المسلمين تكرار ما حدث في السقيفة، فاختار عمر بن الخطاب خليفة للمسلمين، بعد أن استشار كبار الصحابة، وقد كان للصحابة الخزرجيين في عهد عمر دور اضطلعوا به، وأدوه على أحسن الوجوه، ولم يكن هذا الدور سياسيًّا فقط؛ بل كان علميًّا أيضًا؛ فهذا أبيّ بن كعب النجاري سيد القراء، روى عنه عمر، وكان يهابه ويستفتيه[١]، ويسأله في النوازل، ويتحاكم إليه في المعضلات[٢]، وهو الذي قال فيه الرسول ﷺ: "أقرأ أمتي لكتاب الله أبيّ بن كعب"[٣]، فجعله عمر إمامًا للمسلمين عندما جمع الناس على صلاة القيام في رمضان[٤].

كما استخلف عمر بن الخطاب زيد بن ثابت على المدينة ثلاث مرات؛ في الحجتين، وفي خروجه للشام، وقد قال زيد: "كان عمر يستخلفني على المدينة، فوالله ما رجع من مغيب قط إلا قطع لي حديقة من نخل"[٥]، كما استعمله عمر على القضاء وفرض له رزقا[٦]. قال الإمام الزهري: "كان زيد بن ثابت مترئسًا بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض في عهد عمر وعثمان وعلي"، وقال ابن المسيب: "لا أعلم لزيد بن ثابت قولًا لا يُعمل به، مجمع عليه في الشرق والغرب أو يَعمل به أهل مصر"[٧].

---

(١) الذهبي: تذكرة الحفاظ، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م، ج١، ص ١٨.

(٢) ابن حجر: الإصابة، ج١، ص ١٦.

(٣) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص ٤٩.

(٤) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ص ١٥٩.

(٥) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٥، ص ٣١٣.

(٦) نفسه، ج٢، ص ٣١٠؛ خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ص ١٥٣، ١٥٤؛ ابن عبد البر، المصدر السابق، ج١، ص ٤٩.

(٧) ابن سعد، المصدر السابق، ج٢، ص ٣١٠، ٣١١.

وكان يزيد بن أبي سفيان قد كتب إلى عمر قائلًا: "قد احتاج أهل الشام إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم"، فأرسل عمر ثلاثة من الخزرج، معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت (ت ٣٤هـ)، وعويمر أبو الدرداء (ت ٣٢هـ)، فوزعهم يزيد على أنحاء الشام[١]؛ كما كان عمر يقدر رأي معاذ بن جبل ويأخذ به، فلما أراد عمر قسمة أرض السواد التي فتحت عنوة بين المسلمين، قال له معاذ بن جبل: "والله لئن قسمتها ليكونن ما نكره، ويصير الشيء الكثير في أيدي القوم، ثم يبيدون فيبقى ذلك لواحد، ثم يأتي بعدهم قوم فلا يجدون شيئًا، فانظر أمرًا يسع أولهم وآخرهم"، فصار عمر إلى قول معاذ، ورفض أن يوزع أرض السواد المفتوحة عنوة[٢]، وجعلها وقفًا على المسلمين، وكان أبو عبيدة بن الجراح قد استعمل معاذ بن جبل عندما كان واليًا على الشام على ميمنة الجيش في فتح الأردن[٣]، واستخلفه أبو عبيدة لـمَّا احتضر، فمات من عامه ذلك في طاعون عمواس سنة ثمانية عشرة هجرية[٤].

وقد استعان عمر بالصحابة الخزرجيين، فبعث مسلمة بن مخلد بن الصامت عاملًا على صدقات بني فزارة[٥]، وولي عويمر أبو الدرداء على دمشق[٦]، ثم ولَّى أبو عبيدة بن الجراح والي الشام عبادة بن الصامت على حمص، فأتى اللاذقية، فقاتل أهلها وفتحها عنوة ودخل حصنها، وبنى بها مسجدًا جامعًا، ثم فتح مدينة تسمى بَلْدَة[٧]، وتوجه إلى أَنْطَرْطُوس وجَبَلَة – من مدن الشام – ففتحها، ولما ولي معاوية الشام، جعل أبا الدرداء

---

(١) ابن حجر: الإصابة، ج٤، ص ٢٨.

(٢) أبو عبيد القاسم بن سلام: الأموال، ج١، ص ١٢٢، ١٢٣؛ حميد بن زنجويه: كتاب الأموال، ص ١٩٦، ١٩٧؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٠٦، ٢٠٧.

(٣) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ص ١٥٩.

(٤) البلاذري، المصدر السابق، ص ١٩٠؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٢، ص ٢٣٦.

(٥) شمس الدين الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ٤٢٥.

(٦) البلاذري، المصدر السابق، ص ١٩٠؛ ابن عبد البر، المصدر السابق، ج٢، ص ١٢٤.

(٧) **بَلْدَة:** مدينة من مدن ساحل بحر الشام، قريبة من جبلة، من فتوح عبادة بن الصامت؛ ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص ٤٨٣.

على قضاء دمشق والأردن وصلاتها، وولى عبادة بن الصامت قضاء حمص وقِنَّسرين وصلاتهما[(١)].

كما أرسل عمار بن ياسر (ت ٣٧هـ) - وهو يومئذ عامل عمر بن الخطاب على الكوفة - جيشًا تحت إمرة سعد بن عمرو بن حرام الخزرجي لفتح ما فوق الأَنْبَار، ففتح المنطقة سلمًا بعد أن طلب أهلها الأمان فأمنهم[(٢)]؛ أما عبد الرحمن بن سهل بن زيد الخزرجي الحارثي، فقد استعمله عمر بن الخطاب على البصرة بعد موت عتبة بن غَزْوان[(٣)].

وقد كان للصحابة الخزرجيين دور مهم في الفتوحات الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب؛ ففي موقعة الجسر استشهد الكثير من الخزرجيين، منهم: قيس بن السكن النجاري، شهد بدرًا، وهو أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ[(٤)]؛ كما قتل عقبة وعبد الله وعباد، وهم أبناء قيظي بن قيس الخزرجي، من بني لوذان[(٥)].

وهذا البراء بن مالك بن النضر الأنصاري (ت ٢٠هـ) أخو أنس بن مالك، أحد الفضلاء ومن الأبطال الأشداء، قتل من المشركين مائة رجل مبارزة سوى من شارك فيه، وقد كتب عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لقواده ألا تستعملوا البراء بن مالك على جيش من جيوش المسلمين؛ فإنه مهلكة من المهالك يقدم بهم[(٦)]، وقد قال رسول الله ﷺ: "كم ضعيف مستضعف ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره، منهم البراء بن مالك"[(٧)]، فلما كان يوم تُسْتَر من بلاد فارس أوجع المشركون في المسلمين، وكان البراء قائدًا على ميمنة الجيش[(٨)]، فقالوا له: يا براء، أقسم على ربك فقال: "أقسمت عليك يا رب

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٨٠، ١٨٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٣٤٠.

(٢) البلاذري: المصدر السابق، ص ٢٤٦.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٧، ص ٢٣٢.

(٤) ابن الأثير: المصدر السابق، ج٢، ص ٢٨٨؛ البلاذري، المصدر السابق، ص ٣٥٢.

(٥) ابن الأثير: أسد الغابة، ج٣، ص ١٥٤.

(٦) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص ٩٨؛ ابن حجر: الإصابة، ج١، ص ١٤٨.

(٧) ابن عبد البر، المصدر السابق، ج١، ص ٩٨؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج٢، ص ٣٦٤.

(٨) البلاذري، المصدر السابق، ص ٥٣٥.

إلا منحتنا أكتافهم وألحقتني بنبي الله ﷺ"، فمنحُوا أكتافهم وقتل البراء بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شهيدًا سنة عشرين في قول الواقدي، وقيل: سنة تسع عشرة[١]، وكان قرظة بن كعب الأنصاري الحارثي على خيالة المسلمين في تُسْتَر، كما اشترك البراء بن عازب الحارثي الخزرجي[٢] في هذه الموقعة، وله دور فيها[٣].

كما شهد سماك بن خرشة الأنصاري الخزرجي - وليس بأبي دجانة - وقعة القادسية[٤]، ثم اشترك في فتح همدان، وكان له دور فيها، كما ذكر في فتوح الري[٥]، ثم بعثه والي الري على رأس مدد إلى بكير بن عبد الله الزهري، قائد جيش المسلمين في فتح أذربيجان، وبعد أن جمع عمر أذربيجان لعتبة بن فرقد، أقر عتبة سماك بن خرشة على جزء من أذربيجان[٦].

***

---

(١) ابن الأثير: أسد الغابة، ج٢، ص ٣٦٤؛ ابن حجر: الإصابة، ج١، ص ١٤٨.

(٢) هو البراء بن عازب بن حارث بن عدي بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث، الحارثي الخزرجي؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص ٩٩.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٥٣٥.

(٤) ابن حجر، المصدر السابق، ج٣، ص ١٢٨.

(٥) **الري:** بفتح أوله وتشديد ثانيه، وهي قريبة من قزوين وزنجان في بلاد فارس، وهي أقرب إلى خراسان؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص ١١٦.

(٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص ١٩٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٤٢٩.

٣- قبيلة الخزرج في عهد عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أجمع المسلمون الأوائل على الانقياد لأبي بكر وعمر، واستطاع متكلمو أهل السنة إثبات صحة إمامتيهما، وانعقد الإجماع على ذلك، بيد أن كلًّا منهما تولى الخلافة بطريقة مغايرة للآخر؛ فبينما تم اختيار الصاحب الأول بطريقة الانتخاب، تولاها الخليفة الثاني بواسطة العهد.

أما الخليفة الثالث فقد تولاها عن طريق الانتخاب والتعيين معًا، وذلك أنه لما طُعن عمر بن الخطاب قيل له: يا أمير المؤمنين لو استخلفت، فقال: "لو كان أبو عبيدة حيًّا لاستخلفته، ولكن عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله ﷺ إنهم من أهل الجنة، وصير الأمر إلى عليّ وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص والزبير بن العوام وطلحة بن عُبيد الله؛ ليختاروا منهم رجلًا"[١]، ثم دعا أبا طلحة الأنصاري الخزرجي - زيد بن سهل - فقال له: قم على بابهم أنت وخمسون من الأنصار، فلا تدع أحدًا يدخل إليهم، وأوصي الخليفة من بعدي بالأنصار، أن يحسن إلى محسنهم، ويعفو عن مسيئهم[٢]، فتم اختيار عثمان بن عفان لتولي أمور الخلافة.

وقد علق عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على هذا الاختيار قائلًا: "إن الناس ينظرون إلى قريش وقريش تنظر إلى بيتها، فتقول إن ولي عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم أبدًا، وما كانت في غيرهم من قريش تداولتموها بينكم"[٣].

ولما كان في نحو ثلاثين من الهجرة في خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حضر حذيفة بن اليمان فتح أرمينية وأذربيجان، فرأى الناس يختلفون في القرآن، ويقول أحدهم للآخر قراءتي أصح من قراءتك، فأفزعه ذلك وقدم على عثمان، فقال: "أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا

(١) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ص ١٨٤.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص ٢٢٩؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٤٦١.

(٣) الطبري، المصدر السابق، ج٤، ص ٢٣٣.

اختلاف اليهود والنَّصارى"، فأرسل عثمان إلى حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها، وشكل لجنة لكتابة مجموعة من المصاحف، وكان أهم أعضائها "زيد بن ثابت الخزرجي". وقال عثمان للرهط القرشيين: "إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم"(١)، فهذا المصحف على قراءة زيد، ثم وزعت نسخ هذه المصاحف على الأمصار فَوُئدت الفتنة(٢).

ولقد سارت الفتوحات الإسلامية في عهد عثمان على ما كانت عليه من انتصارات في عهد عمر، وكان للخليفة الثالث الفضل في إنشاء أول أسطول إسلامي، استطاع أن يسيطر على النصف الشرقي لبحر الروم، وهو الأمر الذي كان عمر يرفضه ويقف ضده؛ لخوفه على المسلمين من ركوب البحر(٣).

وكانت أولى الفتوحات البحرية سيطرة المسلمين على قبرص، وذهب بعض المؤرخين إلى أن ذلك كان سنة سبع وعشرين للهجرة، وذهب آخرون إلى أن ذلك كان سنة ثلاث وثلاثين(٤)، ولقد وافق عثمان على هذه الحملة، قائلًا لمعاوية: "لا تنتخب الناس ولا تقرع بينهم، خيرهم فمن اختار الغزو طائعًا فاحمله وأَعِنْه"(٥).

وكان "عبادة بن الصامت الخزرجي" ممن غزا قبرص، ومعه امرأته أم حرام بنت مِلحان الخزرجية النجارية، التي عثرت بها دابتها فقتلتها ودفنت في قبرص(٦)، واشترك بها أيضًا أبو أيوب الأنصاري النجاري، وأبو الدرداء عويمر بن عامر الحارثي، وشداد بن

---

(١) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٣، ص ٢٦٦؛ شمس الدين أبو الخير محمد ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، بيروت، لبنان، (ب - ت)، ج١، ص ٧.

(٢) ابن سعد، المصدر السابق، ج٥، ص ٣١٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٩؛ الديار بكري: تاريخ الخميس، ج١، ص ١٥.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص ٢٥٨.

(٤) نفسه.

(٥) ابن الأثير، المصدر السابق، ج٢، ص ٤٨٩.

(٦) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٠٨، ٢٠٩، وقبرها الآن قائم بقبرص التركية.

أوس بن ثابت أحد بني مَغَالَة، وهو ابن أخي حسان بن ثابت، كما كان في هذه المعركة من الأوس فضالة بن عبيد، وعُمير بن سعد[١].

وكان البراء بن عازب الخزرجي الحارثي قد افتتح الرّيَّ سنة أربع وعشرين صلحًا[٢]، ثم ولَّى عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ البراء على الرّيِّ فغزا أبهر[٣] وفتحها، ثم قزوين[٤] وملكها، ثم انتقل إلى زنجان فافتتحها عنوة[٥] - وكلها من أراضي وسط آسيا - ولم تزل الريُّ تنتفض وتفتح، حتى كان آخر من فتحها قَرظة بن كعب الخزرجي الحارثي، في عهد عثمان بن عفان[٦].

فتنة قتل عثمان:

انتهى عهد عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، الذي كان في خلافتة شديدًا على نفسه، شديدًا على عُمَّاله، شديدًا على قريش؛ فلما قتل تفرق القرشيون في الأمصار، وكان عمر يمنعهم من الخروج، فلمَّا ولي عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ سمح لهم بالخروج والتفرق في الأمصار، وفي آخر عهده وقعت الفتنة، التي يحللها الإمام الأشعري قائلًا: "وأنكر قوم عليه في آخر أيامه أفعالًا كانوا فيما نقموا عليه من ذلك مخطئين، وعن سنن المحجة خارجين، فصار ما أنكروه عليه اختلافًا إلى اليوم، ثم قتل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وكانوا في قتله مختلفين؛ فأما أهل السنة والاستقامة فإنهم قالوا كان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مصيبا في أفعاله؛ قتله قاتلوه ظلمًا وعدوانًا، وقال قائلون بخلاف ذلك، وهذا الاختلاف واقع بين الناس إلى اليوم"[٧].

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢١٠.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص ١٠٠؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج١، ص ٣٦٢.

(٣) **أبهر:** موضع مدينة مشهورة بين قزوين وزنجان؛ ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص ٨٢.

(٤) **قزوين:** مدينة مشهورة، بينها وبين الري سبعة وعشرون فرسخًا؛ نفسه، ج٤، ص ٣٤٢.

(٥) نفسه، ج١، ص ٨٣؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٢، ص ٥٦٠.

(٦) البلاذري، المصدر السابق، ص ٤٤٦.

(٧) أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج١، ص ٤٩.

على أن أبرز ظاهرة يقابلها الباحث في خلافة عثمان، هي هذا العدد الكبير من الأخطاء التي نسبت إليه؛ للنيل منه والطعن في إمامته، ويظهر القصد المتعمد في الطعن عليه عند الكثيرين، على غير أساس إلا العناد، فَعُدَّ جمع الأمصار على قراءة القرآن بلغة قريش مطعنًا، وعُدَّ تخلف عثمان عن بيعة الرضوان مطعنًا آخر، واعتُبر أمر الرسول ﷺ له بعدم حضور غزوة بدر عيبًا، على الرغم من أن رسول الله ﷺ ضرب له بسهم في الغزوة.

ولقد انقسم الصحابة الخزرجيون في فتنة عثمان كما انقسم المسلمون، فأكثرهم اعتزل الفتنة ورفض الاشتراك فيها بتأييد أحد الطرفين، في حين أن بعضهم وقف ضد عثمان، ومن هؤلاء: رفاعة بن رافع الزرقي، وكان أشد الناس على عثمان من الخزرج[١]، ومنهم: عمرو بن حزم الأنصاري[٢]، وجبلة بن عمرو الساعدي[٣]، الذي كان أول من اجترأ بالمنطق على عثمان عندما مر به عثمان فسلم فرد القوم، فقال جبلة: "لم تردون على رجل فعل كذا وكذا، وعدد مثالب اعتقدها في عثمان"[٤].

وهناك فريق آخر كان يقف إلى جوار عثمان ويدافع عنه، وقال الواقدي: "لما كانت سنة أربع وثلاثين أكثر الناس على عثمان، ونالوا منه أقبح ما نيل من أحد، وأصحاب

---

(١) ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ج١، ص ٤٢٤.

(٢) عمرو بن حزم بن زيد بن لوذان الأنصاري الخزرجي، من بني مالك بن النجار، شهد الخندق وما بعدها، واستعمله النبي ﷺ على نجران، وكتب له عهدًا مطولًا، فيه توجيه وتشريع (ت ٥٣ هـ)؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٢، ص ٩١؛ الزركلي: الأعلام، ج٥، ص ٧٦.

(٣) جبلة بن عمرو بن أوس بن عامر بن ثعلبة بن وقش بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة، شهد أحدًا، وروى ابن شبة في أخبار المدينة أنهم لما أرادوا دفن عثمان فانتهوا إلى البقيع، فمنعهم من دفنه جبلة بن عمرو الساعدي، فانطلقوا إلى حش كوكب ومعهم معبد بن معمر فدفنوه فيه؛ ابن حجر: الإصابة، ج١، ص ٢٣٣.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص ٣٣٦؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٥٨.

رسول الله ﷺ يرون ويسمعون، ليس فيهم أحد ينهى ولا يذب إلا نُفَير، منهم: زيد بن ثابت[١]، وأبو أسيد الساعدي[٢]، وكعب بن مالك[٣] الشاعر، وحسان بن ثابت"[٤].

ولقد توافد على المدينة من ثاروا على عثمان، فجاء إليها أهل مصر وأهل الكوفة وأهل البصرة، ونزلوا في ذي خُشُب على مقربة من المدينة، واستطاع علي بن أبي طالب أن يكتب بين الثوار وعثمان كتابًا، على أن يردَّ كل مظلمة، ويعزل كل عامل كرهوه، على أن يتم هذا الأمر في ثلاث، فلما مضت الأيام الثلاثة ولم يُغَيِّر عثمان شيئًا مما كرهوه، ولم يعزل عاملًا ثار به الناس، خرج عمرو بن حزم الأنصاريّ الخزرجي حتى أتى المصريين وهم بذي خُشُب، فأخبرهم الخبر، وسار معهم حتى قدموا المدينة[٥]، وتم منع عثمان من الصلاة بالناس في المسجد، فدعا عليّ بن أبي طالب خالد بن زيد ليصلي بالناس، وكان هذا أول يوم عرف الناس أن اسم أبي أيوب الأنصاري هو خالد بن زيد[٦].

وهاجم الثوار دار عثمان، فدافع عنه مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وغيرهم، فحمل رفاعة بن رافع الزُّرقي على مروان بن الحكم فضربه فصرعه، فنزل عنه وهو يرى أنه قتله، فلم يزل الناس يقتتلون حتى فتح عمرو بن حزم الأنصاري الخزرجي باب داره وهو إلى جنب دار عثمان بن عفان، ثم نادى الناس فأقبلوا عليه، وتسوروا منزل عثمان،

---

(١) زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار، الإمام الكبير، شيخ المقرئين والفرضيين، مفتي المدينة، كاتب الوحي، حدث عن النبي ﷺ وعن صاحبيه، وقرأ عليه القرآن بعضه أو كله، ومناقبه جمة، (ت ٤٥هـ)؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٤٢٦، ٤٢٧.

(٢) أبو أسيد الساعدي مالك بن ربيعة بن البدن، من كبراء الأنصار، شهد بدرًا، والمشاهد كلها، وكانت معه راية بني ساعدة يوم الفتح (ت ٦٠هـ)؛ نفسه، ج٢، ص ٥٣٨.

(٣) كعب بن مالك بن أبي كعب عمرو بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة الخزرجي، العقبي، شاعر رسول الله ﷺ وصاحبه، وأحد الثلاثة الذين خلفوا، فتاب الله عليهم؛ نفسه، ج٢، ص ٥٢٣.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص ٣٣٧؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٦٢.

(٥) الطبري، المصدر السابق، ج٤، ص ٣٧٠، ٣٧١.

(٦) نفسه، ج٤، ص ٤٢٣.

فقاتلوا من في جوف الدار حتى هزموهم، وبقي عثمان في أناس من أهل بيته وأصحابه فقتلوا معه[١].

هذا، وقد أكدت المصادر على أنه قتل في ذي الحجة، واختلفوا في سنة وفاته، فذهب بعضهم إلى أن ذلك كان سنة خمسة وثلاثين، وذهب آخرون إلى أنه كان سنة ستة وثلاثين من الهجرة[٢]، ولـمَّا أراد الصحابة مواراة عثمان بالبقيع منعهم جبلة بن عمرو الساعدي، وأسلم بن أوس بن بجرة الخزرجي الساعدي[٣]، فدفن عثمان بأرض يقال لها (حُشّ كَوكَب)[٤]، كان عثمان قد اشتراها فزادها في البقيع[٥]، وكان أول من دُفِنَ هناك[٦].

وقد وقف إلى جانب عثمان عدد من الخزرجيين، كان أهمهم زيد بن ثابت، وكان على بيت المال في خلافة عثمان[٧]، وكان عثمان يستخلفة إذا حج، وقد ورد عن ابن عبد البر أنه قال: "كان عثمان يحب زيدًا، وكان زيد عثمانيًّا"[٨]، فجاء إلى عثمان فقال: "هذه الأنصار بالباب يقولون إن شئت كنا أنصارًا لله مرتين"، فقال عثمان: "أما القتال فلا"[٩].

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص ٣٨٢، ٣٨٣.

(٢) ابن قتيبة: المعارف، ص ١٩٧؛ الطبري: المصدر السابق، ج٤، ص ٤١٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٦٨، ٦٩.

(٣) أسلم ابن بجرة بن الحارث بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة الخزرجي؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج١، ص ٢١٢؛ ابن حجر: الإصابة، ج١، ص ٣٦.

(٤) **الحُشّ**: البستان في اللغة، ويقرأ بفتح أوله أو بضمه، وجمعها حُشَّان، وكوكب: رجل من الأنصار، وهي موضع بجوار البقيع؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص ٢٦٢.

(٥) ابن قتيبة: المصدر السابق، ص ١٩٧.

(٦) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٣، ص ٧٣.

(٧) الكتاني: التراتيب الإدارية، ج١، ص ١٥٤.

(٨) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص ٣٢٢.

(٩) ابن سعد، المصدر السابق، ج٣، ص ٦٦.

وكان كعب بن مالك الخزرجي من أصحاب عثمان، وحرض الأنصار على نصرته[١]، وكان عثمان قد استعمله على صدقات مزينة، وترك له ما أخذ منهم، ولما قتل عثمان، قعد عن نصرة عليّ، فلم يشهد حروبه[٢].

وليس أدل على وجود المؤيدين لعثمان من قول الطبري وابن الأثير في بيعة علي بالخلافة: "وبايعت الأنصار عليًّا إلا نفيرًا يسيرًا، منهم: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، ومسلمة بن مخلد[٣]، وأبو سعيد الخدري[٤]، والنعمان بن بشير[٥]، وزيد بن ثابت، وهؤلاء من الخزرج، ومحمد بن مسلمة[٦]، ورافع بن خديج[٧]، وفضالة بن عبيد[٨]، من الأوس، وكعب بن عجرة[١] حليف الخزرج، وكانوا عثمانية"، أما النعمان بن بشير فإنه

---

(١) الزركلي: الأعلام، ج٥، ص ٢٢٨.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٨٢.

(٣) مسلمة بن مخلد بن الصامت بن نيار بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج، كان من أمراء معاوية نوبة صفين، ثم ولاه إمارة مصر سنة (٤٧ هـ)، ثم أضاف إليها المغرب، ثم تولى ليزيد إمرة مصر، وتوفي سنة (٦٢هـ)؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ٣٢٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ٤٢٤، ٤٢٥؛ ابن حجر: الإصابة، ج٦، ص ٩٧، ٩٨؛ الزركلي، المصدر السابق، ج٧، ص ٢٢٤.

(٤) سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر، والأبجر هو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج، الإمام، المجاهد، مفتي المدينة، شهد الخندق وبيعة الرضوان، وغزا مع رسول الله ﷺ اثنتي عشرة غزوة، وكان ممن حفظ عن رسول الله ﷺ سننًا كثيرة، وروى عنه علمًا جمًّا، وكان من نجباء الأنصار وعلمائهم وفضلائهم، وتوفي سنة (٧٤هـ)؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص ٣٦١، ٣٦٢؛ الذهبي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٦٨.

(٥) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة، صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه، ابن أخت عبد الله بن رواحة، وكان من أمراء معاوية على الكوفة مدة، ثم ولي قضاء دمشق، ثم ولي إمرة حمص، وتوفي سنة (٦٤هـ)، وقيل سنة (٦٥هـ)؛ الذهبي، المصدر السابق، ج٣، ص ٤١١، ٤١٢؛ ابن حجر، المصدر السابق، ج٦، ص ٢٤٠.

(٦) محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الخزرج بن عمرو بن مالك الأوسي الأنصاري الحارثي، توفي سنة (٦٣هـ)، وقيل سنة (٤٦هـ)؛ الذهبي، المصدر السابق، ج١٣، ص ٣٩٥.

(٧) رافع بن خديج بن رافع الأنصاري الأوسي الحارثي، صحابي، كان عريف قومه بالمدينة، وشهد أحدًا والخندق، وتوفي (٧٤هـ)؛ الزركلي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٢.

(٨) فضالة بن عبيد بن ناقد بن قيس بن صهيب بن الأصرم بن جحجبى بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، ولي الغزو لمعاوية، ثم ولي له قضاء دمشق، وكان ينوب عن معاوية في الإمرة إذا غاب، شهد فتح مصر، وولي بها القضاء والبحر لمعاوية؛ ابن عبد البر، المصدر السابق، ج٢، ص ١٤٣.

بن بشير فإنه أخذ أصابع نائلة امرأة عثمان التي قطعت، وقميص عثمان الذي قتل فيه، وهرب به، فلحق بالشام، فكان معاوية يعلق قميص عثمان وفيه الأصابع، فإذا رأى ذلك أهل الشام ازدادوا غيظًا، وجدوا في أمرهم للأخذ بثأر عثمان(٢).

وكان عُمَّال عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من الخزرج عند موته: سِمَّاك بن خَرَشَة الأنصاري على خراج السَّوَاد، وزيد بن ثابت على قضاء المدينة(٣).

وقد تتابعت قصائد الرثاء في عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وكان أهم من رثاه الشاعران الخزرجيان كعب بن مالك وحسان بن ثابت(٤)، وقد رثى كعب بن مالك عثمان بأربعة وسبعين بيتًا(٥)، وقد حفظت لنا كتب التاريخ والأدب ثلاث قصائد طوال من رثاء كعب للخليفة عثمان، صور فيها مأساة يوم الدار، وأنحى باللائمة على الأنصار، وأنَّبهم لخذلانهم خليفة رسول الله ﷺ، ووقف على مجلس الأنصار في مسجد رسول الله فأنشدهم:

مَـــنْ مُبْلِـــغُ الأنــصـارِ عنِّــيَ آيــةً ... رُسُـــــلاً تَقُـــصُّ عليهـــمُ التِّبيانـــا

أَن قـــد فَعَلْتـــم فَعْلـــة مذكـــورة ... كَـستِ الفُـضُـوح وأبـدَتِ الـشنَّآنا

بقعودكـــم في دوركـــم وأميركـــم ... تُحْــشَى ضـواحـــي دارِه النـــيرانا

يــا لَهْــفَ نفــسي إذ يقــول ألا أَرَى ... نَفَـــرًا مـــن الأنـــصار لي أعوانــا(٦)

(١) كعب بن عجرة بن أمية بن عدي البلوي، شهد المشاهد كلها، وفيه نزلت الآية: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة:١٩٦]، وسكن الكوفة، وتوفي بالمدينة سنة (٥١هـ)؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ٥٢، ٥٣؛ الزركلي: الأعلام، ج٥، ص ٢٢٧.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص ٤٢٩، ٤٣٠؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٨٢؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٢، ص ٦٠٣.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٧، ص ٢٣٩؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج٢، ص ٦٠٢.

(٤) الطبري، المصدر السابق، ج٤، ص ٤٢٤.

(٥) سامي مكي العاني: ديوان كعب بن مالك الأنصاري، بغداد، العراق، ط١، ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م، ص ١١٧.

(٦) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج١٥، ص ٢٧؛ سامي مكي العاني، ديوان كعب بن مالك، ص ١١٩.

كما أن هناك قصيدة أخرى وردت عن الشعبي، قال: لما قتل عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، رثاه كعب بن مالك الأنصاري، فقال:

عَجِبْتُ لِقَوْمٍ أَسْلَمُوا بَعْدَ عِزِّهِمْ   إِمَامَهُمْ لِلْمُنْكَرَاتِ وَلِلْغَدْرِ
فَلَوْ أَنَّهُمْ سَلِمُوا مِنَ الضَّيْمِ خُطَّةً   لَجَادَلَهُمْ عُثْمَانُ بِالْيَدِ وَالنَّصْرِ
وَلَا كَانَ نَكَّاثًا لِعَهْدِ مُحَمَّدٍ   وَلَا تَارِكًا لِلْحَقِّ فِي النَّهْيِ وَالْأَمْرِ[(١)]

كما رثى حسان بن ثابت عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في قصائده، وقد أورد الطبري أحد عشر بيتًا من قصيدتين له في رثائه، وأورد ابن الأثير ثمانية عشر بيتًا من قصائد حسان في رثاء عثمان[(٢)]، وقد ذَمَّ حسان من قتل عثمان، ومدح عثمان وذكر مآثره، ومن ذلك:

أَتَرَكْتُمُ غَزْوَ الدُّروبِ وَجِئْتُمُ   لِقِتَالِ قَوْمٍ عِنْدَ قَبْرِ مُحَمَّدِ
فَلَبِئْسَ هَدْيُ الصَّالِحِينَ هَدَيْتُمُ   وَلَبِئْسَ فِعْلُ الْجَاهِلِ الْمُتَعَمِّدِ
وَكَأَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ عَشِيَّةً   بُدْنٌ تُنَحَّرُ عِنْدَ بَابِ الْمَسْجِدِ[(٣)]

٤- قبيلة الخزرج في عهد علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

بايع صحابة رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالخلافة، وكان مؤيدو عليّ من الأنصار كُثر، فبعد أن تمت البيعة كان أول من تكلم "ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري الخزرجي"، وكان خطيب الأنصار، فأشاد بعليّ وباختيار المسلمين له، فقال: "أنت لا يخفى موضعك، ولا يجهل مكانك، يحتاجون إليك فيما لا يعلمون، وما احتجت إلى أحد مع علمك"، ثم قام خزيمة بن ثابت الأنصاري الأوسي، وهو ذو الشهادتين، فأيد اختيار المسلمين لعليّ[(٤)]، وهكذا كان هناك إجماع أوسي خزرجي على تأييده للخلافة،

(١) أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي: المجالسة وجواهر العلم، تحقيق: مشهور بن حسن، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م، ج٣، ص ٢٧. سامي مكي العاني: المصدر السابق، ص ٢١٠.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص ٤٢٤؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٧٦، ٧٧.

(٣) عبد الرحمن البرقوقي: شرح ديوان حسان بن ثابت، ص ١٠١، ١٠٢؛ عبدأ علي مهنا: ديوان حسان بن ثابت، دار الكتب العلمية، بيروت، الجمهورية اللبنانية، ط٢، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م، ص ٦٨.

(٤) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٢٠٧، ٢٠٨.

وبايع الناس عليًّا بالمدينة، وتربص سبعة نفر فلم يبايعوا، منهم: زيد بن ثابت، وبصفة عامة "لم يبق أحد من الأنصار إلا بايع فيما نعلم"(١).

ولما دخلت سنة ست وثلاثين للهجرة فرَّقَ عليٌّ عماله على الأمصار، وكانوا خمسة، منهم ثلاثة من الأنصار، وهم: عثمان بن حنيف الأوسي، وكان على البصرة، وأخوه سهل بن حنيف، وكان على الشام، وقيس بن سعد بن عبادة الخزرجي، وكان على مصر(٢).

وهكذا تدارك الخليفة الجديد ما نقمته بعض الأنصار على سياسة عثمان؛ فقد حرموا من تولي الولايات بعد أن وُعِدوا يوم السقيفة بأن يكونوا شركاء في الحكم، ولم ينس الأنصار ما كان لهم من الفضل في وصول قريش إلى السلطة، فإذا بهم يستبعدون من الوظائف الكبرى التي استأثرت بها قريش عامة، والأمويون خاصة بعد ذلك(٣).

قيس بن سعد بن عبادة واليًا على مصر:

أرسل عليٌّ قيس بن سعد واليًا على مصر، فخرج قيس في سبعة نفر من أصحابه حتى دخل ولايته، فصعد المنبر، وأمر بكتاب أمير المؤمنين فقرئ على أهل مصر، وقام الناس فبايعوا، فضبط قيس مصر واستقامت له، وبعث عليها عُمَّاله، إلا قرية يقال لها (خِرْبِتَا(٤)) فيها أناس قد أعظموا قتل عثمان، فهادنهم، وأدر عليهم أرزاقهم، وكف عنهم، وأحسن جوارهم، وجبى خراج مصر لا ينازعه أحد(٥).

وكان مسلمة بن مخلد الخزرجي الساعدي ممن أظهر الطلب بدم عثمان، واعتزل بخِرْبِتَا، فأرسل إليه قيس: "ويحك! أعليَّ تثب؟! والله ما أحب أن لي ملك الشام ومصر وأني قتلتك! فاحقن دمك"، فأرسل إليه مسلمة: "إني كاف عنك ما دمت أنت والي

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص ٤٣١.

(٢) نفسه، ج٤، ص ٤٤٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٩٢.

(٣) فاطمة جمعة: الاتجاهات الحزبية في الإسلام منذ عهد الرسول حتى عصر بني أمية، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص ١١٣.

(٤) **خِرْبِتَا:** من قرى الحوف الغربي في مصر، بالقرب من الإسكندرية؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص ٣٥٥.

(٥) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٥، ص ٣٧٣.

مصر"[١]؛ وهنا يظهر واضحًا ذلك النموذج لغلبة الرابطة القبلية على الخصومة السياسية[٢]، فكلاهما كان من بني ساعدة.

وكان عمرو بن العاص ومعاوية قد شَقَّ عليهما وعلى أهل الشام، أن قيس بن سعد قد منع حمل الطعام إلى الشام، كما أن سيطرته على مصر جعلته شوكة في ظهرهما[٣]؛ فبدأ معاوية في إرسال الرسائل إلى قيس يستميله، ووعده أن يكون نائبه على العراقين إذا تم له الأمر[٤]، فلما لم يجد منه استجابة، كاد له من ناحية عليّ، وذلك أنه قال لأهل الشام: "لا تسبوا قيس بن سعد، ولا تدعوا إلى غزوه؛ فإنه لنا شيعة"، وافتعل كتابًا نسبه إليه، يطالب فيه بدم عثمان، فبلغ ذلك عليًّا، فقال: "إن قيسًا في سَرٍّ[٥] وشرف في جاهلية وإسلام، وقيس رجل العرب"[٦]، ولكن كثرة من كلم الخليفة بشأنه أدى إلى قيام عليّ بعزله[٧]، وكانت مدة قيس إلى أن عزل أربعة أشهر وخمسة أيام، وصرف لخمس خلون من رجب سنة سبع وثلاثين[٨]، وخرج قيس من مصر وهو غضبان لعزله، متوجهًا إلى مدينة الرسول ﷺ، وبعد أن استقر قيس بالمدينة جاءه حسان بن ثابت، وكان عثمانيًّا، فقال له: "قتلت عثمان ونزعك عليّ، فبقي عليك الإثم"، فتلاحيا[٩].

---

(١) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٥، ص٣٧٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص ١٥٣.

(٢) عبد الله خورشيد البري: القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م، ص ٢٩٤.

(٣) ابن سعد، المصدر السابق، ج٥، ص ٣٧٣.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٧، ص ٢٦٤.

(٥) **فلانٌ في سَرِّ قومه:** أي في أفضلهم؛ الزبيدي: تاج العروس، ج١٢، ص ٧.

(٦) ابن سعد، المصدر السابق، ج٥، ص ٣٧٣.

(٧) محمد بن شهاب الزهري: المغازي النبوية، ص ١٥٦؛ ابن سعد، مصدر سابق، ج٥، ص ٣٧٣؛ أبو عمر محمد بن يوسف الكندي: كتاب الولاة والقضاة، مطبعة اليسوعيين، بيروت، لبنان، ١٣٢٦هـ = ١٩٠٨م، ص ٢١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص ١٥٣.

(٨) أبو عمر محمد بن يوسف الكندي، المصدر السابق، ص ٢٢.

(٩) ابن الأثير، المصدر السابق، ج٣، ص ١٥٦.

ولقد استقر قيس بالمدينة حتى أخافه مروان بن الحكم على نفسه، فخرج منها هو وسهل بن حنيف الأوسي، فشهدا مع عليّ موقعة صفين، فكتب معاوية إلى مروان يتغيظ عليه، ويقول له: "لو أمددت عليًّا بمائة ألف مقاتل، لكان أيسر عندي من قيس بن سعد في رأيه ومكانه"[١]، وبعد أن استقر قيس بالكوفة عينه عليّ على أذربيجان وأسند إليه خراجها[٢]؛ كما ولَّى أبا قتادة الأنصاري مكة، ثم عزله[٣].

موقعة الجمل ٣٦هـ:

بدأت خلافة عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمواجهة الفتن والمؤامرات التي سرت في جسد الأمة الإسلامية في عهده، فبعد أن بويع بالخلافة خرج عليه طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وأيدتهم السيدة عائشة زوج الرسول ﷺ، فقال أبو قتادة الخزرجي الأنصاري - من بني سَلِمَة - لعليّ: "يا أمير المؤمنين إن رسول الله ﷺ، قلدني هذا السيف وقد أغمدته زمانًا، وقد حان تجريده على هؤلاء القوم الظالمين، الذين لا يألون الأُمَّة غشًّا، وقد أحببت أن تُقَدِّمني "[٤].

وخرج عليّ إلى الكوفة بالعراق بعد أن استخلف على المدينة أبا أيوب الأنصاري[٥]، وكان أشد الأنصار على معاوية؛ لموقفه من الإمام عليّ[٦]. وعندما سار عليّ إلى الجمل جعل "قرظة بن كعب الأنصاري الخزرجي" واليًا على الكوفة[٧]، فلمَّا خرج إلى صفين أخذه معه، وجعل على الكوفة أبا مسعود البدري - عقبة بن عمرو - الخزرجي[٨].

---

(١) محمد بن شهاب الزهري، مصدر سابق، ص ١٥٧؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص ١٥٥، ١٥٦.

(٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٢٣٨.

(٣) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٢٠١.

(٤) ابن الأثير، المصدر السابق، ج٣، ص ٣٥.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٤٠٤؛ ابن حجر: الإصابة، ج٢، ص ٩٠.

(٦) ابن قتيبة الدينوري: الإمامة والسياسة، ص ١٧٨.

(٧) ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ج١، ص ٤٠٧؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٤٦.

(٨) ابن الكلبي، المصدر السابق، ج١، ص ٤١٠؛ ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٤، ص ٣٦١؛ خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص ١٨٢؛ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن إسحاق بن مهران الأصبهاني: =

وكان مع عليّ يوم الجمل (٣٦هـ) أربعة آلاف من أهل المدينة، منهم ثمانمائة من الأنصار، وأربعمائة ممن شهد بيعة الرضوان[١]، وكان من جملة من اشترك فيها من الخزرج: البراء بن عازب، وأخوه عبيدة[٢]، والحارث بن غزية، وهو القائل يوم الجمل: "يا معشر الأنصار، انصروا أمير المؤمنين آخرًا كما نصرتم رسول الله ﷺ أولًا، والله إن الآخرة تشبه الأولى، إلا أن الأولى أفضلهما"[٣].

وشهد رفاعة بن رافع الزُّرقي الجمل مع علي[٤]، كما كان فروة بن عمرو الأنصاري البياضي من أصحاب عليّ يوم الجمل، وأنشد له شعرًا[٥]، وبعد انتصار عليّ في وقعة الجمل جعل أبا أيُّوب الأنصاري أميرًا على مدينة البصرة[٦].

وقعة صفِّين ٣٧هـ:

بدأت وقعة صفِّين يوم الأربعاء لسبع خلون من صفر سنة سبع وثلاثين[٧]، وكان الأنصار هم أكثر من قاتل مع عليّ من أهل المدينة[٨]، وقد قاتل معه سبعة وثمانون رجلًا من أصحاب بدر، منهم سبعون من الأنصار، وشهد معه من الأنصار ممن بايع بيعة الرضوان تسعمائة نفس[٩].

= معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤١٩ هـ = ١٩٩٨م، ج٤، ص ٢١٤٨؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٣٦٣؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج٤، ص ٣٨٠.

(١) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط ، ص ١٨٤.

(٢) ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص ٣٦٢؛ ابن حجر: الإصابة، ج١، ص ١٤٧.

(٣) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص ١٨١.

(٤) نفسه، ج١، ص ٢٩٨.

(٥) ابن حجر، المصدر السابق، ج٥، ص ٢٠٧.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٤٠٤.

(٧) خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص ١٩١.

(٨) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص ١٧٧.

(٩) أبو الحسن بن علي المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٥م، ج٢، ص ٢٠٦.

أما معاوية فقد كان معه من الأنصار: النعمان بن بشير بن سعد، وكان أول مولود للأنصار بعد الهجرة، وجعله معاوية قائدًا لألف من جند الشام[١]، ومسلمة بن مخلد بن الصامت الساعدي[٢]، وكان من أمراء معاوية نوبة صفين[٣]، ثم لحق النعمان بن العجلان الزرقي بمعاوية، وكان عليّ قد ولّاه البحرين، فجعل يعطي من جاءه من الشعراء لمدحه، فبلغ ذلك عليٌّ، فكتب إليه: "أما بعد، إنك من عشيرة ذات صلاح، فكن عند صالح الظن بك، وراجع"، فلما جاءه كتاب عليّ، وعلم أنه قد علم، حمل المال ولحق بمعاوية[٤].

ويعلق قيس بن سعد على من تبع معاوية من الأنصار، مخاطبًا النعمان بن بشير في كتابه قائلًا: "وانظر يا نعمان هل ترى مع معاوية إلا طليقًا أعرابيًّا أو يمانيًّا مستدرجًا، وانظر أين المهاجرون والأنصار، ثم انظر هل ترى مع معاوية غيرك وغير صويحبك، ولستما والله بدريين ولا عقبيين، ولا لكما سابقة في الإسلام ولا آية في القرآن"[٥].

وأرسل عليّ إلى قيس بن سعد يستدعيه - وكان على أذربيجان[٦] - حتى يحضر صفين، فكان قيس قائدًا على رَجَّالة البصرة[٧]، وكانت المعركة أيام، فخرج قيس قائدًا لجيش عليّ في اليوم السادس منها[٨].

وكان ممن شهد صفين مع عليّ أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري[٩]، والبراء بن عازب

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٢٤٤.

(٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٢١٨.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ٤٢٤.

(٤) ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ج١، ص ٤٢٤؛ ابن دريد: الاشتقاق، ج٢، ص ٤٦١؛ ابن حجر: الإصابة، ج١، ص ٢٤٣.

(٥) ابن قتيبة الدينوري: الإمامة والسياسة، ص ١٨٠.

(٦) محمد بن شهاب الزهري: المغازي النبوية، ص ١٥٧؛ اليعقوبي، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٣٨.

(٧) ابن الأثير، المصدر السابق، ج٣، ص ١٧٦؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٢، ص ٦٢٩.

(٨) ابن الأثير، المصدر السابق، ج٣، ص ١٧٦.

(٩) أبو القاسم عبد الله بن محمد بن المَرْزُبان البغوي: معجم الصحابة، تحقيق: محمد الأمين، مكتبة دار البيان، الكويت، ط١، ١٤٢١ هـ = ٢٠٠٠م، ج٢، ص ٢١٨.

ابن الحارث، وأخوه عبيد بن عازب[١]، ورفاعة بن رافع الزُّرقي[٢]، وقيس بن سعد بن عبادة الساعدي[٣]، وزيد بن أرقم الخزرجي - وهو معدود في خاصة أصحاب عليّ[٤] - وجبلة بن عمرو الخزرجي[٥]، ومسعود بن أوس النجاري[٦]. وانتهت صفين برضى جزء من جيش عليّ بالتحكيم، وخروج الجزء الآخر على عليّ، معلنًا رفض التحكيم، وسُمُّوا بالخوارج.

وكان من قتلى الخزرج يوم صفين: سعد بن الحارث النجاري، وثابت بن عبيد الأنصاري[٧]، وسعد بن الحارث بن الصمة[٨].

قتال الخوارج ٣٧هـ:

تجمع الخوارج في النهروان، فلحق بهم عليّ، وعبَّأ أصحابه، وجعل على قيادة الخيل أبا أيوب الأنصاري، وعلى الرجَّالة أبا قتادة الخزرجي، وجعل قيس بن سعد على ميمنة جيشه[٩]، وولاه عليٌّ على من بالجيش من أهل المدينة، وكانوا سبعمائة أو ثمانمائة[١٠]، وانتهت الموقعة بانتصار جيش عليّ، وسرعان ما قام عبد الرحمن بن ملجم الخارجي بقتله، وكانت ولاية عليّ أربع سنين وتسعة أشهر وبضعة أيام[١١].

---

(١) ابن الأثير: أسد الغابة، ج١، ص ٣٦٢.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص ٢٩٨.

(٣) نفسه، ج٢، ص ١٥٩.

(٤) خير الدين الزركلي: الأعلام، ج٣، ص ٥٦.

(٥) ابن عبد البر، المصدر السابق، ج١، ص ١٤٥.

(٦) ابن حجر العسقلاني: الإصابة، ج٦، ص ٨٩.

(٧) ابن عبد البر، المصدر السابق، ج١، ص ١٢٨.

(٨) نفسه، ج١، ص ٣٥٠.

(٩) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ص ١٩٧.

(١٠) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٢٢١؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٢، ص ٦٤٠.

(١١) خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص ١٩٩.

خلافة الحسن بن عليّ:

استخلف أهل العراق الحسن بن عليّ خليفة على المسلمين، وبويع له سنة أربعين للهجرة، وكان أول من بايعه قيس بن سعد بن عبادة[١]، وأقام الحسن بن عليّ بعد أبيه شهرين، وقيل أربعة أشهر، ثم وجه قيس بن سعد في اثني عشر ألفًا لقتال معاوية، فوجه معاوية إلى قيس يبذل له ألف ألف درهم على أن يصير معه، أو ينصرف عنه، فرفض قيس وأقام على محاربته[٢]، وفاجأ الحسن الجميع، وأرسل لمعاوية؛ يطلب أن يسالمه ويبايعه بالخلافة، ويجمع شمل المسلمين، على أن يكون الأمر شورى بعد معاوية بين المسلمين. وكانت ولاية الحسن بن عليّ سبعة أشهر وسبعة أيام، على ما قال ابن خياط[٣].

وامتنع قيس بن سعد عن مبايعة معاوية، وأبى أن يدخل في بيعته، وقال لأصحابه: "إن شئتم جالدت بكم أبدًا حتى يموت الأعجل، وإن شئتم أخذت لكم أمانا"، فقالوا: خذ لنا، فأخذ لهم أمانًا، أن لهم كذا وكذا، ولا يعاقبون بشيء، وأنا رجل منهم، وأبى أن يأخذ لنفسه خاصة شيئًا، فلما وافق معاوية ارتحل قيس نحو المدينة واستقر بها[٤].

وهكذا، فقد كان عصر الخلفاء الراشدين هو العصر الذي ارتفعت فيه مكانة قبيلة الخزرج، بعد أن اختار منها الراشدون من تولى مناصب ذات أهمية في الدولة الإسلامية؛ ما بين قائد للجيوش، أو من يجمع الصدقات والزكاة، أو من تولى القضاء، كما كان منهم من له دور في الحركة العلمية داخل المدينة؛ كزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وعويمر أبي الدرداء، وأُبَي بن كعب النجاريّ.

***

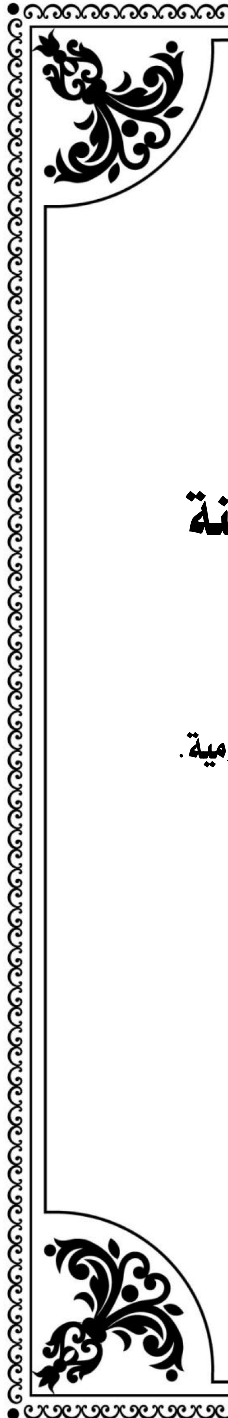
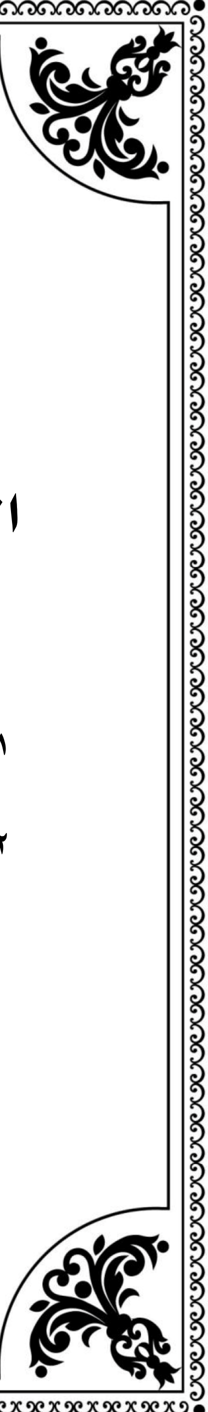
(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٢٦٧.

(٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٢٥٤، ٢٥٥.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط، ص ٢٠٣.

(٤) محمد بن شهاب الزهري: المغازي النبوية، ص ١٥٧؛ ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٥، ص ٣٧١.



الفصل الخامس

الخزرج والحياة العلمية بالمدينة

١- دور قبيلة الخزرج الحضاري في الدولة الإسلامية.

٢- الصحابة الخزرجيون في الأقاليم المفتوحة.

١- دور قبيلة الخزرج الحضاري في الدولة الإسلامية

لقد كان الوحي يتنزل على الرسول ﷺ وهو لا يعرف القراءة ولا الكتابة؛ مما دعاه إلى اتخاذ كُتَّاب للوحي من أجلَّاء الصحابة، وبلغ عدد هؤلاء الكتاب ثلاثًا وعشرين كاتبًا في قول، وقيل أربعين في قول ثانٍ، وعدهم الحافظ العراقي اثنين وأربعين في رأي ثالث(١)، وقد كان أكثرهم من الخزرجيين؛ كثابت بن قيس الخزرجي، وهو الذي كتب كتاب رسول الله ﷺ لوفد بني ثُمَالَة والحُدَّان في الصدقات(٢).

وقد كان أبيّ بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أول من كتب الوحي بين يدي رسول الله ﷺ بالمدينة، فقال عنه: "أقرأ أُمَّتِي أبي بن كعب"، وهو أحد فُقهاء الصحابة(٣)، وقال له رسول الله ﷺ: "إن الله أمرني أن أقرأ عليك: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾(٤) فجعل أبي يبكي(٥)، وقد قال أبو عبيد(٦) - تعليقًا على هذا الحديث: "معنى هذا الحديث أن يتعلم أبي قراءة رسول الله ﷺ، لا أن رسول الله ﷺ يتعلم

(١) الكتاني: التراتيب الإدارية، ج ١، ص ١٥١، ١٥٢.

(٢) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج ١، ص ٣٠٤.

(٣) نفسه، ج ٣، ص ٤٦٢؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ١، ص ٣٥٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٤٧٤؛ ابن حجر: الإصابة، ج ١، ص ١٦؛ القسطلاني: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ج ١، ص ٤٣٧.

(٤) سورة البينة: ١.

(٥) أبو عُبيد القاسم بن سلام البغدادي: فضائل القرآن ومعالمه وآدابه، تحقيق: أحمد عبد الواحد الخياطي، مطبعة فضالة، المغرب، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م، ج ٢، ص ١٨٩؛ أبو بكر محمد بن عبد الله، المعروف بابن العربي: أحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م، ج ٤، ص ٤٣٦، ٤٣٧؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٨، ص ٤٥٤.

(٦) أبو عبيد: هو القاسم بن سلام، الإمام الكبير صاحب التصانيف في القراءات والحديث (توفي سنة ٢٢٤هـ)، الذهبي: المصدر السابق، ج ١٠، ص ٤٩٠.

قراءة أبي"[١]، وقد كان أبيّ بن كعب هو الذي كتب كتاب رسول الله ﷺ إلى ملكي عمان ابني الجلندي، وأرسله مع عمرو بن العاص فأسلما على أثره[٢].

وكان زيد بن ثابت الخزرجي من أهم من كتب الوحي لرسول الله ﷺ؛ فقد كان حَبْر الأُمَّة علمًا وفقهًا وفرائض، قال عنه رسول الله ﷺ: "أفرض أمتي زيد بن ثابت"[٣]، فأخذ الشافعي بقوله في الفرائض؛ عملًا بهذا الحديث، كذلك بنى الإمام مالك مذهبه في الفرائض على قول زيد[٤]، ولقد كلفه رسول الله ﷺ بتعلم كتاب يهود فتعلمه في سبعة عشر يومًا[٥]، وقال عنه الإمام الزُّهْرِي: "لولا أن زيد بن ثابت كتب الفرائض، لرأيت أنها ستذهب من الناس"[٦]، وقد كان الرسول ﷺ يُكلف بعض الصحابة بتعليم القرآن؛ فقد كلف عبادة بن الصامت الخزرجي بتعليم أهل الصُّفَّة[٧] في المسجد النبوي[٨].

جمع القرآن:

بعد أن توفي رسول الله ﷺ وبدأت حروب الردة في عهد أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كثر شهداء المسلمين من حفظة القرآن، وخاصة في موقعة اليمامة، فاقترح عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ جمع القرآن؛ مخافة أن يذهب، فأمر أبو بكر زيد بن ثابت بأن يتتبع القرآن ويجمعه[٩].

---

(١) ابن مجاهد: السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م، ص ٥٥.
(٢) القسطلاني: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ج ١، ص ٤٣٥.
(٣) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ١، ص ٣٢٢.
(٤) الكتاني: التراتيب الإدارية، ج ٢، ص ٢٨٠.
(٥) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج ٢، ص ٣٠٩؛ أحمد بن حنبل: مسند أحمد، ج٣٥، ص ٤٦٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص ٤٢٩.
(٦) نفسه، ج ٢، ص ٤٣٦.
(٧) أهل الصفة: هم ضعفاء الحال من فقراء المسلمين، ليس لهم عشائر ولا منازل ولا مال، وكانوا يأوون إلى المسجد وفيه ينامون، وكان ﷺ يعتني بأمرهم؛ المقريزي: إمتاع الأسماع، ج١٠، ص ١٥٧.
(٨) الكتاني، المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٣.
(٩) الذهبي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٣١؛ ابن حجر: الإصابة، ج ٣، ص ٢٣.

يقول زيد: "فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُب[١] واللِّخَاف[٢] وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة بن ثابت الأوسي، لم أجدها مع أحد غيره"[٣]. وروى أبو جعفر الرَّازي عن الربيع، عن أبي العالية، أن أُبيّ بن كعب أملاها عليهم مع خزيمة بن ثابت[٤]، وقد عُدَّ زيد من أفقه المسلمين؛ حتى إن الإمام شمس الدين الذهبي قال: "النَّاس على قراءة زيد، وعلى فرض زيد"[٥].

على أن نسخة المصحف التي احتفظ بها أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كتبها مجموعة من الصحابة، فعن أبي العالية، عن أبي بن كعب قال: "إنهم جمعوا القرآن في مصاحف في خلافة أبي بكر، فكان رجال يكتبون ويُملِي عليهم أبي بن كعب[٦]"، وقد كان لأبي بن كعب مصحفه الخاص الذي كتبه في حياة النبي ﷺ، وكان عدد آياته ستة آلاف ومائتين وعشر آيات[٧].

نسخ المصاحف:

اختلف الناس في القراءة زمن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فاتفق رأيه ورأي الصحابة على أن يُرد القرآن إلى حرف واحد، ووقع اختياره على حرف زيد بن ثابت، فأمره أن يُملي المصحف على قوم من قريش جمعهم إليه، فكتبوه على ما هو عليه اليوم بأيدي الناس، والأخبار بذلك مُتواتِرة المعنى[٨]. على أن هناك رواية لابن سعد الزهري عن محمد بن سيرين، جاء فيها: "أن عثمان جمع اثني عشر رجلًا من قريش والأنصار، فيهم أبي بن كعب، وزيد بن

(١) **العُسُب:** جريد النخل المستقيم؛ الخليل بن أحمد: معجم العين، ج ١، ص ٣٤٢، مادة: عسب.

(٢) **اللخاف:** حجارة بيضاء رقيقة، مادة: لخف؛ المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٦٥.

(٣) أبو عبد الله البخاري: صحيح البخاري، ج٦، ص ١٨٣ (حديث رقم: ٤٩٨٩).

(٤) ابن كثير: فضائل القرآن، ص ٦٢؛ بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ): البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١، ١٣٧٦هـ = ١٩٥٧م، ج ١، ص ٢٥٦.

(٥) سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤٣٦.

(٦) أحمد بن حنبل: مسند أحمد، ج٣٥، ص ١٤٩.

(٧) محمد بن إسحق النديم: الفهرست، ج ١، ص ٢٩، ٣٠.

(٨) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ١، ص ٣٢٢.

ثابت في جمع القرآن[١]"، في حين أن الزركشي أورد ما نصه: "واختلف في الحرف الذي كتب عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عليه المصحف، فقيل: حرف زيد بن ثابت، وقيل: حرف أبي بن كعب". ومعنى حرف زيد، أي: قراءته وطريقته[٢].

على أن الرأي القائل باشتراك أبيّ بن كعب في نسخ المصاحف في عهد عثمان يظهر ضعفه؛ لأن أغلب المصادر أشارت إلى وفاة أبيّ في خلافة عمر بن الخطاب، فقد قال ابن أبي خيثمة[٣] سمعت يحيى بن معين[٤] يقول: "مات أبي بن كعب سنة عشرين أو تسع عشرة"[٥]، وقال الواقدي: ورأيت آل أبيّ وأصحابنا يقولون مات سنة اثنتين وعشرين[٦]، وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم مات أبي: "اليوم مات سيد المسلمين"[٧]؛ أما الرأي القائل بوفاته سنة ثلاثين، فيعلق عليه الإمام الذهبي قائلًا: "إن إسناد هذا الرأي قويّ؛ لكنه مُرسل، وما أحسب أن عثمان ندب للمصحف أُبيًّا، ولو كان كذلك لاشتهر، ولكان الذكر لأبيّ لا لزيد، ومن هنا يتأكد لنا أن وفاة أبيّ كانت في زمن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ"[٨].

***

(١) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج ٣، ص ٤٦٦.

(٢) الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج ١، ص ٢٦٥.

(٣) ابن أبي خيثمة (ت ٢٧٩هـ): أحمد بن زهير بن حرب بن شداد النسائي ثم البغدادي، مؤرخ، من حفاظ الحديث، من تصانيفه (التاريخ الكبير)؛ الزركلي: الأعلام، ج ١، ص ١٢٨.

(٤) يحيى بن معين (ت ٢٣٣هـ): هو يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام الـمُرِّيّ الغطفاني، إمام، ثقة، مأمون؛ نفسه، ج٨، ص ١٧٢.

(٥) ابن حجر: الإصابة، ج ١، ص ١٦.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١، ص ٤٠٠؛ ابن قتيبة: المعارف، ص ٢٦١.

(٧) ابن سعد، المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٦٤.

(٨) الذهبي، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٠٠.

٢- دور الصحابة الخزرجيين في العلوم المختلفة

صاحب قيام الدولة الإسلامية في المدينة وتأسيس النظام السياسي بها نهضة علمية عظيمة، واكبت انتشار الإسلام؛ ذلك أنه كان لابد لهذا الدين من مفكرين وعلماء ومُنظِّرين، يفقهون الناس في أمور دينهم، ويَعْبُرُون بهم من شرك الجاهلية وإغراقها في الخرافة، إلى نور الإسلام واتحاده بالعلم، وقد كانت المدينة المنورة بالحجاز هي المركز الأول للإشعاع الفكري والحضاري للإسلام؛ على اعتبار أنها المدينة التي استقبلت الرسول ﷺ مهاجرًا، ثم كانت المقاتل الأول لنشر الدين في شبه الجزيرة العربية.

وقد نشأت بالمدينة مدرسة علمية عظيمة، كانت بمثابة مدرسة جامعة، عنى رجالها وأساتذتها ومفكروها وأقطابها من الصحابة عناية فائقة بالتجويد والتفسير والحديث والفتوى، ثم تلا ذلك نشأة علوم جديدة نالت اهتمام مدرسة المدينة؛ كان أهمها علم التاريخ والمغازي، ولقد كان لصحابة قبيلة الخزرج دور مهم في هذه الحركة العلمية بالمدينة، خاصة وأنهم قد عاصروا الرسول ﷺ، ونقلوا حديثه إلى الأمة من بعده؛ كما كان لهم دور في علمي التجويد والتفسير.

دور الصحابة الخزرجيين في علم القراءات(١):

اهتمت الخزرج بحفظ القرآن الكريم، وكان لهم دور عظيم في نشره، وفي الاهتمام به وتعليمه لعامة المسلمين، خاصة وأن لهم باعًا في حفظ القرآن في عهد رسول الله ﷺ، فقد روي عن أنس بن مالك أنه قال: افتخر الحيان الأوس والخزرج، فعدت الأوس مآثرها، فردت الخزرج قائلةً: "منا أربعة جمعوا القرآن على عهد الرسول ﷺ لم يجمعه

(١) **القراءات** لغة: جمع قراءة، وقراءة مصدر قرأ، يقال: قرأ، يقرأ، قراءة، وقرآنًا، بمعنى تلا، فهو قارئ، والقرآن متلو؛ (الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ٦٢)؛ في حين أن التهانوي يقول: "فالقراءة عند القراء أن يقرأ القرآن سواء أكانت القراءة تلاوة بأن يقرأ متتابعًا أو أداء بأن يأخذ من المشايخ"؛ (محمد علي التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، المكتبة الإسلامية، بيروت، الجمهورية اللبنانية، ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م، ج٥، ص ١١٥٨).

غيرهم: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، قلت لأنس: من أبو زيد؟ قال: أحد عُمُومتي "(١)، وفي رواية أخرى للبخاري يضيف أنس: أبو الدرداء عُويمر بن مالك بن قيس بن أمية الخزرجي(٢)، الذي قال عنه رسول الله ﷺ: "حكيم أمتي أبو الدرداء عُويمر "(٣)، وقال عنه أيضًا: "نِعْمَ الفارس عُويمر "(٤)، وقال عنه ابن الجزري: كان من العلماء الحكماء، وهو أحد الذين جمعوا القرآن حفظا على عهد النبي عليه السلام بلا خلاف(٥).

ولقد ورد كذلك عن رسول الله ﷺ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "استقرئوا القرآن من أربعة: عبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب رضي الله عنهم "(٦)؛ فهؤلاء من أهم من حفظ القرآن في حياة النبي ﷺ، وأُخذ عنهم علم التجويد، وعليهم دارت أسانيد قراءة الأئمة العشرة؛ كما كان بعض الصحابة الخزرجيين من الأئمة الذين قام عليهم علم القراءات.

وقد ذكر الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام - في أول كتابه في القراءات - من نقل عنهم شيء من وجوه القراءة من الصحابة وغيرهم، وذكر منهم من الأنصار: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وأبا الدَّرداء، وزيد بن ثابت، وأبا زيد، وأنس بن مالك، وهم من

(١) البخاري: صحيح البخاري، ج٦، ص ١٨٧ (حديث رقم ٥٠٠٣)؛ ابن كثير: فضائل القرآن، مكتبة ابن تيمية، ط١، ١٤١٦ هـ = ١٩٩٥م، ص ١٥٧؛ السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، مركز الدراسات القرآنية، الرياض، السعودية، بدون تاريخ، ج ٢، ص ٤٥٨.

(٢) البخاري، المصدر السابق، ج٦، ص ١٨٨ (حديث رقم ٥٠٠٤).

(٣) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ٢، ص ١٢٣؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج٦، ص ٩٤.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٣٣٨.

(٥) الزركلي: الأعلام، ج٥، ص ٩٨.

(٦) البخاري، المصدر السابق، ج٥، ص ٣٦ (حديث رقم ٣٨٠٨)؛ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، دار الحرمين، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م، ج ٣، ص ٢٧٢ (حديث رقم ٥٠٦٤)؛ الذهبي: معرفة القراء الكبار، تحقيق: د/ طيار آلتي قولاج، إستانبول، تركيا، ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م، ج ١، ص ١١٣؛ السيوطي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٤٥٨.

الخزرج، ومُجَمِّع بن جارية الأوسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[(١)]، والقراءة - كما قال زيد بن ثابت: "سُنَّة يأخذها الآخر عن الأول"[(٢)].

أما الإمام الذهبي فقد ذكر أسماء من دار عليهم علم القراءات، فعدهم سبعة؛ هم: عثمان بن عفان، وعليّ بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وأبو موسى الأشعري، ثم عَدَّ ثلاثة من الخزرج هم: أبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو الدرداء، ثم قال بعد ذكرهم ما يلي: "فهؤلاء الذين بلغنا أنهم حفظوا القرآن في حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأُخذ عنهم عرضًا، وعليهم دارت أسانيد قراءة الأئمة العشرة، وقد جمع القرآن غيرهم من الصحابة؛ كمعاذ بن جبل وأبي زيد، ولكن لم تتصل بنا قراءتهم؛ فلهذا اقتصرت على هؤلاء السبعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ"[(٣)].

والإسناد في هذه القراءات هو في أعلى درجات الإسناد، وهو متواتر لا ريب في تواتره، والقراءة التي تفتقد التواتر لا تُقبل؛ لأن غير المتواتر لا يكون قرآنًا، وبسبب هذا احتفى علماء القراءات بالإسناد احتفاءً بالغًا، وكان كل عالم من علماء القراءات ينص على الأسانيد وطرقها المتعددة إلى عصره.

ولقد عد علماء القراءة ورجالها أن أسانيد القراءات المعتبرة انتهت إلى عشرة أسانيد، هذه الأسانيد العشرة منها سبعة ترجع في سندها المباشر إلى صحابة خزرجيين، وهي - في الغالب - أشهر القراءات التي قرئ بها كتاب الله تعالى، فتعود ست قراءات من السبع المعتبرة إلى أبي بن كعب وزيد بن ثابت، وهي قراءة نافع[(٤)]، وابن كثير المكي[(٥)]،

(١) الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي (الشهير بابن الجزري): النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص ٦.

(٢) نفسه، ص ٤٠.

(٣) معرفة القراء الكبار، ج ١، ص ١٢٥، ١٢٦.

(٤) نافع: هو أبو رويم، نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي، أصله من أصفهان، وهو مولى جعونة بن شعوب الليثي، حبر القرآن، كان أحد أئمة القراءة في عصره، قال عنه الإمام مالك: "قراءة نافع سُنَّه"، وقال أيضًا: "نافع إمام الناس في القراءة" (ت ١٦٩هـ)؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٧، ص ٣٣٦.

(٥) ابن كثير المكي: هو عبد الله بن كثير بن عمر بن عبد الله بن زاذان، الإمام، العلم، مقرئ مكة وإمامها، وأحد القراء السبعة (ت ١٢٠هـ)؛ نفسه، ج ١، ص ١٩٧؛ الزركلي: الأعلام، ج ٤، ص ١١٥.

وأبي عمرو بن العلاء[١]، وعاصم الكوفي[٢]، وأبي جعفر المدني[٣]، والكسائي[٤]؛ في حين أن قراءة عبد الله بن عامر الشامي ترجع إلى أبي الدرداء عويمر بن عامر[٥].

وليس أدل على دور الصحابة الخزرجيين في تعليم القرآن من هذه الرواية التي أوردها الذهبي في سير أعلام النبلاء، وملخصها: أن يزيد بن أبي سفيان كتب إلى عمر بن الخطاب قائلًا: "إن أهل الشام قد كثروا، وملأوا المدائن، واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن، ويفقههم، فأعني برجال يعلمونهم"، فدعا عمر معاذ بن جبل، وعبادة بن الصَّامت، وعويمر أبا الدَّرداء، وأرسلهم إلى الشام؛ فكان للصحابة الثلاثة نصيب وافر في تعليم أهل الشام؛ أما معاذ بن جبل (ت ١٨هـ)، فعلم أهل فلسطين القرآن، وأما عبادة بن الصامت (ت ٣٤هـ)، فعلم أهل حمص القرآن، وأما الصحابي الجليل أبو الدرداء (ت ٣٢هـ)، فعلَّم أهل دمشق القرآن، وكان له الفضل في تعليم أهل الشام جميعه القرآن، وكانت حلقته أكبر الحلقات بمسجد دمشق[٦].

---

(١) أبو عمرو بن العلاء البصري: هو زبان بن العلاء بن عمار بن العريان المزني البصري، قال عنه الإمام ابن الجزري: "كان أبو عمرو بن العلاء أعلم الناس بالقرآن والعربية، مع الصدق والثقة والأمانة والدين"، وكان إمام البصرة ومقرئها (ت ١٥٤هـ)؛ ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ج ١، ص ١٣٤.

(٢) عاصم الكوفي: هو عاصم بن أبي النجود، من التابعين، قال عنه ابن الجزري: "كان عاصم هو الإمام الذي انتهت إليه رياسة الإقراء بالكوفة، ورحل الناس إليه للقراءة، وكان قد جمع بين الفصاحة والإتقان والتحرير والتجويد، وكان أحسن الناس صوتًا بالقرآن" (ت ١٢٧هـ)؛ نفسه، ج ١، ص ١٤٤.

(٣) أبو جعفر المدني: هو يزيد بن القعقاع المخزومي المدني، أحد القراء العشرة، ومن التابعين (ت ١٣٢هـ)؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١، ص ١٧٢؛ ابن الجزري، مصدر سابق، ج ١، ص ١٨٧.

(٤) الكسائي الكوفي: هو عليّ بن حمزة بن عبد الله بن عثمان النحوي، الملقب بالكسائي (ت ١٨٩هـ)؛ الذهبي، المصدر السابق، ج٩، ص ١٣١؛ ابن الجزري، المصدر السابق، ج ١، ص ١٧٢؛ الزركلي: الأعلام، ج ٤، ص ٢٨٣.

(٥) عبد الله بن عامر الشامي: هو عبد الله بن عامر بن يزيد بن ربيعة اليحصبي، كان إمام أهل الشام، قال عنه ابن الجزري: "كان ابن عامر إمامًا كبيرًا وتابعيًّا جليلًا وعالمًا شهيرًا، أَمَّ المسلمين بالجامع الأموي سنين كثيرة في أيام عمر بن عبد العزيز، فكان يأتم به وهو أمير المؤمنين" (ت ١١٨هـ)؛ ابن الجزري، المصدر السابق، ج ١، ص ١٤٤.

(٦) نبيل محمد إبراهيم: علم القراءات، مكتبة التوبة، الرياض، السعودية، ط١، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م، ج ٢، ص ٢٣٧ - ٣٤٤.

وعن مسلم بن مشكم الدمشقي - كاتب أبو الدرداء: "قال لي أبو الدرداء أعدد من يقرأ عندي القرآن فعددتهم ألفًا وستمائة ونيفًا، وكان لكل عشرة منهم مقرئ، وأبو الدرداء يكون عليهم قائمًا، وإذا أحكم الرجل منهم تحول إلى أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليقرأ عليه"(١).

وكان الصحابة الثلاثة - وخاصة أبو الدرداء - سببًا في نشأة مدرسة الشام في القراءات، وقد خلفهم التابعون وتابعوهم بالشام، فألفوا ونقحوا وشرحوا، ونظموا كتبًا شتى في القراءات القرآنية، وازدهرت مدرسة الشام، وكان لها إنتاجها العلمي الوفير في علم القراءات.

دور الصحابة الخزرجيين في تفسير القرآن:

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، فخاطب الله به العرب الفصحاء، ففهموا منه مراد الله سبحانه وتعالى؛ كما بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للصحابة ما أُشكل عليهم من ألفاظ القرآن الكريم؛ ومن هنا قال الحاكم في مستدركه: "ليعلم طالب الحديث، أن تفسير الصحابي الذى شهد الوحى والتنزيل - عند الشيخين - حديث مسند"(٢)؛ أي أن له حكم المرفوع عن رسول الله فكأنه رواه عن النبى - صلى الله عليه وسلم -.

وقد تفوق بعض الصحابة الخزرجيين في علوم القرآن والشريعة؛ حتى إن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خطب، فقال: "من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أبي بن كعب، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ ابن جبل، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني"(٣).

---

(١) ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، ج ١، ص ٥٣٥.

(٢) ج ٢، ص ٣١٠.

(٣) حميد بن زنجويه: كتاب الأموال، ج ١، ص ٣٣٢.

وقد عَدَّ الإمام السيوطي من اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة[١]؛ منهم اثنان من الخزرج، أحدهما أبيّ بن كعب، وهو رائد مدرسة التفسير في المدينة وشيخها، الذي يُتَلَقَّى العلم على يديه[٢]، والآخر زيد بن ثابت الخزرجي[٣]، ولقد أضاف إليهم الأدنروي صاحب طبقات المفسرين اثنين؛ هما: أنس بن مالك بن النضر الخزرجي، وقال عنه: "وعلم الناس الفقه ومعاني القرآن"، وجابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام وقال عنه: "كان كثير الرواية للقرآن ومعانيه وأحكامه"[٤]؛ ولكن ما روي عنهم لا يعد تفسيرًا كاملا للقرءان، وإنما يقتصر على معاني بعض الآيات، بتفسير غامضها، وتوضيح مجملها.

دور الصحابة الخزرجيين في رواية الحديث:

كان للصحابة الخزرجيين دور مهم في رواية الحديث، قال عنه ابن عبد البر: "وجدت علم حديث رسول الله ﷺ عند هذا الحي من الأنصار"[٥]، وقد عَدَّ أهل الحديث كوكبة من الصحابة الأخيار الذين أكثروا من رواية الحديث الشريف، ولهم في الصحاح والمسانيد أكثر من ألف حديث، عدوهم من المكثرين في الرواية، وأشهر هؤلاء الصحابة سبعة؛ منهم ثلاثة من الخزرج، هم - على الترتيب: أنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، وأبو سعيد الخُدْرِيّ رضي الله عنهم[٦].

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، ج٦، ص ٢٣٢٥.

(٢) أحمد منجي إبراهيم: أبي بن كعب وتفسيره للقرآن الكريم، كلية الدعوة، جامعة أم القرى، مكة، السعودية، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م، رسالة ماجستير غير منشورة، ص ٣٤٣.

(٣) السيوطي، المصدر السابق، ج٦، ص ٢٣٣٨.

(٤) أحمد بن محمد الأدنروي، طبقات المفسرين، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، ط١، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م، ص ٧، ٨.

(٥) الكتاني: التراتيب الإدارية، ج ٢، ص ٢١٩.

(٦) علي عبد الباسط مزيد: مناهج المحدثين في القرن الأول الهجري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م، ص ٩١.

أنس بن مالك (ت ٩٣هـ) [١]:

هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، وأمه: أم سليم بنت ملحان الأنصارية، وكناه رسول الله ﷺ بأبي حمزة، وقد ورد عن أنس أنه قال: "قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا ابن عشر سنين، وتوفي وأنا ابن عشرين سنة"[٢]، وكان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرجعًا للصحابة والتابعين في الرواية والفتوى، وقد لخص الحافظ الذهبي مناقبه في صدر ترجمته، فقال: "الإمام، المفتي، المقرئ، المُحَدِّث، راوية الإسلام، أبو حمزة، الخزرجي، النجاري، المدني، خادم رسول الله ﷺ وقرابته من النساء، وتلميذه، وآخر أصحابه موتًا"[٣].

وقد روى أنس عن النبي ﷺ، وأبي بكر، وعمر، وعثمان، وأمّه أم سُلَيم بنت مِلحان، وخالته أم حرام، وزوجها عبادة بن الصامت، وغيرهم، وقد روى عن أنس خَلْق عظيم، ولقد سرد صاحب تهذيب الكمال[٤] نحو مائتي نفس من الرواة عن أنس بن مالك[٥].

وقد عمَّر أنس طويلًا، حتى قال: "ما بقي أحد صلى القبلتين غيري"، وقد عد الإمام الذهبي أحاديثة فقال: "مسنده: ألفان ومائتان وستة وثمانون حديثًا، اتفق له البخاري ومسلم على مائة وثمانين حديثًا، وانفرد البخاري بثمانين حديثًا، ومسلم بتسعين"[٦].

---

(١) أنس بن مالك: اختلف في وقت وفاته، فقيل سنة إحدى وتسعين وهذا قول الواقدي، وقيل: سنة اثنتين وتسعين، وقيل سنة ثلاثة وتسعين، قاله خليفة بن خياط وغيره، وقال خليفة: "مات أنس بن مالك سنة ثلاثة وتسعين وهو ابن مائة سنة وثلاث سنين"، وقيل: كانت سنه إذ مات مائة سنة وعشر سنين؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ١، ص ٧٤؛ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ): معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط١، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م، ج ١، ص ٤٠٦.

(٢) ابن عبد البر، المصدر السابق، ج ١، ص ٧٣، ٧٤.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٣٩٦.

(٤) الحافظ جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي (٧٤٢ هـ): تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، موسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٥م، ج ٣، ص ٣٦٥.

(٥) علي عبد الباسط مزيد: مناهج المحدثين في القرن الأول الهجري، ص ١٢٨.

(٦) الذهبي: المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٠٦؛ الزركلي: الأعلام، ج ٢، ص ٢٥.

جابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ):

هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام السلمي، الإمام الكبير، المجتهد، الحافظ، صاحب رسول الله ﷺ، أبو عبد الله، الأنصاري، الخزرجي، السلمي، المدني، الفقيه، من أهل بيعة الرضوان، وكان مفتي المدينة في زمانه، وآخر من شهد ليلة العقبة الثانية موتًا[١]، غزا تسع عشرة غزوة، وكانت له في أواخر أيامه حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم فيها[٢]، وكان من المكثرين الحفاظ للسنن.

روى علمًا كثيرًا عن النبي ﷺ، وعن أبي بكر، وعمر، وعلي، وأبي عبيدة، ومعاذ بن جبل، والزُّبير، وطائفة من الصحابة، وقد بلغ مسنده "ألفًا وخمسمائة وأربعين حديثًا، اتفق له الشيخان على ثمانية وخمسين حديثًا، وانفرد له البخاري بستة وعشرين حديثًا، ومسلم بمائة وستة وعشرين حديثًا"[٣].

بو سعيد الخدري (ت ٧٤هـ)[٤]:

هو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر، من بني خُدرة، وأمه أنيسة بنت أبي حارثة من بني عدي بن النجار[٥]، قد قال عنه الإمام الذهبي: "هو الإمام، المجاهد، مفتي المدينة، وأحد فقهائها المجتهدين"[٦]، شهد الخندق وبيعة الرضوان، وغزا مع رسول الله ﷺ اثنتي عشرة غزوة[٧].

ولقد حَدَّث عن النبي ﷺ فأكثر، وأطاب، وكان ممن حفظ عن رسول الله ﷺ سننًا كثيرة، وروى عنه علمًا جمًّا؛ كما روى عن أبي بكر، وعمر، وطائفة، وقد روى حنظلة بن

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ١٩٠.

(٢) الزركلي: الأعلام، ج ٢، ص ١٠٤.

(٣) الذهبي، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٩٤؛ الزركلي، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٠٤.

(٤) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٢، ص ٤١١؛ الذهبي، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٧٠؛ ابن حجر: الإصابة، ج ٣، ص ٨٦؛ الزركلي، المصدر السابق، ج ٣، ص ٨٧.

(٥) ابن عبد البر، المصدر السابق، ج ٢، ص ٤١١.

(٦) الذهبي، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٦٨.

(٧) ابن عبد البر، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٦١.

أبي سفيان[١]، عن أشياخه: "أنه لم يكن أحد من أحداث أصحاب رسول الله ﷺ أعلم من أبي سعيد الخدري"، أما مسنده فبلغ: "ألفًا ومائة وسبعين حديثًا؛ له في البخاري ومسلم ثلاثة وأربعون حديثًا، وانفرد البخاري بستة عشر حديثًا، ومسلم باثنين وخمسين "[٢].

كما كان هناك صحابة آخرون كان لهم دور في رواية الحديث، أولهم أبو الدرداء ولقد روى "مائة وتسعة وسبعين حديثًا، واتفق له الشيخان على حديثين، وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بثمانية "[٣]؛ كما كان لأبي بن كعب في الكتب الستة نيف وستون حديثًا، وله عند بقي بن مخلد[٤] مائة وأربعة وستون حديثًا، منها في البخاري ومسلم ثلاثة أحاديث، وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بسبعة[٥].

ولعبادة بن الصَّامت في مسند بقي مائة وواحد وثمانون حديثًا، وله في البخاري ومسلم ستة، وانفرد البخاري بحديثين، ومسلم بحديثين[٦]، ولرفاعة بن رافع بن مالك بن عجلان الزرقي في كتب الحديث أربع وعشرون حديثًا[٧]، ولأبي طلحة الأنصاري زيد بن سهل بن الأسود نيف وعشرون حديثًا، منها في الصحيحين حديثان، وتفرد البخاري بحديث، ومسلم بحديث[٨].

أما شدَّاد بن أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام؛ فقد خرجوا له في الكتب الستة، وبلغ عدد أحاديثه في مسند بقي خمسين حديثًا بالمكرر[٩]، ولأبي حميد الساعدي الأنصاري في

---

(١) حنظلة بن أبي سفيان: هو حنظلة بن أبي سفيان بن عبد الرحمن بن صفوان بن أمية بن خلف الجُمَحِي، المكي، الحافظ، قال عنه الإمام أحمد بن حنبل: ثِقة ثِقة؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٦ ص٣٣٦.

(٢) نفسه، ج ٣، ص ١٧٠، ١٧٢.

(٣) نفسه، ج ٢، ص ٣٣٧.

(٤) بَقِي بن مخلد بن يزيد: الإمام، القدوة، شيخ الإسلام، أبو عبد الرحمن الأندلسي، القرطبي، الحافظ، صاحب التفسير والمسند اللذين لا نظير لهما، وقد توفي سنة (٢٧٦هـ)؛ السيوطي: طبقات المفسرين، ج ١، ص ٣٠.

(٥) الذهبي، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٠٢.

(٦) نفسه، ج ٢، ص ١١.

(٧) الزركلي: الأعلام، ج ٣، ص ٢٩.

(٨) الذهبي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٤.

(٩) نفسه، ج ٢، ص ٤٦٧.

مسند بقي ستة وعشرون حديثًا[١]، ولكعب بن مالك بن أبي كعب الأنصاري أحاديث، تبلغ الثلاثين، اتفق البخاري ومسلم على ثلاثة منها، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بحديثين[٢].

ولأبي أسيد السَّاعدي مالك بن ربيعة في مسند بقي ثمانية وعشرون حديثًا[٣]، وللبراء ابن عازب بن الحارث الأنصاري الحارثي ثلاثمائة وخمسة أحاديث، له منها في الصحيحين اثنان وعشرون حديثًا، وانفرد له البخاري بخمسة عشر حديثًا، ومسلم بستة[٤]، وللنعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري في مسند بقي مائة وأربعة عشر حديثًا، اتفق له البخاري ومسلم على خمسة، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بأربعة[٥].

وكان لبعض نساء الخزرج دور في رواية الحديث، منهن أم سليم الغُمَيْصَاء بنت ملحان الأنصارية، التي لها "أربعة عشر حديثًا، اتفق البخاري ومسلم لها على حديث، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بحديثين"[٦]، ومنهن - أيضًا - عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأنصارية، وكانت في حجر عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قال عنها ابن حِبَّان: "كانت من أعلم الناس بحديث عائشة"[٧]، وقال ابن سعد: "كانت عالمة"[٨]، وقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم أن يكتب له أحاديث عمرة؛ كما شهد لها الزهري

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤٨١.

(٢) نفسه، ج ٢، ص ٥٢٣.

(٣) نفسه، ج ٢، ص ٥٣٩.

(٤) نفسه، ج ٣، ص ١٩٦.

(٥) نفسه، ج ٣، ص ٤١١.

(٦) نفسه، ج ٢، ص ٣١١.

(٧) محمد بن حبان أبو حاتم البُستي (ت ٣٥٤هـ): صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرناءوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م، ج١١، ص ٣١١.

(٨) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج١٠، ص ٤٤٥.

بقوله: "فأتيتها - أي عمرة - فوجدتها بحرًا لا ينزف"(١)، ولها في الكتب الستة اثنان وسبعون حديثًا، ترويها عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا(٢).

دور الصحابة الخزرجيين في الفتوى:

كان سماح الرسول ﷺ لصحابته بالفتوى، هي النواة الأولى لنشأة الفقه الإسلامي(٣) في عهده ﷺ، وقد كان نزول القرآن الكريم على مدى ثلاث وعشرين عامًا هو المصدر الأول لإثراء التشريع الإسلامي وتجديده دومًا، وكانت السُّنة رديفًا للقرآن في إرساء قواعد الشريعة، وشارحة له، ومكملة لما يرد فيه من أحكام.

وهكذا تكون الفقه الإسلامي جنينًا، فكان تشريعًا، نصوصه الرئيسة الكتاب الذي لا تزيد فيه آيات الأحكام على مائتي آية(٤)، والسُّنة النبوية المتمثلة فيما ورد عن الرسول ﷺ قولًا وفعلًا وتقريرًا.

وكان من نتيجة قرب الصحابة الخزرجيين من الرسول ﷺ وكثرة من حفظ منهم الحديث الشريف أن برع الكثيرون منهم في الفتوى، خاصة وأن سفيان الثوري وابن عيينة وعبد الله بن سنان، وهم من فقهاء المسلمين يقولون: "لو كان أحدنا قاضيًا لضربنا

---

(١) الحافظ جمال الدين المزي: تهذيب الكمال، ج٣٥، ص ٢٤١.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٥٠٧، ٥٠٨.

(٣) الفقه في الاصطلاح: كان الفقه في الصدر الأول يطلق على أحكام الدين كله، وذلك قبل أن تتمايز العلوم، حتى إذا وجدت ظاهرة الاختصاص أصبح الفقه "اصطلاحًا علميًّا يطلق على الأحكام الشرعية العملية المتعلقة بالعبادات والمعاملات الخاصة دون العقائد والوجدانيات"، ثم صار فيما بعد عند إطلاقه يراد به معرفة الأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية، وعرفه أبو حنيفة رَحِمَهُٱللَّهُ بأنه "معرفة النفس ما لها وما عليها"؛ المعرفة: (هي إدراك الجزئيات عن دليل)، وعرف الإمام الشافعي رَحِمَهُٱللَّهُ الفقه بالتعريف المشهور بعده عند العلماء بأنه: "العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية". وهبة الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، دمشق، سورية، ط٢، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٠م، ج ١، ص ١٥.

(٤) عمر سليمان الأشقر: تاريخ الفقه الإسلامي، دار النفائس، عمان، الأردن، ط٣، ١٤١٣هـ = ١٩٩١م، ص ١١؛ محمد عبد اللطيف صالح: تاريخ الفقه الإسلامي، دار ابن كثير، دمشق، سورية، ط١، ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م، ص ٢٠.

بالجريد فقيهًا لا يتعلم الحديث، ومُحَدِّثا لا يتعلم الفقه"[١]، ومن هنا فقد كانت معايشة الخزرج لرسول الله ﷺ وروايتهم للحديث سببًا لتقدمهم الفقهي.

وأخرج ابن سعد في الطبقات أنه "كان الذين يُفْتُون على عهد رسول الله ﷺ ثلاثة نفر من المهاجرين وثلاثة من الأنصار: عمر، وعثمان، وعلي، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت"[٢] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وورد عن عبد الله بن نيار الأسلمي، عن أبيه، قال: "كان عمر يستشير في خلافته إذا حزبه الأمر أهل الشُّورى، ومن الأنصار معاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت"[٣]، وقد أخرج ابن سعد عن شهر بن حوشب: "كان عمر بن الخطاب يقول حين خرج معاذ بن جبل إلى الشام: لقد أخل خروجه بالمدينة وأهلها في الفقه وما كان يفتيهم به"، وكان معاذ بن جبل يفتي الناس بالمدينة في حياة النبي ﷺ، وأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٤].

وقد كانت كتابات رسول الله ﷺ إلى معاذ بن جبل الذي أرسل إلى اليمن معلمًا وأميرًا؛ سببًا في معرفة رأي الفقه الإسلامي في بعض قضايا الميراث، وتحديد زكاة الزروع والثمار[٥]؛ كما كانت رسائل الرسول ﷺ إلى عمرو بن حزم بن زيد بن لوذان النجاري، الذي استعمله على أهل نجران، وهو ابن سبع عشرة سنة؛ ليفقههم في الدين، ويعلمهم القرآن، ويأخذ صدقاتهم، وكتب له كتابًا في الفرائض والسنن والصدقات والديات[٦]، وكان من أهمية كتاب ابن حزم هذا أن أرسل الخليفة عمر بن عبد العزيز يلتمسه في

(١) أبو عبد الله محمد بن جعفر الكتاني: نظم المتناثر من الحديث المتواتر، دار الكتب السلفية، القاهرة، مصر، ط٢، (ب – ت)، ص ٦.

(٢) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج ٢، ص ٣٥٠.

(٣) نفسه، ج ٢، ص ٣٠٢؛ الكتاني: التراتيب الإدارية، ج ١، ص ١١٣.

(٤) ابن سعد، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٠٠.

(٥) أبو عبيد القاسم بن سلام: الأموال، ج ١، ص ٧٢؛ البخاري: صحيح البخاري، ج٨، ص ١٥١ (حديث رقم: ٦٧٣٤).

(٦) أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني: معرفة الصحابة، ج ٣، ص ١٤٧٠؛ الكتاني، المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٥.

المدينة، فوُجِدَ عند آل عمرو بن حزم، وهو يعتبر أساسًا للفقه الإسلامي في بعض الموضوعات الفقهيه[١].

وقد ورث البراعة في الفقه بعض التابعين من أبناء الصحابة الخزرجيين وأحفادهم، كان أولهم: خارجة بن زيد بن ثابت (ت ٩٩هـ) الفقيه، المدني، التابعي، الثقة، الإمام ابن الإمام، وأحد الفقهاء السَّبعة الأعلام، وجده لأمه هو: سعد بن الرَّبيع الأنصاري، الخزرجي، نقيب بني الحارث، وقيل عنه: كان الفقه بعد أصحاب رسول الله ﷺ بالمدينة في خارجة بن زيد بن ثابت، وسعيد بن المسيب[٢].

وأمَّا الثاني فكان: عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، الإمام، الحافظ، أبو محمد الأنصاري، صاحب المغازي، وشيخ ابن إسحاق، حدَّث عن: أنس بن مالك، وعروة بن الزُّبير، وعمرة، وطائفة، قال مالك: "كان رجل صدق، كثير الحديث". وقال ابن سعد: "كان عالما، ثقة، كثير الحديث"، وتوفي سنة (١٣٥هـ)[٣].

***

(١) حميد بن زنجويه: كتاب الأموال، ج ٢، ص ٥.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٤٣٧.

(٣) نفسه، ج٥، ص ٣١٤، ٣١٥.

دور الخزرج في تقدم وتطور الشعر العربي

كان عصر البعثة النبوية حافلًا بالشعر، فياضًا به؛ فالخصومة بين رسول الله ﷺ وأصحابه من ناحية، وبين قريش والعرب من ناحية أخرى كانت عنيفة حادة، لم تقتصر على السيف والسنان؛ بل امتدت إلى الشعر والبيان، وإلى المناظرات والجدل، وإلى المناقضات بين شعراء المدينة وشعراء مكة، الذين خاصموا الإسلام وألبوا عليه العرب.

ولم يكن النبي ﷺ يتحرج من الشعر؛ لأنه سلاح ماضٍ من الأسلحة العربية، لا يستغني عنه صاحب دعوة، وهو كتاب الجاهلية، وديوان أخبارها، ولقد كان من أهمية الشعر أن رسول الله ﷺ قال عنه: "إن من الشِّعر حِكْمَة"[١]، وقال - أيضًا:"إن من الْبَيَانِ لَسِحْرا "[٢]؛ ولذلك فقد أفرد له البخاري بابًا في صحيحه أسماه: "باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه"[٣].

ولقد كانت المدينة ذات باع طويل في تاريخ الشعر العربي قبل الإسلام، حتى قال عنها أبو عبيدة: "اجتمعت العرب على أن أشعر أهل المدر[٤] يثرب"[٥]. في حين أن ابن سلام الجمحي عدد شعراء القرى العربية، فقال: "وهي خمس: المدينة، ومكة، والطائف، واليمامة، والبحرين، وأشعرهن قرية المدينة، وشعراؤها الفحول خمسة: ثلاثة من الخزرج، واثنان من الأوس"[٦].

---

(١) البخاري: صحيح البخاري، ج٨، ص ٣٤ (حديث رقم: ٦١٤٥).

(٢) نفسه، ج٧، ص ١٩ (حديث رقم: ٥١٤٦).

(٣) نفسه، ج٨، ص ٣٤.

(٤) **المدر:** الطين اللزج المتماسك، والقطعة منه مدرة، وأهل المدر سكان البيوت المبنية، خلاف البدو سكان الخيام الذين سموا أهل الوبر؛ الخليل بن أحمد: معجم العين، ج٨، ص ٣٨.

(٥) أبو الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٦٨هـ = ١٩٥٠م، ج ٤، ص ١٣٦؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ١، ص ٢٠٧.

(٦) محمد بن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، دار المدني، جدة، السعودية، ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م، ج ١، ص ٢١٥.

ومن شعراء يثرب: عمرو بن امرئ القيس، وهو جد عبد الله بن رواحة، وهو شاعر خزرجي جاهلي، وله شعر في القتال الذي وقع بين الأوس والخزرج بسبب حرب (سُمير)، والتي استمرت عشرين عامًا، واشتهرت له فيها قصيدة يخاطب بها مالك بن العجلان، وكان الصلح في تلك الحرب على يد ثابت بن المنذر، والد حسان بن ثابت، وبذلك انتهى النزاع[١].

ويعد مالك بن العجلان - سيد الأنصار في زمانه، وهو قاتل الفِطْيَون - من جملة شعراء يثرب[٢]، ومنهم - أيضًا - عمرو بن الإطنابة، ملك الحجاز ومن شعراء يثرب، وهو من الخزرج، وقد عدَّه حسان بن ثابت أشعر الناس[٣].

وهناك صرمة بن أبي أنس، من بني عديٍّ بن النجار، قال ابن إسحاق: "كان رجلًا قد ترهب في الجاهلية، ولبس المسوح، وفارق الأوثان، واغتسل من الجنابة، واجتنب الحائض من النساء، وهَمَّ بالنصرانية ثم أمسك عنها، وقال أنا على دين إبراهيم، فلم يزل بذلك حتى قدم النبي ﷺ المدينة فأسلم وحسن إسلامه"، وكان قوالًا بالحق يعظم الله في الجاهلية، ويقول أشعارًا في ذلك حسانًا"[٤].

ولما قدم النبي ﷺ إلى المدينة، استطاع أن يؤاخي بين المهاجرين والأنصار، وأن يصلح بين الأوس والخزرج، وفي هذا الوقت خمدت نيران النزاع في المدينة، ولم يعد الشعراء يجدون موضوعًا آخر ينظمون فيه ويعبرون عن ذواتهم من خلاله؛ كما كانوا يفعلون في الجاهلية، فكان تناول قريش بالهجاء للرسول ﷺ، وتصدي الأنصار للدفاع عنه ﷺ، سببًا في تأجج الصراع الشعري بين المسلمين وقريش، وكان في خلفية هذا الصراع، ذلك التنافس بين مكة والمدينة، الذي كان مستعرًا في الجاهلية، فقال رسول الله

---

(١) الزركلي: الأعلام، ج٥، ص ٧٣.

(٢) ابن دريد: الاشتقاق، ج ١، ص ٤٥٧.

(٣) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج٩، ص ٧٢٠.

(٤) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ١، ص ٤٤٢.

ﷺ: "ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله ﷺ بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟!"، فقال حسان: أنا لها، وأخذ بطرف لسانه، وقال كعب بن مالك: أنا يا رسول الله، وقال عبد الله بن رواحة: أنا يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ لحسان: "كيف تهجوهم وأنا منهم وكيف تهجو أبا سفيان وهو ابن عمي"، فقال: والله لأسلنك منهم، فقال له إيت أبا بكر؛ فإنه أعلم بأنساب القوم منك، فجعل حسان يهجوهم، فلما سمعت قريش شعر حسان قالوا: "إن هذا الشعر ما غاب عنه ابن أبي قحافة"[١].

وقال ابن سيرين: "وانتدب لهجو المشركين ثلاثة من الأنصار حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، فكان حسان وكعب بن مالك يعارضانهم بمثل قولهم في الوقائع والأيام والمآثر، ويذكران مثالبهم، وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر وعبادة ما لا يسمع ولا ينفع، فكان قوله يومئذ أهون القول عليهم، وكان قول حسان وكعب أشد القول عليهم، فلما أسلموا وفقهوا كان أشد القول عليهم قول عبد الله بن رواحة"[٢].

حسان بن ثابت (ت ٥٤هـ) وشعره:

هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصاري بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار، سيد الشعراء المؤمنين، المؤيد بروح القدس، أبو الوليد - ويقال: أبو الحسام[٣] - الأنصاري، الخزرجي، النجاري، المدني، ابن الفريعة، شاعر رسول الله ﷺ وصاحبه[٤].

---

(١) البخاري: صحيح البخاري، ج٨، ص ٣٦ (حديث رقم: ٦١٥٠)؛ ابن قتيبة: المعارف، ص ٣١٢؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج٥، ص ٥٠، ٥١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٥١٢.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ١، ص ٢٠٦.

(٣) أبو القاسم بن بشر الآمدي: المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم، تحقيق: ف.كرنكو، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١١هـ = ١٩٩١م، ص ١١٢.

(٤) الذهبي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٥١٢.

وقد قال رسول الله ﷺ عن حسان: "إن الله ليؤيده بروح القدس ما نافح عن نبيه"[١]، وقال له أيضًا: "اهجُ قريشا؛ فإنه أشد عليها من رشق النبل"[٢]. وقال أبو عبيدة: "فضل حسان على الشعراء بثلاث: كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي في أيام النبوة، وشاعر اليمن كلها في الإسلام"[٣]، وبعد أن عدد ابن سلام شعراء المدينة قال: "وأشعرهم حسان بن ثابت، وهو كثير الشعر جيده"[٤]، وقال الأصمعي: "حسان بن ثابت أحد فحول الشعراء"[٥]، وقال الحطيئة: "أبلغوا الأنصار أن شاعرهم أشعر العرب"[٦].

ومما يدل على قوة تأثير الشعر وأهميته في تلك الفترة، ما ذكر من أن حسان بن ثابت رمى عبد الله بن الزِّبَعري الشاعر القرشي وهو بنجران ببيت واحد ما زاده عليه، فقدم المدينة فأسلم، وكان من أشعر قريش[٧]، وكان الحارث بن عوف بن أبي حارثة المُرّيِّ، أحد زعماء العرب، جاء النبي ﷺ، فقال: "ابعث معي من يدعو إلى دينك وأنا له جار"، فأرسل معه رجلًا من الأنصار، فغدرت به عشيرته فقتلوا الأنصاري، فقدم على رسول الله ﷺ يعتذر، فقال رسول الله: ادعوا لي حسانًا، فدعي له، فلما رأى الرجل، أنشد

---

(١) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج ٤، ص ٣٢٣؛ البخاري، صحيح البخاري، ج٨، ص ٣٦ (حديث رقم: ٦١٥٢)؛ أبو الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني: ج ٤، ص ٦؛ أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني: زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧ هـ = ١٩٩٧م، ج ١، ص ٣٦؛ الألوسي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج ٣، ص ١٣٢.

(٢) الأصبهاني: معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٨٤٦؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج٥، ص ٥٠، ٥١؛ أبو إسحاق الحصري، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٩.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، مصدر سابق، ج ٣، ص ٤؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ١، ص ٢٠٧.

(٤) محمد بن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ج ١، ص ٢١٥.

(٥) ابن عبد البر، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٠٧.

(٦) نفسه.

(٧) تقي الدين المقريزي: إمتاع الأسماع، ج١٣، ص ٣٨٧.

أنشد أبياتًا جعلته يقول: "يا محمد، أجِرْنِي من شعر حسان، فوالله لو مُزِج به ماء البحر لمزجه"، وأدى إليه سبعين ناقة عُشَرَاء دية الخفارة(١).

ولما ذهب كعب بن الأشرف يحرض كفار مكة بعد انتصار المسلمين في بدر، نزل على المطَّلب بن أبي وداعة السَّهمي، وعنده عاتكة بنت أبي القيس بن أمية، فأنزلته وأكرمته، وجعل يحرض على رسول الله ﷺ والمسلمين، فهجا حسان بن ثابت المطلب وامرأته عاتكة، فطردته من منزلها، فرجع إلى المدينة(٢).

وعندما أسرت هذيل بعض المسلمين وباعتهم من قريش، هجاهم حسان هجاء مُرًّا، وصفهم فيه باللؤم، واللؤم عند العرب من أقبح المعيبات، فقد قال فيهم:

لَـوْ خُلِـقَ اللّـؤْمُ إنْـسَانًا يُكلِّمُهـمْ ... لَكَـان خَيْـرَ هُذَيْـلٍ حِـينَ تَأْتِيهَـا

تَبْكِـي الْقُبُـورُ إذَا مـا مَـاتَ ميِّـتُهُمْ ... حَتَّى يَصيحَ بِمَنْ في الأَرْضِ دَاعِيها(٣)

كان للشعر العربي أثر كبير في صياغة فكر القوم، وتكوين فلسفتهم؛ إذ إنه مستودع علمهم، وسجل حكمتهم، ومصدر معرفتهم، وإننا حين نطالع شعر حسان نجد صفحة تاريخية جليلة، ونطلع على ابتكار فن جديد؛ ألا وهو فن الشعر السياسي، الذي يراد به نصرة الدولة الإسلامية الناشئة ونصرة رسولها(٤)، وقد كانت هذه المنافرات التي قادها حسان بمثابة جهاد عنيف، كانت الرغبة منه الدفاع عن الإسلام ورسوله ﷺ.

ولحسان في المدح والهجاء قصائد كثيرة، مختلفة الأسلوب، فله في مدح النبي ﷺ أسلوب غير الأسلوب الذي عهدناه في الجاهلية؛ فهو لا يُشَبِّه النبي ﷺ كمن يريد

---

(١) محمد بن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ج ١، ص ٢١٩؛ أبو الفرج الأصفهاني، مصدر سابق، ج ٤، ص ١٥٥.

(٢) الديار بكري: تاريخ الخميس، ج ١، ص ٤١٣.

(٣) حسان بن ثابت: ديوان حسان بن ثابت، جمع وشرح: عبدأ مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م، ص ٢٥٣.

(٤) بطرس البستاني: أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، ص ٢٧٦.

الاستجداء والتكسب من ممدوحه؛ بل يعنى بوصف شمائله الغُرّ، ويلح في ذكر الرسالة والتصديق بها، وذكر ما حمل الإسلام من نور وهداية، ويُعَرِّض بمن أنكر النبوة وكذب بها؛ فهذا مدح جديد في نوعه وطريقته، جديد في تعابيره وألفاظه، يعبر عن فطرة سليمة صقلها الدين وجلاها الإيمان، حتى إننا نجد ألفاظًا إسلامية جديدة لم نألفها من قبل، كقوله في أشعاره: جبريل أمين الله، وروح القدس، وأرسلت عبدًا، وشهدت به، ورسول الله[١].

وليست ميزة حسان في شعره مقصورة على خصائصه في المدح والهجاء، بل له خاصية ذات منزلة عالية، وهي خاصية المؤرخ الأمين لحوادث عصره، فإنَّه يحدثنا عن غزوات النبي ﷺ وأيامها، ويذكر لنا أسماء من قتل من الصحابة ومن قتل من المسلمين، ويرثي من قُتِل من الخلفاء الراشدين، فكأنك وأنت تقرأ شعره، تطالع نبذة من تاريخ الصدر الأول للإسلام[٢].

وقد مدح رسول الله ﷺ شعر حسان فقال: "أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن، وأمرت حسّان بن ثابت فشفى واشتفى "[٣].

كعب بن مالك (ت ٥٠هـ) وشعره:

هو كعب بن مالك بن أبي كعب، عمرو بن القَين بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب ابن سلمة الأنصاري، الخزرجي، العقبي، شاعر رسول الله ﷺ وصاحبه، وأحد الثلاثة الذين خُلِّفُوا، فتاب الله عليهم، شهد العقبة الثانية، واختلف في شهوده بدرًا، وشهد أُحدًا

(١) بطرس البستاني: أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، ص ٢٧٨.

(٢) عبد اللطيف حمزة: الإعلام في صدر الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م، ص ١٨٤.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني، ج ٤، ص ١٤٣؛ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني: معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٨٤٦؛ تقي الدين المقريزي: إمتاع الأسماع، ج ١٠، ص ٤١.

والمشاهد كلها ما عدا تبوك[١]، وقيل: إن كنيته في الجاهلية كانت أبا بشير، فكناه النبي ﷺ أبا عبد الله[٢].

ولقد أخرج له أصحاب السنن عدَّة أحاديث في الكتب الستة، بلغت ثمانين حديثا[٣]، اتفق له البخاري ومسلم على ثلاثه منها، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بحديثين[٤].

وقد اشتهر بيت كعب بالشعر[٥]؛ كما اشتهر بالعلم والحديث، فقد روى الحاكم أن عبيد الله بن كعب بن مالك كان من أعلم قومه[٦]، وأن عبد الله بن كعب بن مالك كان من أعلم الأنصار، وعبد الرحمن بن كعب بن مالك كان ثقة، وهو أكثر حديثًا من أخيه[٧]، وأن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب عُدَّ من فقهاء المدينة البارزين، وقيل إنه من أعلم قومه وأوعاهم[٨].

وقدَّرَ رسول الله ﷺ لكعب إيمانه وأمانته، فولاه في السنة التاسعة للهجرة صدقات أسلم وغِفَار[٩]، وكان كعب يُتقن الكتابة، ويعرف الحساب، فأرسله النبي ﷺ ليُعَلِّم حدود حرم المدينة[١٠].

---

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ٢، ص ١٨٢.

(٢) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج ٤، ص ٣٩٤؛ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، ج ٣، ص ٥٤١؛ ابن عبد البر، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٨١؛ ابن حجر: الإصابة، ج٥، ص ٣٠٨، ٣٠٩.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٥٢٣.

(٤) ابن حزم: جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم، تحقيق: إحسان عباس، دار المعارف، مصر، (ب – ت)، ج ١، ص ٢٧٨.

(٥) أبو الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني، ج١٥، ص ٢٦؛ ابن حزم، المصدر السابق، ج ١، ص ٣١٤.

(٦) أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المصدر السابق، ج ٣، ص ٥٤١.

(٧) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج٧، ص ٢٦٩.

(٨) شمس الدين السخاوي: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، دار الثقافة، القاهرة، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٠م، ج٢، ص ٥٠٥.

(٩) ابن سعد، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤٧.

(١٠) السمهودي: وفاء الوفا، ج ١، ص ٢٠٢.

وقد حارب كعب أعداء الله بلسانه، وذب عن الرسول ﷺ بشعره، وجاهد بسيفه، حتى شهد له رسول الله ﷺ فقال له: "أنت تحسن صفة الحرب"[١]. وعن عبد الرحمن بن كعب عن أبيه أنه قال: "يا رسول الله ! قد أنزل الله في الشعراء ما أنزل"، فرد رسول الله قائلًا: "إن المجاهد مجاهد بسيفه ولسانه"[٢].

ولقد تولى كعب في عهد عثمان بن عفان صدقات مزينة[٣]، وعندما اشتعلت الفتنة الكبرى وقف كعب مساندًا لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومؤيدًا له حتى استشهاده.

ولكعب بن مالك أصل عريق في الشعر، فقد ذكر ابن سيرين أن كعبًا قال بيتين كانا سببًا في إسلام قبيلة دوس، وهما:

قضينا من تهامة كل وترٍ   وخيبرَ ثُمَّ أغمدنا السيوفا

تخبرنا ولو نطقت لقالت   قواطعهن دوسًا أو ثقيفا[٤]

فلما بلغ دوسًا ما قال كعب قالوا: انطلقوا فخذوا لأنفسكم، لا ينزل بكم ما نزل بثقيف[٥].

ويستغرق الفخر من شعر كعب أكثره، وقد تطور هذا الفن على يديه، ولم ينس كعب قومه، وذكر مآثرهم، ولكن لم يكن فخره بهم على الأساس القبلي، وإنما راح يفخر بهم باعتبارهم أنصار الإسلام، وحملة دعوته الأوائل[٦]، وقد روت كثير من كتب الأدب قول كعب:

---

(١) أبو إسحاق الحصري: زهر الأداب وثمر الألباب، ج ١، ص ٣٧؛ أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري: جمع الوسائل في شرح الشمائل، المطبعة الشرفية، مصر، (بدون تاريخ)، ج ٢، ص ٤٢.

(٢) الحافظ جمال الدين المزي: تهذيب الكمال، ج٢٤، ص ١٩٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٥٢٥، الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٩، ص ٤٦٨.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٨٢.

(٤) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ٢، ص ١٨٢؛ ابن حجر: الإصابة، ج٥، ص ٣٠٩.

(٥) نفسه، ج ٢، ص ١٨٣؛ ابن حجر، المصدر السابق، ج٥، ص ٣٠٩.

(٦) سامي مكي العاني: ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص ٨٣.

وإِنْ قَصُرَتْ أَسيافُنا كانَ وَصْلُها خُطَانَا إِلى القَوْم الَّذِين نُضارِبُ[١]

جعله بعضهم أكرم بيت وصف به رجل قومه في حرب[٢]، وعده بعضهم أمدح بيت قالته العرب في الشجاعة[٣]، وقيل عنه: أشجع بيت قالته العرب، وعده ابن قتيبة من الأبيات التي لا مثيل لها[٤].

وقد ثبت أن رسول ﷺ كان يثقف[٥] له بعض شعره، ويرشده إلى المعاني الإسلامية، وكان كعب يفتخر بهذا ويقول: "ما أعان رسول الله ﷺ أحدًا في شعره غيري"[٦]، ويروى أن النبي ﷺ خرج على كعب وهو في مسجد الرسول فلما رآه قال: ما كنتم فيه؟ فقال كعب: كنت أنشد بيتًا: "مُقاتلُنا عن جذْمِنا[٧] كُلَّ فَخْمةٍ"، فقال رسول الله ﷺ: لا تقل عن جذمنا، ولكن قل: مقاتلنا عن ديننا[٨].

وقد برع كعب في الهجاء، الذي تميز بعفة ألفاظه، وبُعد معانيه عن الفحش والفجور، وخاصة عندما هجا قريشًا قَائلًا:

جَاءَتْ سَخِينَةُ[٩] كَيْ تُغَالِبَ رَبَّهَا فَلَيُغْلَبَنّ مُغَالِبُ الْغَلاّبِ[١٠]

---

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج٥، ص ١٧٢.

(٢) أبو علي إسماعيل بن القاسم: ذيل الأمالي، دار الكتب المصرية، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٣٠.

(٣) أبو إسحاق الحصري: زهر الأداب وثمر الألباب، ج ٢، ص ١٦٤.

(٤) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: عيون الأخبار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م، ج ٢، ص ١٩٣.

(٥) **يثقف:** ثقفت الشَّيء أثقَفُه ثَقْفًا، إذا حَذَقْتَه وأحكمتَه، وكل شيءٍ قوَّمتَه فقد ثقَّفته، أي: قوْمه وعدّله؛ ابن دريد: الاشتقاق، ج ٢، ص ٣٠١.

(٦) أبو العباس محمد بن يزيد الثمالي الأزدي: الشهير بالمبرد، الفاضل، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٦م، ص ١٢.

(٧) **جذْمُ القَومِ:** أصلهم؛ الخليل بن أحمد: العين، ج٦، ص ٩٦.

(٨) أبو الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني، ج١٥، ص ٢٨؛ سامي مكي العاني: ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص ١٤٢.

(٩) **سخينة:** يقصد قريش، وإنما كانت العرب تسميهم بذلك لكثرة أكلهم الطعام السُّخن الذي لا يتهيأ لغيرهم غالبًا من أهل البوادي، ولم تكن قريش تكره هذا اللقب، ولو كرهته لما استجاز كعب أن يذكره ورسول الله ﷺ منهم، ولتركه أدبًا مع رسول الله ﷺ؛ الزبيدي: تاج العروس، ج٣٥، ص ١٧٦.

(١٠) ابن هشام: سيرة النبي، ج ٢، ص ١٤٥؛ أبو الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني، ج١٥، ص ٢٦.

فقال له رسول الله ﷺ: "لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا"[١].

ولقد برع كعب في فن الرثاء - أيضًا - فقد رثى عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأربعة وسبعين بيتًا، وحمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسبعة وخمسين بيتًا، وعبيدة بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بخمسة أبيات، وقد ترددت أسماء بعض الصحابة في ثنايا قصائده، رثاهم ببيت أو بيتين[٢]. وقد ورد عن السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها كانت تقول: "الشعر منه حسن ومنه قبيح، ولقد رويت من شعر كعب بن مالك أشعارًا، منها القصيدة فيها أربعون بيتًا"[٣].

وقد وجد الجغرافيون في شعره موردًا لا ينضب لما تحدثوا عنه من الأمكنة والبلدان؛ فالبكري استشهد به في مواضع كثيرة من كتابه (معجم ما استعجم)، واستشهد به ياقوت في (معجم البلدان)، وكذلك السمهودي في (وفاء الوفا).

أما المؤرخون فقد وجدوا في شعره ما يعينهم على تثبيت الحوادث والأعلام، فقد كان مؤرخًا أمينًا لحوادث عصره[٤]، فقد ذكر له ابن هشام في السيرة[٥] أربعمائة واثنتين وثلاثين بيتًا[٦].

كما أورد له أبو الفرج الأصفهاني في (الأغاني) ثمانية وثلاثين بيتًا، وذكر له أبو الفتح ابن سيد الناس في (عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير) اثنين وثلاثين بيتًا، ولقد ذكر له ابن كثير في (البداية والنهاية) ثلاثمائة وستة عشر بيتًا، وذكر له محمد بن يحيى ابن أبي بكر المالقي الأندلسي في كتابه (التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان) شعرًا كثيرًا، بلغ اثنين وستين بيتًا، وأورد له ابن سلام في (طبقات فحول الشعراء) ستة عشر

---

(١) نفس المرجعين السابقين.

(٢) سامي مكي العاني: ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص ١١٧.

(٣) السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٩هـ = ١٩٩٨م، ج ٢، ص ٢٦٥.

(٤) سامي مكي العاني: ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص ١٤٩.

(٥) ورد هذا العدد من الأبيات في السيرة لابن هشام، طبعة المستشرق وستنفلد بمدينة جوتنجن بألمانيا سنة (١٨٦٢م).

(٦) سامي مكي العاني، المصدر السابق، ص ١٥٤.

بيتًا، وله في (معجم ما استعجم) تسعة أبيات، وفي (معجم البلدان) عشرة أبيات، وذكر له ابن حبيب في (المحبر) أربعة عشر بيتًا(١).

عبد الله بن رواحة (ت ٨هـ) وشعره:

هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن مالك الأغرِّ بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، وأمه كَبْشَة بنت واقد بن عمرو بن الإطنابة بن عامر بن زيد مناة بن مالك الأغرِّ الخزرجي(٢).

وكان عبد الله بن رواحة يكتب في الجاهلية، وكانت الكتابة في العرب قليلة، وشهد عبد الله بيعة العقبة مع السبعين من الأنصار في روايتهم جميعًا، وهو أحد النقباء الاثني عشر من الأنصار، وشهد بدرًا، وأحدًا، والخندق، والحديبية، وخيبر، وعمرة القضية(٣).

وقد شهد لابن رواحة بحسن الشعر وجودته عدد من نقاد الشعر ورواته، فقال عنه ابن سلام في طبقاته: "وعبد الله بن رواحة عظيم القدر في قومه، سيِّد في الجاهلية، ليس في طبقته التي ذكرنا أَسْوَدُ منه"(٤)، وورد عن الآمدي في (المؤتلف والمختلف) : "هو شاعر محسن وفارس"(٥)، وقال عنه ابن عبد البر: "إنه أحد الشعراء المحسنين"(٦).

ولقد كان ابن رواحة شديد الولاء لقومه، فكان يفخر بهم غالبًا، ولا نجده في شعره يفخر بذاته، على الرغم من أنه كان يستطيع أن يفعل ذلك؛ فقد كان سيدًا في قومه، وفارسًا وبطلًا، ولقد كانت عشيرته من ذؤابة الناس وسنامهم، ولكنه آثر أن يتجه إلى

---

(١) سامي مكي العاني: ديوان كعب بن مالك الأنصاري، ص ١٥٦، ١٦٠.

(٢) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج ٣، ص ٤٨٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١، ص ٢٣٠؛ ابن حجر: الإصابة، ج١، ص ١٦.

(٣) ابن سعد، المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٨٧.

(٤) محمد بن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ج ١، ص ٢٢٣.

(٥) أبو القاسم بن بشر الآمدي: المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم، ص ١٦٠.

(٦) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ١، ص ٥٣٦.

الفخر بالجماعة، ولعلنا في مقارنة عابرة بينه وبين حسان بن ثابت مثلًا، نجد حسانًا دائم الفخر بنفسه، وكان صوت الذات الفردية عنده طاغيًا متميزًا[١].

ولعبد الله بن رواحة في ديوانه الشعري مائتان وسبعة عشر بيتًا، من هذا الشعر، اثنان وخمسون بيتًا جاهليًّا، ومائة وخمسة وستون بيتًا إسلاميًّا[٢].

ولقد كان شعر ابن رواحة متعدد الأغراض؛ ما بين المدح والرثاء وغيره، فقد رثى حمزة بن عبد المطلب بقصيدة من ستة عشر بيتًا[٣]، وقال مادحًا رسول الله ﷺ:

إنّي تَفَرَّسْتُ فيكَ الخيرَ أعرفُه ... والله يعلَمُ أَنْ ما خانَني البَصَرُ

أنتَ النَّبِيُّ وَمَنْ يُحْرَمْ شَفَاعَتَه ... يومَ الحسابِ فقد أَزْرَى به القَدَرُ

فَثَبَّتَ اللهُ ما آتاكَ مِنْ حُسَنٍ ... تَثْبِيْتَ مُوسى ونصرًا كالذي نُصِرُوا

فقال له رسول الله ﷺ: "وأنت فثبتك الله يا ابن رواحة"[٤].

كما كان هناك شعراء آخرون، منهم: النُّعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري، الأمير، العالم، صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه، ابن أخت عبد الله بن رواحة، له في المسند: "مائة وأربعة عشر حديثًا، اتفق له الشيخان على خمسة، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بأربعة"[٥].

كما كان من كبار الشعراء، ومن عائلة كانت كلها شعراء؛ فلقد كان جده شاعرًا، وكان أبوه شاعرًا، وكان عمه شاعرًا، وكذلك كان أولاده وأحفاده شعراء[٦].

***

(١) وليد قصاب: ديوان عبد الله بن رواحة ودراسة في سيرته وشعره، دار العلوم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م، ص ٧٤.

(٢) نفسه، ص ١١١.

(٣) نفسه، ص ١٠٠.

(٤) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ١، ص ٥٣٨.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٤١١.

(٦) أبو الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني، ج١٤، ص ١٢٠.

٢- الصحابة الخزرجيون في الأقاليم المفتوحة

كان بدء خروج صحابة الخزرج إلى الأقاليم المفتوحة من عهد رسول الله ﷺ؛ فقد ولى زياد بن لبيد البياضي الخزرجي حضرموت ثم ضم إليه كِنْدَة[١]، واستعمل عمرو بن حزم الخزرجي النجاري على أهل نجران، وهو ابن سبع عشرة سنة؛ ليفقههم في الدين ويعلمهم القرآن ويأخذ صدقاتهم، وذلك سنة عشر للهجرة بعد أن أسلموا[٢]، وولى معاذ بن جبل الخزرجي على الجُنْد[٣]، وصير إليه القضاء، وقبض جميع الصدقات باليمن[٤].

وفي عهد عمر بن الخطاب كتب إليه يزيد بن أبي سفيان واليه على الشام قائلًا: "إن أهل الشام قد كثروا وملأوا المدائن، واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم أمور دينهم، فأعنِّي برجال يعلمونهم"، فأخرج عمر: معاذ بن جبل إلى فلسطين، وعبادة بن الصامت إلى حمص، وأبو الدرداء إلى دمشق[٥]، وبعد أن استقر أبو الدرداء بدمشق، ولاه معاوية قضاءها بأمر عمر بن الخطاب، وهو أول قاض بها[٦].

وقد تتابع الخزرجيون على قضاء دمشق؛ فقد تولاه النعمان بن بشير (ت ٦٤هـ)، وكان قد شهد "صفين" مع معاوية، ثم ولاه القضاء بدمشق (سنة ٥٣ هـ)، ثم استعمله على الكوفة تسعة أشهر، ثم عزله وولاه حمص، واستمر فيها إلى أن مات يزيد بن معاوية، فلما

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٣٩.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ٢، ص ٩١؛ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي: السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في حيدر آباد، الهند، ط١، ١٣٤٤ هـ = ١٩٢٥م، ج٨، ص ٨١؛ ابن حجر: الإصابة، ج ٤، ص ٢٩٣.

(٣) **الجُنْد:** من أعمال اليمن، وفيها ثلاثة وثلاثون منبرًا قديمة، وبها مسجد بناه معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٦٩.

(٤) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٤٩؛ البيهقي، المصدر السابق، ج ٤، ص ٩٦.

(٥) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، ج ٢، ص ٣٠٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٣٤٤.

(٦) ابن عبد البر، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٢٤؛ ابن حجر: الإصابة، ج٥، ص ٤٦؛ الزركلي: الأعلام، ج٥، ص ٩٨.

مات يزيد صار زبيريًّا، فخالفه أهل حمص فأخرجوه منها واتبعوه فقتلوه[١]، ثم تولى بلال ابن عويمر أبي الدرداء (ت ٩٣هـ) إمارة دمشق، ثم تولى قضاءها في زمن يزيد وبعده، حتى عزله عبد الملك بن مروان[٢].

كما كان هناك الكثير من الصحابة الخزرجيين الذين دخلوا مصر أثناء الفتح الإسلامي لها، منهم: عبادة بن الصامت بن قيس الخزرجي، وكان من سادات الصحابة، وأول من تولى قضاء فلسطين[٣]، شهد فتح مصر، ولأهلها عنه نحو عشرة أحاديث[٤]، كما شهد أبو أيوب الأنصاري فتح مصر[٥]، وشهد أبو الدرداء فتحها - أيضًا - ولأهلها عنه خمسة أحاديث[٦].

ولقد تفرقت الدَّوْحَة الخزرجية في البلاد، وأصبح لها فروع في بعض الأمصار الإسلامية؛ فقد رصد لهم القلقشندي في (صبح الأعشى) قائلًا: "ولهم بقايا كثيرة متفرقة بالمشرق والمغرب، وإن منهم جماعة بمنفلوط من صعيد مصر من عقب حسان بن ثابت"[٧]، ولزيد بن سهل - أبو طلحة الأنصاري النجاري - البدري العقبي، عقب كثير بالبصرة[٨]؛ أما أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ فله عقب كثير في البصرة، خاصة وأن أنس لم يمت حتى مشى أمامه مائة رجل من ولده، يرجعون بنسبهم إليه[٩]، ولجابر

(١) محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي: الثقات، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، القاهرة، ط١، ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م، ج ٣، ص ٤٠٩؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ٢، ص ٢٩٤؛ الزركلي: الأعلام، ج٨، ص ٣٦.

(٢) ابن حبان، المصدر السابق، ج ٤، ص ٦٤؛ الحافظ جمال الدين المزي: تهذيب الكمال، ج ٤، ص ٢٨٥، ٢٨٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٤١٢.

(٣) ابن عبد البر، المصدر السابق، ج١، ص ٤٨٦.

(٤) السيوطي، در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة، تحقيق: حمزة النشرتي، وآخرون، (د - ت)، ص ٦٥.

(٥) نفسه، ص ١٢١.

(٦) نفسه، ص ١٢٣.

(٧) أحمد بن علي القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: يوسف علي طويل، دار الفكر، دمشق، سورية، ط١، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م، ج ١، ص ٣٧٢.

(٨) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ج ٢، ص ٣٤٧.

(٩) نفسه، ج ٢، ص ٣٥١.

ابن عبد الله بن حرام المُحَدِّث الشهير، عقب في جهة ولاية إفريقية[١]، أما النعمان بن بشير فله عقب كثير بالأندلس، بقرية من أعمال إشبيلية[٢]، ولسعد بن عبادة عقب بالأندلس، من ولده سعيد بن سعد، بقرية من أعمال سَرَقسطة[٣].

أما ولد قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي فقد استطاعوا تكوين دولة بالأندلس[٤]، عندما تمكن محمد بن يوسف بن محمد (ت ٦٧١هـ)، من آل نصر بن الأحمر الخزرجي الأنصاري، من إنشاء دولة بني الأحمر (٦٢٩هـ - ٨٩٧هـ) [٥]، وتعرف بالدولة النصرية[٦].

وهكذا يتضح لنا أنه كانت لقبيلة الخزرج أهمية كبرى في تقدم الحياة العلمية بالمدينة وتطورها، وخاصة في علم القراءات والفتوى والتفسير والحديث؛ كما أن للخزرج دورًا يسجل في التاريخ بمداد من ذهب في جمع القرآن في عهد أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ونسخ القرآن في عهد عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ كما كان هناك الكثيرون من الخزرج، كانوا من كبار المصنفين في التراث الإسلامي على مدار تاريخه، كان أهمهم ابن أبي أصيبعة السعدي الخزرجي (ت ٦٦٨هـ)، الطبيب المشهور، وله مؤلف واحد لم يسبق إليه هو "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" [٧]، والإمام شمس الدين القرطبي، الخزرجي، الأندلسي (ت ٦٧١هـ)، صاحب تفسير "الجامع لأحكام القرآن"[٨].

---

(١)ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ج ٢، ص ٣٥٩.

(٢) نفسه، ج ٢، ص ٣٦٥.

(٣) **سَرَقُسطة:** بفتح أوله وثانيه ثم قاف مضمومة، وهي بلدة مشهورة بالأندلس، ذات فواكه عذبة، مبنية على نهر كبير؛ ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢١٣؛ ابن حزم، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٦٦.

(٤) أحمد بن علي القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٧، ص ٤٤٠.

(٥) أصلهم من أرجونة من حصون قرطبة، ولهم فيها سلف في أبناء الجند، ويعرفون ببني نصر، وينسبون إلى سعد بن عبادة سيد الخزرج؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ٤، ص ٢١٨.

(٦) ابن خلدون، المصدر السابق، ج ٤، ص ٢١٨؛ الزركلي: الأعلام، ج٧، ص ١٥١.

(٧) ابن أبي أُصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، دار الحياة، بيروت، (بدون تاريخ)، ص٥.

(٨) الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج٤١، ص ١٣٣.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير خلق الله، محمد ﷺ وعلى الصحابة الكرام من المهاجرين والأنصار.

أما بعد؛

فقد كان من أبرز النتائج التي توصلت إليها بعد الانتهاء من هذا البحث ما يلي:

١- أن قبيلة الخزرج التي تنحدر من قبائل الأزد اليمنية، ترجع في نسبها إلى الخزرج بن حارثة، وأن الأوس والخزرج يُنْسَبَان إلى أمهما، فيُعرفان بابني قَيْلة. وقد تفرعت من الخزرج بن حارثة خمس فروع كبرى ضمت جميع البطون الخزرجية، وأن سيل العرم الذي هدم سد مأرب، كان سببًا في هجرة الأوس والخزرج والاستقرار بيثرب، فقام الصراع الذي انتهى بانتصار الأوس والخزرج على يهود المدينة، وسرعان ما دب النزاع بينهما، والذي أدى في النهاية إلى انهيار قوة الفريقين، ومهد الطريق لعلو كعب الإسلام وانتشاره سريعا بين سكان المدينة.

٢- أن الحياة الاجتماعية عند قبيلة الخزرج كانت متوائمه مع بيئتها، ومع ما هو سائد في شبة الجزيرة العربية، من عادات وتقاليد وغيرها، كما كان للأسرة الخزرجية دور عظيم في النهوض باقتصاد المدينة عن طريق العمل في الزراعة والرعي والتجارة، فأدى هذا للتنوع في مصادر الدخل الذي جعل المدينة أيسر حياةً من مكة، وأكثر منها في التطور الحضاري، كما كانت الديانات داخل يثرب متنوعة؛ فالغالبية العظمى من السكان كانوا يعبدون الأوثان والأصنام كالخزرجيين؛ بالإضافة لوجود الديانة اليهودية وأتباعها من اليهود، وبعض العرب الذين آمنوا بها نتيجة التجاور الحضاري.

٣- كان دخول قبيلة الخزرج في الإسلام، بعد بيعتي العقبة الأولى والثانية، مُمَهِّدا لأن تحتل القبيلة دورًا ذا أهمية كبرى في تاريخ المدينة، حيث وصل عدد من شارك منهم في الغزوات نسبة كبيرة، بلغت أكثر من النصف في غزوة بدر، التي حضرها من الخزرج مائة

وسبعون رجلًا، كما كان لهم دور في السرايا التي بثها رسول الله ﷺ في أنحاء شبه الجزيرة، وتولوا القيادة فيها.

٤- أن منافقي المدينة بقيادة عبد الله بن أبي بن سلول كانوا سببًا في حدوث بعض القلاقل داخل المدينة، وخاصة مع المهاجرين، حتى استطاع الرسول ﷺ

أن يُحيِّد تلك الفئة، ويوطد أركان دولة الإسلام في المدينة، وقد توفي رسول الله ﷺ فزادت المدينة أهمية وبلغت شهرتها الآفاق لدفن رسول الله ﷺ بها.

٥- أن عصر الخلفاء الراشدين كان عصرًا ارتفعت فيه مكانة قبيلة الخزرج، بعد أن اختار منها الراشدون من تولى مناصب ذات أهمية في الدولة الإسلامية، كقيادة الجيوش وجمع الصدقات والزكاة، وتولى القضاء، كما كان للصحابة الخزرجيين دورٌ في الحركة العلمية داخل المدينة كزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وعويمر أبو الدرداء، وأبي بن كعب النجاري.

٦- أنه كان لقبيلة الخزرج أهمية كبرى في تقدم الحياة العلمية بالمدينة وتطورها، وخاصة في علم القراءات والفتوى وتفسير القرآن الكريم ورواية الحديث، كما كان لهم دور في جمع القرآن في عهد أبي بكر - رضي الله عنه -، ونسخ القرآن في عهد عثمان بن عفان - رضي الله عنه -، وقد كان هناك الكثيرون من الخزرج الذين كانوا من كبار المصنفين في التراث الإسلامي، كما كانت القبيلة الخزرجية سببًا في تقدم الشعر العربي وتطوره.

٧- أن الصحابة الخزرجيين انتشروا في الأقاليم المفتوحة بعد الفتوحات، وأصبح لهم ذرية في بعض البلدان الإسلامية، كمصر والأندلس والمغرب العربي.

***

قائمة المصادر والمراجع

(١) **القرآن الكريم**.

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي (٦٣٠هـ):

(٢) **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق: علي معوض، عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١ (١٤١٧هـ = ١٩٩٦م).

(٣) **الكامل فى التاريخ**، تحقيق: أبو الفدا القاضي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، الجمهورية اللبنانية (١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م).

الأدنروي، أحمد بن محمد (ت ١٠٣٣هـ):

(٤) **طبقات المفسرين**، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، ط١ (١٤١٧هـ = ١٩٩٧م).

ابن إسحاق، محمد بن يسار (١٥١هـ):

(٥) **السيرة النبوية**، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م).

الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٣٣٠هـ):

(٦) **مقالات الإسلاميين**، تحقيق: محمد محيي الدين، المكتبة العصرية، بيروت، الجمهورية اللبنانية (١٤١١هـ = ١٩٩٠م).

الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن إسحاق (ت ٣١٧هـ):

(٧) **معرفة الصحابة**، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، السعودية، ط١ (١٤١٩ هـ = ١٩٩٨م).

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد:

(٨) **الأغاني**، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر (١٣٦٨هـ = ١٩٥٠م).

ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد (ت ٦٦٨هـ):

(٩) **عيون الأنباء في طبقات الأطباء،** تحقيق: نزار رضا، دار الحياة للنشر، بيروت، الجمهورية اللبنانية (د - ت).

الآمدي، أبو القاسم بن بشر (ت ٣٧٠هـ):

(١٠) **المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم،** تحقيق: ف.كرنكو، دار الجيل، بيروت، ط١ (١٤١١هـ = ١٩٩١م).

الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد (ت ٧٥٦هـ):

(١١) **كتاب المواقف،** تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط١ (١٤١٧هـ = ١٩٩٧م).

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ):

(١٢) **صحيح البخاري،** طبعة السلطان عبد الحميد خان الثاني، الدولة العثمانية (١٢١٣هـ = ١٧٩٨م).

البغوي، أبو القاسم عبد الله بن محمد بن المُرْزُبان (ت ٣١٧هـ):

(١٣) **معجم الصحابة،** تحقيق: محمد الأمين، مكتبة دار البيان، الكويت، ط١ (١٤٢١ هـ = ٢٠٠٠م).

البكري الأندلسي، عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ):

(١٤) **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع،** تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، لبنان (د - ت).

البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى (٢٧٠هـ):

(١٥) **فتوح البلدان،** تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، بيروت، لبنان (١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م).

وفتوح البلدان، شركة الكتب العربية، القاهرة، مصر، ط١ (١٣١٩هـ = ١٩٠١م).

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ):

(١٦) **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، دارالريان، القاهرة، ط٢ (١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م).

(١٧) **السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي**، مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، الهند، ط١ (١٣٤٤هـ = ١٩٢٥م).

التهانوي، محمد علي (ت ١١٩١هـ):

(١٨) **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، المكتبة الإسلامية، بيروت، لبنان (١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م).

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني (ت ٧٢٨هـ):

(١٩) **الخلافة والملك**، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط٢ (١٤١٤هـ = ١٩٩٤م).

ابن الجزري، الحافظ أبو الخير محمد الدمشقي (ت ٨٣٣هـ):

(٢٠) **النشر في القراءات العشر**، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان (د - ت).

(٢١) **غاية النهاية في طبقات القراء**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م).

الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله (ت ٤٠٥هـ):

(٢٢) **المستدرك على الصحيحين**، دار الحرمين للطباعة والنشر، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط١ (١٤١٧هـ = ١٩٩٧م)

ابن حبان، محمد بن حبان أبو حاتم التميمي (ت ٣٥٤هـ):

(٢٣) **الثقات**، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، القاهرة، مصر، ط١ (١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م).

ابن حبيب، أبو جعفر محمد الهاشمي البغدادي (ت ٢٤٥هـ):

(٢٤) **المُحبر**، تحقيق: إيلزه ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان (د - ت).

(٢٥) **مختلف القبائل ومؤتلفها**، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبناني للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان (١٤٠١هـ = ١٩٨١م).

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد (ت ٨٥٢هـ):

(٢٦) **الإصابة في تمييز الصحابة**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (د - ت).

(٢٧) **العُجاب في بيان الأسباب**، تحقيق: أبو عبد الرحمن فواز، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط١ (١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م).

ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله (ت ٦٥٦هـ):

(٢٨) **شرح نهج البلاغة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، عيسى البابي الحلبي بالأزهر، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط٢ (١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م).

ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد (ت ٤٥٦هـ):

(٢٩) **جمهرة أنساب العرب** ، تحقيق: عبد السلام هارون ، سلسلة ذخائر العرب، دار المعارف، القاهرة، ط٥ (١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م).

(٣٠) **جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم**، تحقيق: إحسان عباس، دار المعارف، القاهرة، مصر (د - ت).

الحصري القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن علي (ت ٤٥٣هـ):

(٣١) **زهر الآداب وثمر الألباب**، تحقيق: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١ (١٤١٧ هـ = ١٩٩٧م).

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني (ت ٢٤١هـ):

(٣٢) **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرناءوط، وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت (١٤٢١ هـ = ٢٠٠١م).

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (٨٠٨هـ):

(٣٣) العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر، بيروت، لبنان (١٤٣١هـ = ٢٠٠١م).

ابن خياط، خليفة بن أبي هبيرة الليثي (ت ٢٤٠هـ):

(٣٤) **تاريخ خليفة بن خياط**، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، ط٢ (١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م).

أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ):

(٣٥) **سنن أبي داود**، بيت الأفكار الدولية للنشر، الرياض، السعودية (د – ت).

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ):

(٣٦) **الاشتقاق**، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١ (١٤١١هـ = ١٩٩١م).

الدِّينَوَرِي، أبو بكر أحمد بن مروان المالكي (ت ٣٣٣هـ):

(٣٧) **المجالسة وجواهر العلم**، تحقيق: مشهور بن حسن ، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان (١٤١٩هـ = ١٩٩٨م).

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ):

(٣٨) **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط١ (١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م).

(٣٩) **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرناءوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣ (١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥م).

(٤٠) **معرفة القراء الكبار**، تحقيق: د/ طيار آلتي قولاج، إستانبول، تركيا (١٤١٦هـ = ١٩٩٥م).

(٤١) **تذكرة الحفاظ**، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١ (١٤١٩هـ = ١٩٩٨م).

الديار بكري، حسين بن محمد (ت ٩٦٦هـ):

(٤٢) تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، بيروت، لبنان (د - ت).

الرازي، محمد بن عمر فخر الدين (ت ٦٠٤هـ):

(٤٣) **تفسير مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان (١٤١٥هـ = ١٩٩٥م).

الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق (١٢٠٥هـ):

(٤٤) **تاج العروس من جواهر القاموس**، دار الهداية، القاهرة (د - ت).

الزبيري، أبوعبد الله المصعب بن عبد الله (ت ٢٣٦هـ):

(٤٥) **نسب قريش**، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، ط٣ (د - ت).

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (ت ٧٩٤هـ):

(٤٦) **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١ (١٣٧٦هـ = ١٩٥٧م).

الزِّرِكْلي، خير الدين بن محمود الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ):

(٤٧) **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط١٥ (١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م).

ابن زنجويه، حميد بن مخلد (ت ٢٥١هـ):

(٤٨) **كتاب الأموال**، تحقيق: شاكر فياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض، السعودية، ط١ (١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م).

الزهري، محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ):

(٤٩) **كتاب الطبقات الكبير**، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط١ (١٤٢١هـ = ٢٠٠١م).

الزهري، محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب (ت ١٢٤هـ):

(٥٠) **المغازي النبوية**، تحقيق: سهيل زكار، دمشق، سوريا (١٤٠١هـ = ١٩٨١م).

السخاوي، شمس الدين محمد (ت ٩٠٢هـ):

(٥١) **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر (١٣٩٩هـ = ١٩٧٠م).

ابن سلام، أبو عبيد القاسم بن عبد الله (ت ٢٢٤هـ):

(٥٢) **الأموال**، تحقيق: سيد رجب، دار الهدى، القاهرة، مصر، ط١ (١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م).

(٥٣) **فضائل القرآن ومعالمه وآدابه**، تحقيق: أحمد عبد الواحد الخياطي، مطبعة فضالة، المغرب (١٤١٥هـ = ١٩٩٥م).

ابن سلام الجمحي، محمد (ت ٢٣١هـ):

(٥٤) **طبقات فحول الشعراء**، دار المدني، جدة، السعودية (١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م).

السمعاني، أبو سعد عبد الكريم التميمي (٥٦٢هـ):

(٥٥) **الأنساب**، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر، ط٢ (١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م).

السمهودي، نور الدين علي بن عبد الله (ت ٩١١هـ):

(٥٦) **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**، مؤسسة الفرقان للطبع والنشر، مكة، المملكة العربية السعودية (١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م).

السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت ٥٨١هـ):

(٥٧) **الروض الأُنُف في شرح السيرة النبوية لابن هشام**، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، مصر، ط١ (١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م).

ابن سيد الناس، الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد (ت ٧٣٤هـ):

(٥٨) **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، تحقيق: محمد العيد الخطراوي، ومحيي الدين مستو، دار التراث للنشر، المدينة المنورة، السعودية (د - ت).

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ):

(٥٩) **الإتقان في علوم القرآن**، مركز الدراسات القرءانية للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية (بدون تاريخ).

(٦٠) **در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة**، تحقيق: حمزة النشرتي، وعبد الحميد مصطفى، وآخرون، المكتبة القيمية، القاهرة (د - ت).

(٦١) **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١ (١٤١٩هـ = ١٩٩٨م).

(٦٢) **لباب النقول في أسباب النزول**، دار التقوى، القاهرة، مصر (١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م).

الشيباني، أحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر (ت ٢٨٧هـ):

(٦٣) **الآحاد والمثاني**، تحقيق: باسم فيصل، دار الراية للطباعة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية (١٤١١هـ = ١٩٩١م).

ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد الكوفي (ت ٢٣٥هـ):

(٦٤) **المصنف في الأحاديث والآثار [مصنف ابن أبي شيبة]**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١ (١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م).

الصالحي، محمد بن يوسف (ت ٩٤٢هـ):

(٦٥) **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد** ، تحقيق: عبد العزيز عبد الحق، ومصطفى عبد الواحد، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة (١٤١٨هـ = ١٩٩٧م).

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم (ت ٣٦٠هـ):

(٦٦) **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي عبد المجيد، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، العراق، ط٢ (١٤٠٤ هـ = ١٩٨٣م).

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد (ت ٣١٠هـ):

(٦٧) **جامع البيان في تأويل القرآن [المعروف بتفسير الطبري]**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١ (١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م).

تفسير الطبري، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار ابن تيمية، القاهرة (بدون تاريخ).

(٦٨) **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط٢ (١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م).

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ):

(٦٩) **الاستيعاب في أسماء الأصحاب**، دار الفكر، بيروت، لبنان (١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م).

(٧٠) **الدرر في اختصار المغازي والسير**، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط٣ (١٤١١هـ = ١٩٩١م).

(٧١) **الإنباه على قبائل الرواة**، مكتبة القدسي، القاهرة (١٣٥٠هـ = ١٩٣٢م).

عبد الجبار، القاضي أبو الحسن (ت ٤١٥هـ):

(٧٢) **المغني**، تحقيق: عبد الكريم عثمان، دار العربية، بيروت، لبنان (د - ت).

ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله (ت ٥٤٣هـ):

(٧٣) **أحكام القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣ (١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م).

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن نور الدين:

(٧٤) **تقويم البلدان**، دار الطباعة السلطانية، باريس، فرنسا (١٢٦٦هـ = ١٨٥٠م).

الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (٨١٧هـ):

(٧٥) **المغانم المطابة في معالم طابة**، تحقيق: حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، السعودية، ط١ (١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م).

(٧٦) **القاموس المحيط**، إشراف: محمد نعيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، الجمهورية البنانية، ط٥ (١٤١٦هـ = ١٩٦٩م).

الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ):

(٧٧) **كتاب العين**، تحقيق: مهدي المخزومي، ومحمد السامرائي، دار ومكتبة الهلال، القاهرة، مصر (د – ت).

ابن القاسم، أبو علي إسماعيل:

(٧٨) **ذيل الأمالي**، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر (د – ت).

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدِّينَوَرِي (ت ٢٧٦هـ):

(٧٩) **الشعر والشعراء**، تحقيق: أحمد شاكر، دار المعارف، القاهرة (١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م).

(٨٠) **المعارف** ، سلسلة ذخائر العرب، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط٤ (١٤٠١هـ = ١٩٨١).

(٨١) **الإمامة والسياسة**، مكتبة النيل، القاهرة، مصر (١٣٢٢هـ = ١٩٠٤م).

(٨٢) **عيون الأخبار**، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر (١٤١٦هـ = ١٩٩٦م).

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الخزرجي (ت ٦٧١هـ):

(٨٣) **(الجامع لأحكام القرآن) تفسير القرطبي**، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط٢ (١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م).

القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٩٢٣هـ):

(٨٤) **المواهب اللدنية بالمنح المحمدية**، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان (١٤٦٠هـ = ١٩٩٦م).

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (٨٢١هـ):

(٨٥) **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، تحقيق: يوسف علي طويل، دار الفكر، دمشق، الجمهورية العربية السورية، ط١ (١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م).

صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر (١٣٤٠هـ = ١٩٢٢م).

ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبو بكر المعروف بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ):

(٨٦) **زاد المعاد في هدي خير العباد**، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرناءوط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، بيروت، الكويت، ط١٤ (١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م).

الكتاني، أبو عبد الله محمد بن جعفر (ت ١٣٤٠هـ):

(٨٧) **نظم المتناثر من الحديث المتواتر**، دار الكتب السلفية، القاهرة، مصر، ط٢ (د- ت).

الكتاني، محمد عبد الحي (ت ١٩٦٢م)

(٨٨) **نظام الحكومة النبوية، المسمى (بالتراتيب الإدارية)**، دار الأرقم، بيروت، لبنان، ط٢ (د - ت).

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ):

(٨٩) **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي محمد السلامة، دار طيبة، الرياض، السعودية، ط٢ (١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م).

(٩٠) **الفصول في سيرة الرسول**، تحقيق: محمد العيد الخطراوي، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، السعودية (١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م).

(٩١) **فضائل القرآن**، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر، ط١ (١٤١٦ هـ = ١٩٩٥م).

(٩٢) **البداية والنهاية**، دار التقوى، القاهرة، مصر، ط١ (١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م).

البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، مصر، ط١ (١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨م).

ابن الكلبي، أبو المنذر بن هشام بن السائب (ت ٢٠٤هـ):

(٩٣) **نسب معد واليمن الكبير**، تحقيق: ناجي حسن ، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط١ (١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م).

(٩٤) **الأصنام**، تحقيق: أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر (١٣٤٢هـ = ١٩٢٤م).

الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف (ت ٣٥٠هـ):

(٩٥) **كتاب الولاة والقضاة**، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، لبنان (١٣٢٦هـ = ١٩٠٨م).

المتقي الهندي البرهانفوري، علاء الدين علي بن حسام الدين (ت ٩٧٥هـ):

(٩٦) **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، تحقيق: بكري حياني، وصفوت السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٥ (١٤٠١هـ = ١٩٨١م).

ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس (ت ٣٢٤هـ):

(٩٧) **السبعة في القراءات**، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر (١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م).

المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران (ت ٣٨٤هـ):

(٩٨) **الموشح**، المطبعة السلفية، القاهرة، جمهورية مصر العربية (١٣٤٣هـ = ١٩٢٤م).

المِزِّي، الحافظ جمال الدين أبو الحجاج يوسف (٧٤٢ هـ):

(٩٩) **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان (١٤٠٦هـ = ١٩٨٥ م).

مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ):

(١٠٠) **الجامع الصحيح، المسمى (صحيح مسلم)**، دار الجيل، ودار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان (د – ت).

المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله:

(١٠١) **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مطبعة بريل، ليدن، هولندة، ط٢ (١٣٢٧هـ = ١٩٠٩م).

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ):

(١٠٢) **إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع**، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، الجمهورية اللبنانية (١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م).

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت ٩١١هـ):

(١٠٣) **سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، دار المعرفة، بيروت، لبنان (١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م).

النووي، محيي الدين يحيى بن حزام (ت ٦٧٦هـ):

(١٠٤) **صحيح مسلم بشرح النووي**، بيروت، لبنان، ط١ (١٣٤٧هـ = ١٩٢٩م).

الهروي، أبو الحسن نور الدين الملا القاري (ت ١٠١٤هـ):

(١٠٥) **جمع الوسائل في شرح الشمائل**، المطبعة الشرفية، القاهرة، مصر (د – ت).

ابن هشام، أبو محمد بن عبد الملك (ت ٢١٨هـ):

(١٠٦) **سيرة النبي**، دار الطلائع، القاهرة، مصر (د – ت).

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري:

(١٠٧) **أسباب النزول**، عالم الكتب، بيروت، لبنان (د - ت).

الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر (ت ٢٠٦هـ):

(١٠٨) **المغازي**، تحقيق: مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت، ط٣ (١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م).

(١٠٩) **فتوح الشام**، دار الجيل، بيروت، لبنان (د - ت).

اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر (ت ٢٩٢هـ):

(١١٠) **تاريخ اليعقوبي**، مطبعة بريل المسيحية، ليدن، هولندة (١٣٠١هـ = ١٨٨٣م).

ثانيًا المراجع

إبراهيم، أيمن:

(١١١) **الإسلام والسلطان والملك**، دار الحصاد، دمشق، سوريا، ط١ (١٤١٩هـ = ١٩٩٨م).

إبراهيم، نبيل محمد:

(١١٢) **علم القراءات**، مكتبة التوبة، الرياض، السعودية، ط١ (١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م).

الأشقر، عمر سليمان:

(١١٣) **تاريخ الفقه الإسلامي**، دار النفائس، عمان، الأردن، ط٣ (١٤١٣هـ = ١٩٩١م).

الأفغاني، سعيد:

(١١٤) **أسواق العرب في الجاهلية والإسلام**، دار الفكر، دمشق، الجمهورية العربية السورية (١٣٨٠هـ = ١٩٦٠م).

الأمين، عبد الله:

(١١٥) **الاستشراق في السيرة النبوية**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة الرسائل الجامعية، رقم (٢١)، ط١ (١٤١٧هـ = ١٩٩٧م).

البرقوقي، عبد الرحمن:

(١١٦) **شرح ديوان حسان بن ثابت**، المكتبة التجارية، القاهرة، مصر (١٣٤٧هـ = ١٩٢٩م).

البركاتي، طلال شرف:

(١١٧) **مكاييل بلاد الحجاز في عهد الرسول وعهد خلفائه الراشدين**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة، جامعة أم القرى، السعودية (١٤١٤هـ = ١٩٩٣م).

البري، عبد الله خورشيد:

(١١٨) **القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر (١٤١٣هـ = ١٩٩٢م).

البستاني، بطرس:

(١١٩) **أدباء العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام**، بيروت، لبنان (د – ت).

جمعة، فاطمة:

(١٢٠) **الاتجاهات الحزبية في الإسلام منذ عهد الرسول حتى عصر بني أمية**، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان (د – ت).

جواد علي:

(١٢١) **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، جامعة بغداد، بغداد، الجمهورية العراقية، ط٢ (١٤١٣هـ = ١٩٩٣م).

حسن، حسن إبراهيم:

(١٢٢) **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط١٥ (١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م).

حسين، أحمد منجي:

(١٢٣) **أبيّ بن كعب وتفسيرة للقرآن الكريم**، جامعة أم القرى، كلية أصول الدين، مكة، المملكة العربية السعودية، رسالة ماجستير غير منشورة (١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م).

حلمي، مصطفى:

(١٢٤) **نظام الخلافة في الفكر الإسلامي**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١ (١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م).

حمزة، عبد اللطيف:

(١٢٥) **الإعلام في صدر الإسلام**، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر (١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م).

الخربوطلي، علي حسن:

(١٢٦) **الحضارة العربية الإسلامية**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢ (١٤١٥هـ = ١٩٩٤م).

دغيم، سميح:

(١٢٧) **أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام**، دار الفكر، بيروت، لبنان (١٤١٦هـ = ١٩٩٥م).

راشد، جاسم محمد:

(١٢٨) **الوثيقة النبوية والأحكام الشرعية المستفادة منها** (رسالة ماجستير منشورة)، مكتبة الصحابة للطبع والنشر، الإمارات العربية المتحدة (١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م).

رضا، محمد رشيد:

(١٢٩) **الخلافة**، الزهراء للإعلام العربي،القاهرة، مصر (د – ت).

الريس، محمد ضياء:

(١٣٠) **النظريات السياسية الإسلامية**، مكتبة دار التراث، القاهرة (١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م).

الزحيلي، وهبة:

(١٣١) **الفقه الإسلامي وأدلته**، دار الفكر، دمشق، سورية، ط٢ (١٤٠٥هـ = ١٩٨٠م).

الزنجاني، أبو عبد الله:

(١٣٢) **تاريخ القرآن**، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ط٣ (١٣٨٨هـ = ١٩٦٩م).

زيدان، جرجي:

(١٣٣) **تاريخ التمدن الإسلامي**، دار مكتبة الحياة للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، الجمهورية اللبنانية (د – ت).

سالم، السيد عبد العزيز:

(١٣٤) **تاريخ الدولة العربية**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية (د – ت).

السيد، ناصر:

(١٣٥) **تاريخ يهود يثرب وخيبر (الغزوات والصراع)**، المكتبة الثقافية، بيروت، الجمهورية اللبنانية (١٤١٢هـ = ١٩٩٢م).

الشريف، أحمد إبراهيم:

(١٣٦) **مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول**، دار الفكر العربي، القاهرة، جمهورية مصر العربية (١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م).

(١٣٧) **دور الحجاز في الحياة السياسية العامة** ، دار الفكر العربي، القاهرة، جمهورية مصر العربية (بدون تاريخ).

(١٣٨) **الدولة الإسلامية الأولى**، دار القلم، القاهرة، مصر (١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م).

الشيخ، حسين:

(١٣٩) **العرب قبل الإسلام**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية (١٤١٤هـ = ١٩٩٣م).

صالح، عبد العزيز:

(١٤٠) **تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، جمهورية مصر العربية (١٤١٣هـ = ١٩٩٢م).

صالح، محمد عبد اللطيف:

(١٤١) **تاريخ الفقه الإسلامي**، دار ابن كثير، دمشق، سورية، ط١ (١٤١٦هـ = ١٩٩٥م).

ضيف، شوقي:

(١٤٢) **تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)**، مكتبة دار المعارف، القاهرة، ط٢٤ (١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م).

العاني، سامي مكي:

(١٤٣) **ديوان كعب بن مالك الأنصاري**، مكتبة النهضة، بغداد، العراق، ط١ (١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م).

العلي، صالح أحمد:

(١٤٤) **الحجاز في صدر الإسلام**، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١ (١٤١٠هـ = ١٩٩٠م).

العمري، أكرم ضياء:

(١٤٥) **المجتمع النبوي في عهد النبوة**، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، ط١ (١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م).

(١٤٦) **عصر الخلافة الراشدة**، مكتبة العبيكان، السعودية (د – ت).

(١٤٧) **المجتمع المدني في عهد النبوة**، المجلس العلمي لإحياء التراث الإسلامي، المدينة المنورة، السعودية (١٤٠٣هـ = ١٩٨٣).

أبو الفضل، أحمد إبراهيم:

(١٤٨) **دراسات في العصر الجاهلي**، القاهرة، جمهورية مصر العربية (١٣٥٨هـ = ١٩٦٠م).

قصاب، وليد:

(١٤٩) **ديوان عبد الله بن رواحة ودراسة في سيرته وشعره**، دار العلوم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١ (١٤٠١هـ = ١٩٨١م).

المجدوب، أحمد علي:

(١٥٠) **المستوطنات اليهودية في عهد الرسول**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط٢ (١٤١٧هـ = ١٩٩٦م).

مزيد، علي عبد الباسط:

(١٥١) **مناهج المحدثين في القرن الأول الهجري**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م).

المصري، جميل عبد الله:

(١٥٢) **أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب في القرن الأول الهجري** (رسالة دكتوراه منشورة) مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١ (١٤١٠هـ = ١٩٨٩م).

مهنا، عبدأ علي:

(١٥٣) **ديوان حسان بن ثابت**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢ (١٤١٤هـ = ١٩٩٤م).

مؤنس، حسين:

(١٥٤) **أطلس تاريخ الإسلام**، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، مصر (١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م).

ولفنسون، إسرائيل:

(١٥٥) **تاريخ اليهود فى بلاد العرب**، مطبعة الاعتماد، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر (د – ت).

المراجع الأجنبية

(156) Crichton, Andrew. **History of Arabia**. Vol.1, Edinburg (1833).

(157) H.a.r. Gibb, Mohammedanis: An Historical Survey, Second. Oxford Uni. Press "New York 1962".

(158) Watt, W. M., Muhammad at Medina (Oxford at the Clarendon press, London: 1966).

❋❋❋

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

❊❊❊